الإمام الحسين

مصباح هدى وسفينة نجاة

آية الله السيد محمد تقي المدرسي




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الامام الحسين

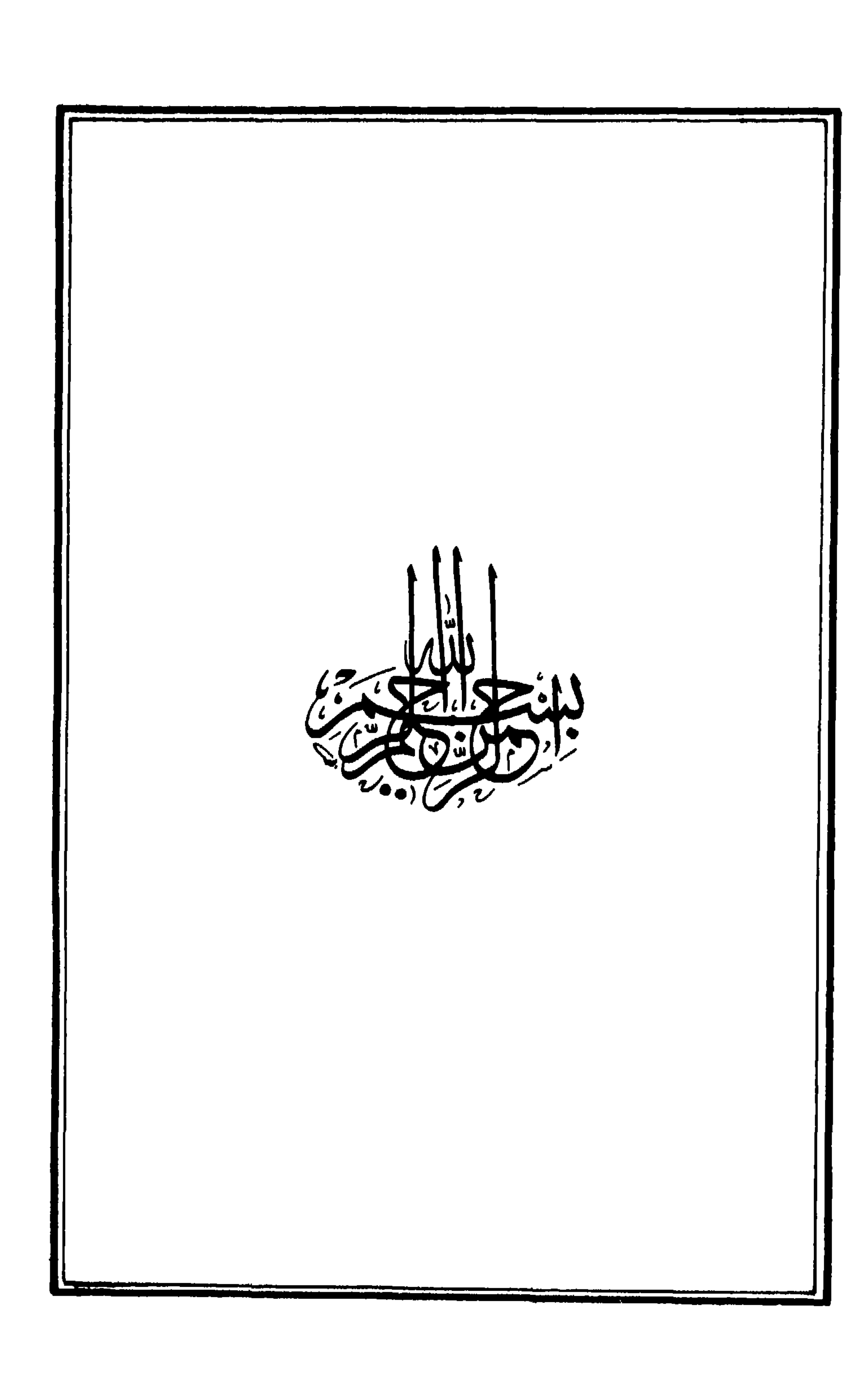
(عليه السلام)

مصباح هدى وسفينة نجاة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسم الكتاب : .... الامام الحسين (ع) مصباح هدىً وسفينة نجاة.
المؤلف : .... آية الله السيد محمدتقي المدرسي.
الناشر : .... انتشارات المدرسي.
تنضيد الحروف والاخراج : .... دار البصائر ـــ بطهران.
الطبعة الاولى : .... صفر الخير ١٤١٤هـ.
عدد النسخ : .... ٣٠٠٠ نسخة.
الثمن : .... ١٥٠٠ ريال.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة الناشر

بالرغم من كل ما كتب ونشر عن شخصية الامام الحسين (عليه السلام) ونهضته.. تبقى البشرية بحاجة ملحة الى المزيد من هذا النتاج، وذلك لأنه (عليه السلام) قضية لا تنتهي، وملحمة لا تبلى..

من هذا المنطلق انبعثت المبادرة لاصدار هذا الكتاب في محاولة جديدة لفهم منهج الامام (عليه السلام)، واستكشاف عبر مسيرته، والاهتداء برؤاه، والاقتداء بهديه.

وقد انتخبت فصول هذا الكتاب من جملة أحاديث سماحة آية الله السيد محمد تقي المدرسي (حفظه الله) التي ألقاها في مناسبات عدة.

ولأجل أن يأخذ هذا الكتاب شكله المتكامل من حيث الفكرة والموضوع، عمدنا الى الاستفادة من كتاب (عاشوراء امتداد لحركة الانبياء)، الذي كان في الأصل سلسلة محاضرات ألقاها سماحته في العشرة الاولى من ايام محرم الحرام عام ١٤٠٢، وقد تم تحريرها من جديد.

نسأل الله العلي العظيم أن يجعل هذا الكتاب نافعاً ومفيداً لكل من يريد العروج الى سماء الحسين (عليه السلام)، انه ولي التوفيق.

دار نشر
المدرسي


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمهيد

لقد اصطفى الله من عباده الصالحين أئمة هداة، وجعلهم حججاً بالغة على جميع خلقه، وقال: **«وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون»**[1]، وقال سبحانه: **«اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده»**[2].

أوَلم يكف البشرية رسول واحد يستضيء بنوره الناس على مر العصور؟ دعنا نعود الى البداية لنعرف الاجابة. أو تدري متى تتوقف عقارب الزمن و يتكلس العصر، و يتجمد الانسان و يسود التخلف، ويحكم الارهاب و يتسلط الظالمون؟

الزيف غياب المسؤولية

تماماً عندما ترين على الافئدة طبقة سوداء من الافكار التبريرية والمعاذير الخادعة، فيتحلل كل الناس عن مسؤولياتهم، كل بأسم عذر و بتبرير كاذب.

فيقول البسطاء والمستضعفون: اننا لا نعرف طريقاً لمقاومة الظالمين، انما نحن بؤساء محرومين نتبع كبراءنا وساداتنا أو السابقين الاولين من ابائنا، كما يصف القرآن الكريم ذلك بقوله:

١ـ السجدة / ٢٤.

٢ـ الانعام / ٩٠.

«أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم»[١].

اما الاثرياء فهم الذين يخافون الفقر ويخشون المساواة والمحرومين و يقولون: **«ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا..»**[٢] و يقولون: **«أنؤمن لك واتبعك الارذلون»**[٣].

بينما تجد انصاف المثقفين وادعياء الدين يسكتون عن الباطل و يداهنون الظالمين و يرضون بفتات من خيرات السلطان، وكما يصفهم القرآن:

«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً»[٤]، و يقول عز من قائل: **«يحرفون الكلم عن مواضعه»**[٥].

وان هؤلاء هم أخطر الفئات على المجتمع، لانهم يسرقون سلاح العلم والدين من أيدي المحرومين، و يضعونه بأيدي المستكبرين والطغاة لقاء دراهم معدودة.

وليس لا يقاومون الظلم والاستكبار فقط، وانما يخذرون الناس ويشيعون بينهم افكاراً سلبية وانهزامية. وما الأمثلة الجاهلية الشائعة حتى اليوم بين الطبقات المحرومة الا من بقايا ثقافة وعاظ السلاطين وخول الطغاة من المثقفين الخونة وادعياء الدين السفلة.

انهم اشاعوا بين الناس بأن السلطان ظل الله، وان من تسلط على الرقاب بالسيف فهو أحق الناس بالطاعة، وان الحشر مع الناس عيد وان كان الى سعير جهنم، وان معنى التقاة السكوت عن الطغاة، وان اليد التي لا تقدر على قطعها استسلم لها وقبلها، وان من تزويج امي فقد اصبح أبي وعمي..

١ـ الاعراف / ١٧٣.

٢ـ القصص / ٢٨.

٣ـ الشعراء / ٢١٥.

٤ـ البقرة / ٧٩.

٥ـ المائدة / ١٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعشرات من الأفكار الشيطانية الزائفة.

ان هذه الطبقة من زيف المعاذير الشيطانية، والأفكار الانهزامية والسلبية التي غلقت افئدة الناس بمختلف فئاتهم كانت وراء فساد السلطة، وزيغ الثقافة، وسوء التربية والاخلاق، والفقر والظلم والحرمان وما يستتبع ذلك من العصيان والشرك والكفر.

فيا ترى أنى لنا النجاة منها ؟

لقد أودع الله في ضمير البشر فطرة طاهرة وعقلاً نيراً ونفساً لوامة.

وقال سبحانه: «**ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها..**» [1] وأيد ذلك الضمير برسالاته التي تواترت، وكتبه التي تواصلت.. كلما امتدت يد التحريف الى رسالة، وفسرها خدم السلاطين المترفين تفسيرات خاطئة، ابتعث الله رسولاً قائماً برسالات الله، لتكون حجة عليهم.

ثم أكمل حجته بأوصياء هداة وصديقين شهداء، تصدوا للتأويلات الباطلة والتفسيرات التحريفية، حتى أبانوا الحق وأظهروه، ودحضوا الباطل واسقطوه.

ان اعظم محاور الرسالات واعظم اهداف الرسل وخلفائهم، كان تبديد زيف التأويل الباطل عن الدين، ونفي الأعذار الشيطانية التي تخلف الناس عن الدين بسببها.

وقد خاض أنبياء الله وأولياؤه المؤمنون صراعاً مريراً من أجل نسف الاعذار والتأويلات الزائفة التي نشرها ادعياء الدين بين الناس.. وسعوا جاهدين لكي يبقى مشعل الرسالة زكياً نقياً وضّاء بعيداً عن زيف التبرير وزيغ التأويل، لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

---

١ ـــ الشمس / ٧ ـــ ٨.

لقد رسموا بجهادهم وجهدهم وكذلك بدمائهم الزكية خط الرسالة التي تتحدى الطغاة المستكبرين في الأرض، المتسلطين على الناس زوراً وعدواناً، والمترفين المستغلين لجهود المستضعفين والعلماء الفاسدين الخانعين اليائسين.

وكانت نهضة أبي عبدالله الحسين -عليه السلام- علماً بارزاً في هذا الطريق الشائك، حيث كانت رسالة جده المصطفى (عليه وعلى آله صلوات الله) أعظم انتفاضة للضمير وتوهج العقل، وأسمى ابتعاث لدين الله الخالص من زيغ التأويل وزيف التبرير..

لقد كانت المشكاة الصافية التي اضاء عبرها مصباح الوحي كل الآفاق..

ولكن الشجرة الأموية الملعونة في القرآن التي جسدت في الجزيرة العربية دور فراعنة السلطة والثروة، ودهاة المكر والتضليل، والتي صدت عن سبيل الله والرسالة في بدر وأحد والأحزاب، لقد كانت هذه الشجرة لا تزال قائمة؛ وقد أوكلت مهمة اجتثاثها وتصفية الرواسب الجاهلية التي تغذيها الى خلفاء الرسول (صلّى الله عليه وآله)..

وها هم طفقوا يتسللون الى المجتمع الناشيء ليزرعوا فيه بذور النفاق والشقاق. انهم كما الخلايا السرطانية امتدوا الى كل نفس طامعة، وقلب حاقد، ومستكبر يتوثب للسلطة، ومترف يبحث عن مصالحه.

وفي غفلة من الزمن تحققت رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي أخبر أصحابه عنها ذات يوم أنه رأى قردة ينزون على منبره.. فإذا بهذا الحزب الاستكباري يستغل الاوضاع المتوترة في عهد الخليفة الثالث، ويقوم بما يشبه انقلاباً عسكرياً يقوده ابن أبي سفيان معاوية، ويخوض أصحاب النبي الميامين بقيادة أميرهم المقدام وأمامهم الهمام سيد الأوصياء على ابن أبي طالب (عليه السلام)، يخوضون ضدهم حرباً ضروساً في صفين لاتختلف عن حروب رسول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله ضد سلطة قريش.

وإذا سقط الامام علي شهيداً في محراب الكوفة بسيف غادر شحذة بنو أُمية، وإذا مضى نجله الامام الحسن مسموماً ضمن مؤامرة أموية، فان للامام الحسين دوراً متميزاً في كربلاء،حيث يقتلع جذور الشجرة الخبيثة بأذن الله، و بالدم المظلوم الذي يهزم سيف البغي والعدوان، ولا يكون هنا غدر ابن ملجم وسم جعدة.

كلا.. لقد جاء دور المواجهة السافرة.

كربلاء مشعل كشف الزيف:

وهكذا اصبحت ملحمة كربلاء رمز المواجهة بين الحنفية البيضاء والشرك المتلصص، بين الحق الخالص الصريح والباطل المدنس المزخرف، بين الشجاعة والبطولة والتحدي و بين التذبذب والانطواء والتبرير..

واصبح الامام الحسين لواء منشورا لكل من يريد مقاومة الحكام المتسترين بالدين، وتحريف العلماء الخونة للدين وسكوت المتظاهرين بالدين وضد الدين المزيف الذي اضحى سلاحاً فتاكاً على الدين الحق، وضد المتظاهرين بالدين الذين تظاهروا ضد الخط الايماني الصادق.

وهكذا أضاء أبو عبدالله الحسين ـعليه السلام ـ على امتداد التأريخ درب المؤمنين المستضعفين الذي تآمر ضدهم ثالوث النفاق والدجل والجبن.. هؤلاء المحرومين الذي تظاهر ضدهم المهووسون بالسلطة ووعاظ السلاطين والمترفون مصاصوا دماء الفقراء.

وأية راية حق حاربت من أجل الله حملت شعار (يالثارات الحسين)، وأي تجمع صالح قرر التحدي وضع نصب عينيه دروس كربلاء، وأي رجل عقد العزم على ان يكون فداء لدينه كان مثاله الاسمى السبط الشهيد..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتبقى حاجتنا الى مشعل سيد الشهداء ما دمنا نواجه نفاقاً امويا، ودجلاً شريحياً، وخيانة كالتي كانت عند أهل الكوفة .. وأنى يكون لنا يوم نتخلص من هذا الثالوث الخبيث ؟

كلا .. مادامت الدنيا باقية فان فتن الشيطان ووساوسه قائمة، وليس بالضرورة ان يكون المنافق أمويا سافراً كصدام (طاغية العراق)، أو شريحاً قاضياً عنده كما وعاظ السلاطين، أو جبناء متظاهرين بالخيانة كمن حاربوا بوعي وعمد واصرار تحت لواء البغي الصدامي.

كلا .. ليس بالضرورة أن يكون كذلك، فقد يكون المنافق متظاهراً بحب السبط الشهيد، والدجال متحدثاً باسمه، والجبان ينضوي تحت لوائه .. أو لم يرق ذلك الدجال منبر الحسين فقال: مالنا والدخول بين السلاطين، ويحرم تعاطي السياسة ؟ ولم يفكر ان المنبر الذي اتخذه وسيلة معاشه لم يقم الا على دماء السبط الشهيد (عليه السلام)، وان الامام الحسين أعلن بكل صراحة ان مثله لا يبايع مثل يزيد وقال: **«من كان باذلا فينا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل..»**.

وهل هذا سوى العمل في السياسة .. وأي سياسة أعظم من القيام بالسيف ضد حكم طاغية ؟

كلا **«وكان الانسان أكثر شيء جدلا»**[1].

وان الشيطان الذي حرف كتاب الله المبين، وفسر سيرة سيد المرسلين، وحكم باسم كتاب الله وتحت شعار خليفة رسول الله بالجور والعدوان، انه قادر أيضاً على تحريف نهج الحسين، وتفسير واقعة كربلاء بما يخدم مصالحه و يتماشى وأهوائه النفسانية.

---

١ ــ الكهف / ٥٤.

من هنا كان على الذين وعوا حكمة الشهادة الحسينية ، وعقدوا العزم على ان يعيشوا نهج سيد الشهداء رغم الصعاب ، والذين تساموا الى حيث جوهر الاسلام وروح الايمان وعصارة تاريخ الانبياء... الى حيث الصراع ضد الجبت والطاغوت ، على هؤلاء ان لا يدعوا راية السبط الشهيد تسرق من قبل الدجالين والمنافقين والمترفين ، فاذا بهم يحاربون نهج الحسين باسم الحسين كما حارب بنو أُمية (عليهم اللعنة الابدية) نهج رسول الله باسم رسول الله ، ونهج كتاب الله باسم كتاب الله.

فحرام ان نعيش دهراً على شاطىء الحسين (عليه السلام) محرومين من ماء الحياة ، من العزم الحسيني ، من الشجاعة الحسينية ، من العطاء الحسيني ، من الكرم والايثار، من المواجهة والتحدي... من كل تلك المعطيات التي زخرت بها ملحمة كربلاء الثائرة.

ان الحسين ـ كما جاء في حديث جده ـ مصباح الهدى وسفينة النجاة ، انه من الرسول والرسول منه ، انه امام المسلمين وحجة الله وهو أعظم من مجرد تراجيديا كما ان كربلاء اسمى من مجرد فلكلور، أنه وريث الانبياء وترجمان الأوصياء وقدوة الا تقياء ، أنه مدرسة التوحيد..

أو لم تقرأ دعاءه في يوم عرفه ؟ ان هذا نهج السبط الشهيد فهل يجوز اختصاره في بضعة كلمات تراجيديا ؟

انه يمثل الاسلام ، أو ليس هو أمام الامة وحجة الله ؟

ومن هنا يجدر بنا أن نتخذه اماماً في كل مناهجه وشرائعه.

سلسبيل الحب :

ثانياً : و يوم نشأ بسلسبيل حب الله والرسول وعترته فكانت نفسه طاهرة من ادران الشرك ووساوس الشك ، وحوافز الشر وغل الحسد والحقد والعصبيات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المادية.. وحين نقف على ضريحه المبارك نترنم اشهد انك طُهر طاهر مطهّر من طُهر طاهر مطهّر طهرتّ وطهرتّ بك البلاد وطهرت ارض انت فيها.

الطاعة سبيل اليقين:

ثالثاً: ويوم وقف بعزم صادق ونية خالصة الى جانب امه الصديقة الزهراء في معركة فدك، والى جانب والده الامام علي -عليه السلام- في يوم الجمل وفي صفين والنهروان، والى جانب اخيه الامام الحسن في حربه وسلمه..

وهكذا كانت طاعته لقيادته الالهية خالصة من أية شائبة.. ذاب فيها كما تذوب قطرة ماء زلال في بحر فرات.

ونحن -إن نتبعه- نروض هوى النفس في ذواتنا لنصبح جزء من تيار التحرك لا نريد لانفسنا جزاء ولا شكورا.

وهكذا نقرأ في زيارته: «**واطعت الله ورسوله حتى اتاك اليقين..**».

وهكذا الطاعة سبيل اليقين، ومن يرفض الطاعة بمعاذير يلقيها اليه الشيطان يصبح ضحية الوساوس طوال حياته.

عرفان الرب:

اولاً: يوم انصهر في بوتقة التوحيد وعرفان الرب وزكاة القلب، والتبتل في الليل، وكان حاله تأويلا صادقاً لقوله سبحانه: «**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون**»(١).

وما دعاؤه في يوم عرفة الا قبساً من نور توحيده، ووهجاً من شوقه الى

---

١ ـــ الذاريات / ١٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رضوان ربه ، وفيضاً من حكمته الالهية..

الا تراه واقفاً في صحراء عرفات تحت شمس الظهيرة اللاهبة ، وقد رفع كفيه الضارعتين الى ربه ، وجرت دموعه الدافئة على خده.. وهو يخاطب ربه بكل عفوية وانسياب ويقول :

«انت كهفي حين تعييني المذاهب في سعتها ، وتضيق بي الارض برحبها ، ولولا رحمتك لكنت من الهالكين ، وأنت مقيل عثرتي ، ولولا سترك اياي لكنت من المفضوحين ، وانت مؤيدي بالنصر على أعدائي ، ولولا نصرك اياي لكنت من المغلوبين. يا من خصّ نفسه بالسمو والرفعة ، فأولياؤه بعزه يتعززون ، يا من جعلت له الملوك نير المذلة على اعناقهم فهم من سطواته خائفون ، يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وغيب ما تأتي به الأزمنة والدهور ، يا من لا يعلم كيف هو الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو»(١).

هذا القلب الكبير الذي استقبل نفحات الرب في عرفات الحجاز.. هو القلب الذي استقبل تحديات الموت في يوم عاشوراء بتلك النفحات عندما ازدلف عليه اكثر من ثلاثين ألفاً من اعدائه يريدون قتله فتوجه الى ربه ضارعاً وقال :

«اللهم انت متعالي المكان ، عظيم الجبروت ، شديد المحال ، غني عن الخلائق ، عريض الكبرياء ، قادر على ما تشاء ، قريب الرحمة ، صادق الوعد ، سابغ النعمة ، حسن البلاء ، قريب اذا دعيت ، محيط بما خلقت ، قابل التوبة لمن تاب اليك ، قادر على ما اردت ، ومدرك ما طلبت ، وشكور اذا شكرت ، وذكور اذا ذكرت ، أدعوك محتاجاً وأرغب اليك فقيراً وأفزع اليك خائفاً وأبكي مكروباً وأستعين بك ضعيفاً وأتوكل عليك كافياً ، احكم بيننا وبين قومنا»(٢).

---

١ ــ مفاتيح الجنان ص ٢٦٥ ــ دعاء عرفة.

٢ ــ مفاتيح الجنان ص ١٦٤ ــ ١٦٥.

هذا هو الامام الحسين (عليه السلام) علينا ان نسمو الى درجة اتباعه في زهده وتقواه، في تبتله وعبادته، في سلوكه وخلقه.

نهج الحياة:

رابعاً: واخيراً نتبعه يوم توج تلك الحياة الربانية بشهادته التي كانت مرسومة من ذي قبل لتكون نهج حياة.

ويوم شهادته كان السبط مثلا اعلى لكل التضحيات وحجة بالغة علينا فيها.

لقد قدم في يوم واحد كلما يمكن ان يقدمه انسان في سبيل ربه، كما ضرب انصاره الكرام أروع الامثلة في الاخلاص والايثار، وهكذا كان الامام حجة بالغة على كل متقاعس عن الجهاد متخاذل خنوع.

انهم يتقاعسون عن الجهاد حفاظاً على أموالهم ودورهم وضياعهم كما خشي عمربن سعد وخرج بذلك للامام الحسين بكربلاء..

أو لم يكن للامام ضياع ودور وأموال فتركها لله عندما قرر القيام ضد طاغية زمانه؟!

ويتقاعس البعض عن الجهاد خوفاً على سمعته ان تنالها اجهزة التضليل الحكومية!!

أو لم يكن سيد الشهداء قد تعرض لذلك التشوية فقالوا عنه: انه قتل بسيف جده، ونشروا في عرض البلاد وطولها انه خارجي، وكانت مئات الالوف من المنابر التي اقامها النبي للدعوة الى الله، تبث الزيغ والتبرير، والتحريض على المجاهدين الاوفياء لدين الله، وضد ابي عبدالله الحسين (عليه السلام) بالذات؟

وينكفيء البعض عن واجبه الشرعي لأنه يخشى على عائلته واسرته ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تتضرر في زحمة الصراع السياسي..

بالله عليكم أي اسرة اشرف من اسرة النبي ، وأي أهل بيت أعظم من أهل بيت الوحي.. وقد حملهم معه سيد الشهداء الى كربلاء ليكونوا شهداء معه على تلك المجزرة الرهيبة ، ثم دعاة الى القيام ضد بني أُمية.

وقد تعرضت لكل ألوان البلاء وأشدها إساءة حيث طافوا بهم البلاد ، يتصفح وجوههم أهل المنازل والمناهل.. وهم حرم رسول الله ، ومهابط وحي الله ، ومعادن حكمته.

وبعض الناس يزعمون ان القيادة ينبغي ان تكون محمية بعيدة عن الخطر.. وأي قائد أعظم من حجة الله وسبط الرسول وكهف المحرومين ابي عبدالله (عليه السلام) ؟

وها هو يقدم نفسه للفداء.. قرباناً الى ربه ودفاعاً عن الرسالة..

وهكذا كان ولا يزال السبط الشهيد شاهداً خالداً علينا ـ نحن المسلمين ـ ضد كل تبرير وعذر وتقاعس وانكفاء..

واليوم حيث يتعرض خط الرسالة للتشوية من قبل أبواق الكفر والنفاق ، ما احوجنا الى الامام الحسين ونهجه وسيرته وشهادته الدائمة على العصور.

وبصراحة إن من يريد العزة والكرامة والاستقلال والرقي لابد أن يعد نفسه ومجتمعه اعداداً مناسباً ، والنهج الحسيني هو الاعداد المناسب لكل تلك التطلعات. علينا اليوم ان ننفتح على هذه النفحة السماوية التي تفيض بها ملحمة عاشوراء.

تعالوا نفكر جدياً وجذرياً كيف نبدأ الانعطافة الكبرى في حياة امتنا؟ ألا يكفي الذل والصغار، ألا يكفي التشريد والتشرذم، ألا تكفي الهزائم والويلات ، ألا يكفي هتك الأعراض وقتل الأطفال وو.. ؟

تعالوا نبني ذلك التجمع الناهض الذي يحتمي بظل الاسلام الحنيف

والنهج الحسيني الثائر ضد فتن الجاهلية وبغي الاستكبار وقيد الجبارين ومكر الطامعين..

أجل.. ان الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة.. تعالوا نضيء جنبات حياتنا المظلمة بهذا المصباح الالهي..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الاول

آية الهدىٰ

الفصل الاول : الامام الحسين(ع) بطولة القيم في مأساة الانسان.
الفصل الثاني : الامام الحسين(ع) تضحيات بلا حدود.
الفصل الثالث : الجانب الرباني من شخصية الامام الحسين(ع).
الفصل الرابع : هكذا ورث الامام الحسين(ع) كليم الله.
الفصل الخامس : الامام الحسين(ع) وارث الانبياء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

الامام الحسين(ع) بطولة القيم في مأساة الانسان

«يا ايّها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون * واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا انّ الله مع الصابرين * ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط»[1].

لم يخلق الله -تعالى- الانسان عدوانيّاً، ولذلك فانّ الحرب ليست مقترنة بطبيعة البشر، بل انّها آخر قرار يتخّذه الانسان لنفسه ومجتمعه، وقد تكون الحرب نتيجة تفاعلات الفساد في خُلق الانسان وسلوكه، كما انها قد تكون ردّ فعل عنيفاً ضد هذه التفاعلات، وضدّ انواع الانحراف التي تتركّز لتصبح كياناً منحرفاً يسمّى (الحرب)، والقرآن الكريم يطلق عليها تسمية اشمل هي الاستكبار حيناً، والطغيان حيناً آخر.

الحرب نوعان:

وهناك من يحارب من اجل استغلال الناس، والافساد في الارض، وبالتالي من اجل ان يقاوم سنن الله -تعالى- في الارض، وفي الجانب الآخر فانّ هناك من يدخل الحرب وهو يحمل هدفاً سامياً يتمثّل في ردّ الاعتداء على

---

١ ــ الانفال / ٤٥ ــ ٤٧.

سنن الله، وتعديل الانحراف عنها.

والانسان الساذج قد يرى شخصين يتقاتلان فيبدو له بادىء الرأي أنّهما في تساوٍ، فهذا يضرب ويجيبه الآخر بضربة اخرى، ولكنّهما قد يختلفان في الواقع اختلاف النور عن الظلام، فأحدهما من الممكن أن يكون قد جاء ليحارب وقد عمّ الفساد روحه وبدنه فأصبح تجلّياً لألوان الانحراف؛ ففكره منحرف وكذا ثقافته ومنهجه ومواقفه في الحياة وسلوكه وشخصيّته..

وازاء ذلك ترى الآخر يدخل الحرب وقد بلغ القمّة في الانسانيّة والعطاء.. وبذلك فانّ بوناً شاسعاً يفصل هذين الفريقين عن بعضهما، والقرآن الكريم أكد هذا الفرق في اكثر من موقع، دون ان يرفع من شأن الحرب كحرب، ولايمدحها في حدّ ذاتها، فالله -تعالى- خلق الانسان ليرحمه، و ينعم عليه بحياة كريمة في الدنيا، ولم يخلقه ليقتل في ساحات القتال، ولا لكي تقطّع اوصاله، وتزهق روحه.

وهكذا فانّ هناك من الناس من يقاتل في سبيل الله، ومنهم من يقاتل في سبيل الطاغوت، ولكن السؤال المهم الذي يفرض نفسه هو: من الذي يقاتل في سبيل الله، ومن الذي يقاتل في سبيل الطاغوت؟

انّ الآيات القرآنية التي ذكرناها في مقدّمة هذا الفصل تذكّرنا بالفوارق الكبيرة بين الفريقين، فهي تؤكّد اولاً على ضرورة الثبات في الحرب، وذكر الله -تعالى-، والتوكّل عليه، ثم تتطرّق الى عامل مهمّ من عوامل الانتصار وهو طاعة الله وطاعة القيادة الرساليّة المتجسّدة، في شخصيّة الرسول(ص)، ثمّ تنهى هذه الآيات عن الاختلاف والتنازع، اذا انّهما يسبّبان الفشل والهزيمة..

صفات المحاربين في سبيل الافساد:

ثم يؤكّد الله -عزّ وجلّ- قائلاً: «ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطراً ورئاء الناس و يصدّون عن سبيل الله»)، وهذه هي الصفات الثلاث التي يتّصف بها المحاربون في سبيل الافساد:

١ ـــ فهؤلاء اناس اترفوا في الحياة؛ فأكلوا حتّى شبعوا، وشربوا حتّى ارتووا، وناموا حتّى ارتاحوا، فانتهت حاجاتهم الحيوانيّة الطبيعيّة في حدود بقعتهم. فهم يعتدون على البقاع الاخرى ليجعلوها هي الاخرى فاسدة ومنحرفة، والولايات المتحدة الاميريكية هي افضل مثال على ذلك، فهي قد اكلت حتى التخمه، وشربت حتّى الريّ الكامل، واستطاعت ان تتمتّع بكلّ ما وصل اليه العلم من وسائل اللّهو واللعب، وسرقت اموال الشعوب المستضعفة، و بدأت تتحرّك يميناً وشمالاً، ذلك لانّهم اناس بطرت معيشتهم، واترفوا في الحياة الدنيا، ولا يريدون اليوم سوى ترف أكثر من ذي قبل، ومن اجل ذلك فانّهم يعتدون و يقتلون و يسرقون.

فمرّة يكون الشعب الفيتناميّ هو الضحيّة فاذا بالجندي الاميريكي يهجم عليه بدّبابته او طائرته او مدفعيّته فيحرق ارضه و يقتله و يذبح ابناءه، ومرّة اخرى يجد الاميريكان ضحيّتهم في الشعب الكمبوديّ، وفي جولة اخرى يجد الاميريكيّون فريستهم في شعوب مظلومة اخرى كالشعب الفلسطينيّ أو الشعب اللبنانيّ المسلم...

٢ ـــ الصفة الاخرى التي تدعو المفسدين الى مناهضة سنن الله في الارض هي (رئاء الناس)، كما فعل ذلك صدّام في حربه التي شنّها على الجمهوريّة الاسلاميّة والتي استهدف من ورائها أن يكون (بطل القادسيّة).

٣ ـــ الصفة الثالثة هي «الصدّ عن سبيل الله»، كما فعل ويفعل ذلك الطغاة من اجل حصر مدّ الوعي الرسالي الذي انتشر نوره الى اطراف الارض،

---

١ ـــ الانفال/ ٤٧.

ولكنّهم مايزالون يظنّون ان دعم بعضهم البعض والتحالفات الشيطانية تمكنّهم من صدّ هذا الزخم الربّاني.

وهناك فريق آخر يحارب و يقاتل من اجل اعلاء حكمة الله، وفي طليعتهم امامنا وقدوتنا الحسنة ابو عبدالله الحسين(ع) الذي ورث الصفات الرساليّة والاخلاقيّة من جدّه رسول الله(ص)، وهكذا فانّ الحسين(ع) ومن قاتل بين يديه هما المثال الاعلى لمن يحارب في سبيل الله.

خصائص وميزات الحرب العقائديّة:

فننظر الان كيف تكون الحرب العقائدية هذه، وما هي خصائصها وميزاتها؟

أ ــ لابدّ ان نعرف انّ الانسان يعشق البطولة ومن يغامر في مجالها، فالبطولة محبوبة لدى الانسان فطريّاً.

ب ــ انّ الانسان يتعاطف مع المأساة، وتستقطب اهتمامه، لانّها قضيّة من قضاياه.

ج ــ البشريّة تعشق القيم، وكلّ من يتجرّد عن ذاته من اجل الدفاع عنها كأن يضحّي بماله ونفسه من اجل الفقراء والمحرومين، والانسان قد يعشق بعض الحيوانات لكونها ذات خصال جيّدة، فكيف بالانسان الذي زخر بالقيم، فاصبحت حياته سلسلة حلقات متّصلة من الاحسان والعطاء، والفداء والتضحية من اجل الناس..

و بعد فهذه هي الحقائق الثلاث التي يشكّل كلّ منها لوناً من الوان الحبّ عند البشر، فكيف الأمر برجل بطل قاد ملحمة جسّدت كلّ هذه الالوان من الحبّ؟

لقد تحدّى الامام الحسين واصحابه الكرام واهل بيته، المجتمع الفاسد،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسلطة الفاسدة ، وهذا هو أعظم تحدٍّ ، ومن جانب آخر فان بطولاتهم اصبحت مثلاً في التأريخ ، فكيف لا يصبح الحسين(ع) اسوة لمن فتح قلبه للايمان. وانّني لم اجد في تأريخنا ولا في تأريخ الرسالات والحركات الثوريّة مثلاً لانسان شجاع ، وبطل مقدام كأبي عبدالله الحسين وأصحابه.

من هم اصحاب الامام الحسين (ع) ؟

هل تعرفون من هم اصحاب الحسين ؟

انّني اوجّه سؤالي هذا لاولئك الذين يؤكّدون دوماً على ضرورة حفظ الكوادر في محفظات زجاجيّة. لقد كان احد هؤلاء الاصحاب حبيب بن مظاهر الاسديّ ، صحابيّ رسول الله(ص) في وقت كان فيه اصحابه(ص) قليلين ؛ اي بعد وفاة النبيّ بخمسين سنة ، اضف الى ذلك انّ حبيباً كان فقيهاً مجاهداً ، ولا ريب انّه كان صدّيقاً تقياً.. ومع ذلك تقدم ليضحي بنفسه في ركب الحسين(ع).

وكذلك الحال بالنسبة الى الصحابيّ (مسلم بن عوسجة) الذي قاتل بين يدي الحسين(ع) حتّى استشهد ، وكذلك العباس بن عليّ(ع) الذي كان مثالاً اعلى للبطولة والشجاعة والايمان والبصيرة في الدين.. ومن بين هؤلاء الاصحاب اناس اخرون كان الامام علي(ع) قد صاغ شخصياتهم بتربيته وتعليمه لهم.

لقد خرج الامام الحسين(ع) من المدينة المنوّرة تاركاً وراءه كلّ ما يملكه ، ثمّ قدم الى كربلاء ليعطي كلّ ما يملك من اموال وضياع ، حتّى انّه كان قد وضع في حساباته ان يزيد واعلامه المزيّف سيصوّر انه في عيون الناس خارجيّاً ، كما كان يعرف انّ عياله ، واهل بيته سيصبحون اسراء بيد الاعداء يطاف بهم من بلد الى بلد ، كما كان(ع) يعلم أيضاً انّ رأسه الشريف سيركز على الرماح ليطاف به في اغلب البلاد الاسلاميّة.. ولكنّه مع كلّ ذلك اقدم على القتال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبكل شجاعة.

الجانب المأساويّ من نهضة الامام الحسين(ع):

أما المأساة فحدّث عنها ولا حرج؛ فأيّ مأساة اعمق اثراً من مأساة الحسين(ع) التي جمعت كلّ مآسي التأريخ، فنحن نرى انّ الحسين قد مُنع عن الطعام والشراب هو واطفاله واهل بيته واصحابه، وبعد مقتله وامتدّت المأساة لتتمثل في اسر ذويه من قبل الاعداء وسبيهم.

انّ هذه المأساة هي التي جعلت الحسين (ع) باباً للهدىٰ، ذلك لانّه فتح بيننا وبين الرسالة المحمديّة باباً مشرعاً وواسعاً هو أوسع الابواب، فحفرت المأساة الحسينيّة في قلوبنا قناة اتّصلت بالرسالة المحمديّة، ولذلك فانّه ليس من الممكن، ولا في مقدور التأريخ ان ينسى الحسين، والمأساة العظيمة التي جرت عليه.

كلمتان الى اتباع الامام الحسين(ع):

وهنا اودّ ان اوجّه كلمتين للّذين يحبّون الحسين(ع)، وينتهجون نهجه، ويسيرون في طريقه وعلى هداه:

الكلمة الاولى هي انّكم ان كنتم حسينيّين حقّاً وصدقاً فانّي اطالبكم ان تبادروا الى مقاطعة الثقافة الجاهليّة، والاقتصاد الجاهليّ، حيث انّ بلادنا قد فقدت اليوم استقلالها نتيجة لعدم التزامها بهذه المقاطعة، وعدم توفّر العاملين السابقين فيها.

فالعامل الاوّل يتمثّل في انّ شعبنا لم يقاطع بعد الاقتصاد الاستكباري، فالمستكبرون يعيشون اليوم ازمة اقتصاديّة، ويعانون من نسبة عالية من البطالة، فلو قاطعنا بضائعهم بكلّ حزم فلا ريب ان اقتصادهم سيتعرّض لهزّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اعنف ، و بذلك يزول بطرهم واستكبارهم . .

و يتمثّل العامل الثاني في الثقافة الكافرة التي يجب ان تقاطع هي الاخرى : فرسالة الاعلام الكافر انّما هي التضليل ، وهنا أؤكّد مرّة اخرى على المسلمين ان يقاطعوا الصحف العميلة والمأجورة ، وان لا يستمعوا الى الاذاعات المرتزقة ، فانّهم ان فعلوا ذلك ، فان الله ـ سبحانه وتعالى ـ سوف يهديهم ، و يبارك لهم في اعمالهم .

امّا الكلمة الثانية فأوجّهها بمناسبة الحديث الذي يدور اليوم حول الاعتراف باسرائيل الى الذين يريدون القيام بهذا العمل المشين فانّي اطالبهم بأن يتذكّروا انّهم ينتسبون الى تأريخ الحسين ، والى تلك الارادة الثوريّة الرساليّة ، فكيف يحقّ لكم ان تخضعوا للذّل والفقر والفساد والانحراف ، وكيف تخضعون لاسرائيل في حين انّ الذي يملك اسرع السفن الى الجنّة وهي سفينة الشهادة ، وسفينة الحسين (ع) لا يمكن ان يغرق في بحر الفساد ؟!

التمسّك بالحسين (ع) ضمان خلاصنا :

فلنرفع اليوم الحسين (ع) علماً ، فانّنا احوج للحسين من أيّ وقت مضى لينقذنا من هذه المآسي والويلات ، ولندخل من خلاله في رحاب العزّ والكرامة ، وتجديد ذكراه لكي لا ننسى الحسين واهدافه المثلى ، فلو نسيناها فانّنا سوف ننسى انفسنا وكرامتنا و بالتالي ننسى انّنا بشر .

انّ الانسان ـ كانسان ـ لا يجوز له ان يستسلم لمن قتله وقتل ابنه وزوجته واطفاله ، وأحرق بلاده ، فيامن تريدون الاعتراف باسرائيل دعو الاسرائيليّين يقدّمون تنازلاً واحداً ثم قدّموا لهم ما تشاؤن من التنازلات !!

كيف يمكنكم ان تتعاملوا مع اناس يعملون بسياسة (بنغريون) الذي كان يقول انّ حدود اسرائيل هي مواطىء اقدام جيشنا ؟! ، وكيف تتعاملون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع الكيان الصهيونـيّ بعد تلك المذابح والمجازر التي ارتكبها ؟، انّ كياناً كهذا لا يصلح للبقاء حيث انّه حصيلة فساد الارض الذي اجتمع من كلّ جانب، وتركّز في اقدس بقعة بعد مكّة المكرّمة ؛ أي في فلسطين التي بارك الله حولها.

ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ ابتلانا بهذه الابتلاءات لكي يختبر ارادتنا، فلو خضعنا لاسرائيل فانّه ـ تعالى ـ سوف لن يرحمنا ولن ينصرنا، بل ولم يستجب دعائنا.

امّا الطريق الى نسف هذا الكيان الكارتونـيّ نسفاً كاملاً فهو ان يصبح كلّ واحد من ابناء امّتنا حسيناً، ويربّي اولاده على نهج الحسين(ع)، وبالتالي ان يجعل كلّ منّا حياة الامام الحسين مثلاً اعلى في حياته، وقد صدق النبيّ الاعظم(ص) عندما قال:

«انّ الحسين مصباح الهدى، وسفينة النجاة».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

الامام الحسين(ع) تضحيات بلا حدود

انّ واقعة كربلاء لم تكن حادثة عابرة في التأريخ ، بسبب وجود عوامل تفاعلت على ارض كربلاء . صحيحٌ أنّ أبا عبدالله الحسين كان يعلم منذ البدء منذ ان خرج من المدينة المنوّرة الى اين سيذهب ، وصحيح انه(ع) خرج رافعاً شعار تطبيق حكم الله ، لكي لا يبقى السلطان الجائر على جوره . وانّه كان مدفوعاً بهذا الدافع اعتباراً من خروجه من المدينة المنوّرة لتطبيق حكم الاسلام في جميع ارجاء العالم الاسلاميّ ، وليحتذي بسيرة جدّه وأبيه ، ولكنّ الصحيح ايضاً انّ الامام الحسين(ع) كان يعلم انّ العقبات التي وضعها أئمة الكفر والضلال في طريقه لم تكن لتسمح له بأن يحقّق اهدافه تلك على المدى القريب ، وانّ دمه سيراق في ارض تسمّى (كربلاء) ، وقد اعلن(ع) كلّ ذلك في الخطبة التي القاها عندما انطلق من مكّة المكرّمة الى العراق قائلاً : **«وكأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء»**.

لماذا قدّر الله واقعة كربلاء ؟

وعلى هذا فانّ القضيّة لم تكن قضيّة وقعت صدفة ، ففاجعة كربلاء كانت قد قدّرت في رسم خريطة الكون منذ ان خلقه الله -تعالى- .

لقد خلق الله -تعالى- الانسان وأودع فيه العقل والجهل ، والارادة

والشهوات، واودع فيه الايمان كفطرة كما كان اصله ظلوماً كفوراً، وأراد أن يختبر هذا الانسان و يبتليه وهو يعلم انّ البشر ضعيف، وانّ هذا الانسان سوف يسقط في مستنقع الجريمة فيُرَدُّ الى اسفل سافلين، فأراد أن يقوّي ارادة الانسان، و يدعم عقله، و يرحمه، فخلق الحسين(ع)، وقدّر واقعة كربلاء.

ترى ما هي علاقة كربلاء بضعف البشر؟ نحن عندما نجلس في مجالس الامام الحسين(ع)، ونذكر مصيبته، فسوف تذرف عيوننا دموعاً، وتهتزّ قلوبنا خشوعاً، ونتهيّأ لتقبّل نصائح الخطباء ـ حفظهم الله ـ، فلنستغلّ هذه الفرصة الثمينة في ليلة عاشوراء و يومه لبثّ المواعظ، وايضاح الافكار الاسلاميّة.

انّ قلوب شيعة أبي عبدالله(ع) تتآلف في مثل هذه الايّام، وهذا هو السبب في تأكيدي على انّ واقعة كربلاء كانت ضمن خريطة العالم وتركيبة الكون، فقد قدّر الله ـ تعالى ـ ان تكون هناك حادثة كحادثة عاشوراء تلهمنا الصبر في حالات ضعفنا البشريّ، فكلّما اضعفتنا العوامل الطبيعيّة الكامنة فينا، وكلّما استولت علينا الشهوات والغفلة، انقذتنا من جهة اخرى ذكرى أبي عبدالله الحسين(ع)، والتضحيات التي قدّمها في سبيل الله.

تمسّكنا بالحسين ضمان خلاصنا:

ولذلك اقول صادقاً انّنا لو تمسّكنا بالحسين لأنزل الله ـ تعالى ـ بركاته علينا تباعاً، ولما تحكّم فينا الحكّام الطغاة من امثال صدّام الذي استولى على رقاب ابناء شعبنا في العراق، وعلى مراقد اهل البيت(ع)، ولو كنّا نعلم انّ العطاء في سبيل الله يجب أن يكون غير محدود، وان يكون بكلّ ما نملك دون ان نفكّر في جزاء او انتصار لما سُلبت منّا حقوقنا، فنحن يجب أن لا نفكّر في النصر بل المهم ان ننصر دين الله.

وهنا اوجّه خطابي الى اخوتي في العراق لاقول لهم: صحيح انّكم

ظُلمتم، وشردتّم، وقتلتم، وديست كرامتكم، ولكنّ الحسين(ع) كان اغلى منكم، واهل بيته(ع) كانوا اعلى رتبة واسمى مقاماً، ومع ذلك فقد ارخصوا في سبيل الله كل ما يملكون، ولو قدّم الشعب العراقيّ كلّه من شماله الى جنوبه، ومن كباره الى صغاره كلّه ما يملكون في سبيل الله لما ابْتُلوا بهذا المصير، فانّ ما يقدّمونه لا يمكن ان يبلغ على ايّة حال تضحية الحسين(ع) بعليّ الاصغر، ذلك الطفل الرضيع الذي حمله الى الاعداء ليسألهم له شربة ماء فاذا بهم يذبحونه على صدر ابيه من الوريد الى الوريد، واذا بهذا الاب العظيم يقول: هوّن مانزل بي انه بعين الله تعالى.

ولو انّ ابناء شعبنا قدّموا انفسهم في سبيل انقاذ العراق من هذا الطاغية لما بلغت تضحيتهم هذه مستوى ما قدّمه ابو الفضل العباس(ع) الذي كان فقيهاً عالماً، وكان من اصحاب البصائر والبالغين لمستوى اليقين، فقد قدّم هذا الرجل يده اليمنى ثمّ اليسرى ثم عينيه لتكون منبتاً لسهام الاعداء، ومع كلّ ذلك كان يستصغر تضحياته هذه في جنب الحسين(ع) فيقول:

يـا نـفـس مـن بـعـد الحسين هـونـي
وبـعـده لا كـنـتِ أن تـكـونـي

فمن نحن لنفضّل انفسنا على أبي عبدالله(ع)؟، انّ كلّ ما نقدّمه قليل، فلنتّخذ من الامام الحسين(ع) قدوة لنا، فهو ليس اماماً لمن لا يقتدي به ولا يعرفه، فلنحذر ان نكون ممّن قلوبهم معه وسيوفهم عليه كما قال الفرزدق حول الذين ارسلوا رسائل التأييد الى أبي عبدالله(ع).

فلننتفض ضدّ هذا الطاغية، وكفى ذلاً وهواناً، لقد كنّا نخشى اراقة الدماء فها هي الدماء قد اريقت، فلماذا هذا التأخير، والى متى نظلّ نفكّر في انفسنا؟، أرخصوا انفسكم في سبيل الله فانّ من يظنّ انّ نفسه غالية فسوف يذلّه الله و يعذّبه في الآخرة.

وانتم ياضباط الجيش في العراق تعلموا من الحربن يزيد الرياحي درس الحرية والتحرر، حتى تنقذوا انفسكم واهليكم من ربقة الظلم والاستبداد..

وانتم ايّها المهاجرون والمهجّرون، انّ مسؤوليّاتكم ليست بأقل من مسؤوليّات اخوانكم في داخل العراق، انتم بدوركم تستطيعون ان تقدّموا شيئاً، صحيح انّكم قد ظُلمتم واخرجتم من دياركم بغير حقّ وانكم تخوضون معارك الحياة بصعوبةٍ سواء كنتم في ايران او في أيّ بلد آخر، ولكنّ مسؤوليّة الجهاد في سبيل الله لا تقتصر على احد دون آخر، فباستطاعتكم ان تقوموا بدور الاتحاد، فيد الله مع الجماعة، فلنترك القضايا البسيطة ولنتّحد تحت لواء الاسلام، ولا نقف موقف المتفرّج ازاء ما يحدث في بلدنا من مآسٍ ومصائب، فالذين يجلسون و ينظرون الى الجريمة وهي تقع دون ان يحرّكوا ساكناً فانّما هم شركاء فيها.

عدم تحرّكنا يوجب الغضب الالهي:

فلماذا ـ اذن ـ لا نتحرك، ان لم نكن نخشى عذاب الدنيا فلنخش عذاب الله، وفي هذا المجال يروي التأريخ عن اهل المدينة انهم تركوا الامام الحسين(ع) يخرج من بلدهم هو وأهل بيته، وقعدوا يتفرجون على سيدهم وأمامهم وبقية رسول الله (ص) فذاقوا وبال عملهم هذا عندما دخل جيش يزيد الجرار بقيادة (مسلم ابن عقبة) المدينة، فقتل أهلها، وجرى الدم في مسجد رسول الله (ص) وهتكت الاعراض، وزهقت النفوس!

لقد ترك الامام الحسين(ع) المدينة وحيداً غريباً لا ناصر له ولا معين، ولقد كانت لحظات توديع السبط الشهيد لجدّه النبيّ(ص) لحظات أليمة، فكان(ع) يسلّي نفسه بزيارة قبر جدّه حينما تتراكم عليه الهموم، فيشتكي، ويصلّي الى ربّه ركعات، ويستمدّ من ذلك الضريح المقدّس روح العزيمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتحرّك وخصوصاً في الليلة الاخيرة التي سبقت خروجه من المدينة، كان يناجي ربّه، ثمّ توجّه بعد ذلك الى جدّه النبيّ(ص) ودموعه تجري لأنّه الوداع الاخير، ولم ينس الحسين(ع) ان يمرّ بقبر امّه فاطمة الزهراء(ع)، فأخذته غفوة رأى فيها جدّه رسول الله(ص)، وقد صوّر الشاعر هذه الواقعة على لسان أبي عبدالله(ع) فأنشد قائلاً:

ضُمّني يا جدّ
عندك في هذا الضريح
علّني ياجدّ
من بلوى زماني استريح
ضاق بي يا جدّ
من رحب الفضاء كلّ فسيح
فعسى طود الاسى
يندكّ بين الدكّتين
جدُّ صفو العيش
من بعدك بالاكدار شيب
وأشاب الغمّ رأسي
قبل ابان المشيب
فعلى من داخل القبر بكاء ونحيب
ونداء بافتجاع يا حبيبي يا حسين
انت يا ريحانه القلب حقيق بالبلا
انما الدنيا اعدت لبلاء النُبلا
لكن الماضي قليل بالذي قد أقبلا

نرجو من الله ـتعالى ـ ان يوفّق امّتنا للأخذ بالمنهج الحسينيّ، وان

يرخصوا في سبيل الله، وفي سبيل الشهادة كلّ غالٍ، وان ينصر ـ تعالى ـ امّتنا وشعبنا في العراق وفي جميع البلدان التي يرزح فيها المسلمون تحت وطأة الظلم والطغيان، انّه وليّ التوفيق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

الجانب الربّاني
من شخصيّة الامام الحسين (ع)

من الملفت للنظر في حياة الامام الحسين(ع) انّ هناك خصّيصة بارزة في حياته علينا ان نكتشفها ونعتصم بها، ألا وهي ربانيّته، وتجرّده في ذات الله -تعالى-، وذوبانه في بوتقة التوحيد، وابتعاده عن ايّ غلّ أو شائبة ماديّة.

ونحن لو تعرّفنا على هذه السمة في حياة أبي عبدالله الحسين(ع)، فانّنا سوف لا نستطيع فقط ان نتعرّف على جوانب شخصيّته بل سوف يكون بامكاننا انتهاج نهجه، والاستنارة بسيرته، والرقيّ ولو بمقدار بسيط الى تلك القمّة التي كان (ع) قد سما اليها.

والطريق الى تحقيق هذا الهدف واضح، فمن اراد الله -تعالى- فعليه ان يبدأ بأبوابه، وأبو عبدالله (ع) هو من اوسع هذه الابواب، ومن اراد معرفة الحسين(ع) فلابدّ ان يبدأ بمعرفة ربّه خالق السماوات والارض.

والامام الحسين(ع) لم يكن رجل حرب وبطل مواقف جهاديّة فحسب، وانّما كان يكمل مسيرته الجهاديّة بمسيرة عباديّة، وفي هذا المجال يروي انه قيل لعلي بن الحسين(ع) ما أقل ولد أبيك؟ فقال: العجب كيف ولدت. كان أبي يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة[1].

---

١ ــ موسوعة بحار الانوار/ ج٤٤ ص١٩٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انّ هذا الرجل العظيم الذي كان يتفرغ الى الله و يبكي و يتهجّد ليلاً هو نفسه الذي حمل السيف في يوم عاشوراء، وصرخ بذلك الدويّ الذي مازال هتافه يحرّك الملايين: «هيهات منّا الذلّة»، فالايمان هو الذي يحدّد مسار الانسان، وهو الذي يوجب عليه ان يسلّم تسليماً مطلقاً، ويكيّف مواقفه بحسب ما يأمره به الله -تعالى-.

التسليم المطلق

انّ هذه الحالة (حالة التسليم المطلق) هي التي تفسرّ لنا جميع ابعاد شخصيّة الحسين(ع)، ونحن نجد تجليّاً لهذا الايمان في الدعاء الذي قرأه (ع) في يوم عاشوراء وهو:

«اللّهم انت متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريبٌ اذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب اليك، قادر على ما اردت، تدرك ما طلبت شكور اذا شكرت، ذكور اذا ذكرت، ادعوك محتاجاً، وارغب اليك فقيراً، وافزع اليك خائفاً، وابكي اليك مكروباً، واستعين بك ضعيفاً، واتوكّل عليك كافياً، اللهم احكم بيننا وبين قومنا بالحقّ، فانّهم غرّونا وخذلونا، وغدروا بنا، وقتلونا، ونحن عترة وُلد نبيّك وولد حبيبك محمّد الذي اصطفيته بالرسالة، وأئتمنته على الوحي، فاجعل لنا من امرنا فرجاً ومخرجاً، يا أرحم الراحمين»[1].

لقد قرأ ابو عبدالله (ع) هذا الدعاء عندما احاط به ثلاثون الفاً، وربّما يكون (ع) قد قرأه بعد أن وقع اصحابه واهله صرعى مضرّجين بدمائهم على

---

١ ـ مقتل الامام الحسين للسيد المكرم ص٢٨٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ارض كربلاء، ومع ذلك فقد كانت بصائر الايمان تتلألأ وتتجلّى في ملامحه، فكان كلّما ازدادت المصاعب عليه ازدادت طلعته بهاءً وانشراحاً لانّه كان يعلم انّه قد نجح في اكبر تجربة، واعظم بلاء فشل فيه الآخرون.

انّ هذا الدعاء هو الذي جعل أبا عبدالله (ع) مقياساً واماماً لنا وقدوة الى الابد، فمثل هذه الروح الايمانيّة، والسمّو المعنويّ جعلا سيّدنا ابا عبدالله (ع) شعلة وقّادة في نفوس الملايين، بحيث انّنا نجد اليوم ما نجده من بطولات وشجاعة المجاهدين المتّبعين لنهج الحسين(ع).

ولسوف تمتلىء الارض عدلاً وحقّاً بسيف حفيد ابي عبدالله الامام الحجّة (عجل الله فرجه الشريف) حيث سيخرج هذا الامام حاملاً سيفه وهو يهتف: **«يالثارات الحسين»**، ولذلك فانّ نصرة الله -تعالى- للحسين (ع) سوف تتجلّى في هذا اليوم، لانّه اعطى لله كلّ شيء، فهو-تعالى- الحبل الذي اعتصم به ابو عبدالله، ولا بدّ ان نعتصم به، وانّ اهمّ وصيّة اوصى بها انبياء الله وأوصياؤهم هي التقوى والتجرّد من الذات، وهذه الوصيّة هي احوج مانحتاج اليه ونحن نخوض الصراع السياسيّ، فالانسان الذي دخل ساحة السياسة لابدّ ان يدخل في لجج من الفساد الاجتماعيّ، والمشاكل، والقضايا المعقّدة، فلابدّ للانسان الرساليّ من ان يزداد اتّصالاً بالوحي والتعاليم الالهيّة والرجال الربانيّين.

لابد من صبغة ربانية:

انّ الانسان الرساليّ الذي يخوض المعترك السياسيّ يواجه ضغوطاً كبيرة، فالمستكبرون يوجّهون اليه الضغوط من كلّ جانب، ومثل هذا الانسان يختلف عن الانسان العاديّ، انّه يحتاج الى تقوى تحجزه من السقوط في مطبّات كثيرة، ولذلك فانّ الحركات الاسلاميّة مدعوّة اليوم اكثر من أيّ وقت مضى ان تجعل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صبغتها العامّة صبغة ربانيّة من خلال اسلوبين :

١ ــ الاتّصال بالقرآن الكريم

٢ ــ البحث في مسيرة اهل البيت(ع)

فنحن كلّما بحثنا في سيرتهم (ع) وازددنا اتّصالاً بهم ، وازداد تمسّكنا بنهجهم ، بـذلك يعصمنا الله من مشاكل السياسة ومطبّاتها .

هذه هي الوصية الاولى ، أما الوصيّة الثانية تتمثّل في اننّا نحن المسلمين مانزال متخلّفين في الاستنارة بالشعلة الحسينيّة الوقّادة بالرغم من انّ خطباءنا الاماجد وكتّابنا قد فعلوا الكثير في سبيل بثّ الروح الحسينيّة في نفوسنا ، ولو انّنا استفدنا من كلّ جوانب حياته(ع) ، وجعلناه قدوة واسوة لنا لاستطعنا ان نصل الى اهدافنا بسرعة اكبر، وذلك فانّنا مطالبون بإلحاح لدراسة حياة أبي عبدالله الحسين(ع) وحياة الطيبّين من ابنائه ، والسائرين على دربه .

ونحن اليوم نجد في بلد كأرض الرافدين انّ الحاكم المتجبّر (صدام) مايزال يتحكّم في مصائر المسلمين وفي بلد الحسين ، وارض كربلاء ، وهذه هي المصيبة الكبرى ، فلو كنّا نمتلك الشجاعة ؛ شجاعة الطرح عند علمائنا ، ووحدة الكلمة عند العاملين ، والبذل والعطاء عند اغنيائنا ، والتضحية لدى شبّاننا لما حلّت الكارثة بنا ، ولاستطعنا ان نغيّر التأريخ ، ولكنّنا لم نصل الى هذا المستوى .

ترى لماذا يحكم هذا الطاغية في هذه الأرض التي وقعت عليها اكبر واعظم ملحمة ايمانيّة لم يشهد لها الماضي وسوف لن يشهد لها المستقبل مثيلاً ؟ ، لا بدّ ان يكون هناك خلل ، وهذا الخلل يتمثّل في انّنا لم نفهم بعد سيّدنا وامامنا ، ولم نتمسّك به بما فيه الكفاية ، وانا موقن انّنا لو كنّا نعرف ابا عبدالله (ع) حقّ معرفته ، ولو كنّا نتمسّك به كما ينبغي لكنّا قد ازلنا صدّاماً ، وانتصرنا عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد اختار الحسين(ع) شهادته ، وفتح لنا باباً واسعاً للجهاد في سبيل الله ، هذا الباب الذي كان الطغاة وعملاؤهم يحاولون غلقه أمام الناس. فهذا هو نهج الحسين(ع).


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

هكذا ورث الامام الحسين(ع) كليم الله

لا شكّ في انّ نهضة الامام الحسين(ع) هي امتداد لرسالات الانبياء، ففي كلّ فصل من فصول كربلاء درس وعبرة استلهما من تأريخ الرسل والانبياء والمصلحين.

وما أشبه نهضة سيّد الشهداء(ع) برسالة موسى(ع) من عدّة وجوه ونواح هي:

الوجه الاوّل: الانقسام والفروق الطبقيّة

انّ رسالة موسى(ع) كانت قد نزلت على قوم انقسموا على انفسهم فريقين: الفريق الاوّل هو فريق المستكبرين الذين يسعون في الارض فساداً، والفريق الثاني هو فريق المستضعفين الذين يقاومون هذا الفساد بقيادة الرسول وحسب منهج سماويّ.

وهكذا كانت ثورة الامام الحسين(ع) تعبيراً حقيقيّاً عن ضمير الجماهير المستضعفة التي حاول الفريق المستكبر الحاكم المتمثّل في بني اميّة ان يسلبهم حرّيتهم وكرامتهم ودينهم.

وعلى الرغم من انّ هناك رسالات سماويّة تختلف بعض الشيء عن ثورة الامام الحسين(ع) حيث تقف الاغلبيّة المضلّلة من الناس في مواجهة الرسالة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي جاءت لانقاذهم، ويتدخّل عامل الغيب في انقاذ الاقليّة المؤمنة من براثن الاكثريّة الضالّة المضلّلة، لتنتهي حضارة هذه الاكثرية بصورة غيبيّة، الّا أنّ الخطّ العامّ للنهضة الحسينيّة كان اكثر شبهاً بالخطوط العامّة لثورة المستضعفين في عهد موسى(ع)، وقيادته الرشيدة ضدّ فرعون وملئه.

وعندما نقرأ القرآن الكريم بتدبّر نجد انّ قصّة موسى(ع) قد ذكرت حوالي سبعين مرّة، في حين ان القصص الاخرى لم تتكرّر الّا قليلاً، وربّما يعود السبب في ذلك الى امرين:

١ ــ ذلك الذي عبّر عنه النبيّ(ص) في قوله: **«لتحذونّ حذو بني اسرائيل حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة حتّى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه»**.

٢ ــ ان تفاصيل حياة الامّة الاسلاميّة تشبه تفاصيل حياة بني اسرائيل من عدّة وجوه هي:

أ ــ انّ هذه الامّة فضّلت على العالمين بأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في بداية نشوئها وانطلاقها كما فضّلت امّة بني اسرائيل.

ب ــ انّ امّة بني اسرائيل التي فضّلت باذن الله على العالمين دبّ اليها الانحراف فانحرفت، فعبدت مرّة العجل، وثانية طالبت بصنم، واخرى باختيار الادنى على الافضل، وهكذا دبّت اليها الانحرافات كما دبّت في الامّة الاسلاميّة.

الوجه الثاني: القلوب مع القائد والسيوف عليه

انّ الضمير الجماهيريّ كان مع الامام الحسين(ع)، فقد التقى(ع) في مسيره الى كربلاء بالشاعر الكبير الفرزدق، فسأله عن الناس في الكوفة فقال: يا أبا عبدالله، قلوبهم معك وسيوفهم عليك، وهكذا انّ القلوب التي لم تستطع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان تعبّر عن ذاتها بحمل السيف، والارادات الضعيفة التي استسلمت للواقع الفاسد كانت كلّها في جانب ثورته المقدّسة، ومن هنا تشابهت انتفاضة الامام الحسين(ع) في وجه يزيد مع انتفاضة النبيّ موسى(ع) في وجه فرعون.

ونحن نجد في سورة الشعراء التي توفّرت ـ كما يبدو ـ على بيان حركة الانبياء، والوضع الاجتماعي الفاسد الذي سعت هذه الحركة من اجل اصلاحه، آياتٍ عديدة حول قصّة موسى(ع) كقوله ـ تعالى ـ:

«واذ نادى ربّك موسى ان ائتِ القوم الظالمين * قوم فرعون ألا يتّقون * قال ربّ اني اخاف ان يكذّبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون * ولهم عليّ ذنب فأخاف ان يقتلون * قال كلاّ فاذهبا بآياتنا انّا معكم مستمعون» (١).

ففي هذه الآيات نجد التأكيد على دور القائد وضرورة صموده وشجاعته، وارتفاع مستواه من جميع النواحي، وتفوّقه على ضعف نفسه، فالنبيّ موسى(ع) يجيب ربّه قائلاً: **«انّي اخاف أن يكذّبون»**، فقد كان يخاف ان يطيق صدره بتكذيبهم، ولا ينطلق لسانه وبالتالي لا يفقهوا قوله، فيخشى ان يحملوا عليه ويقتلوه، واذا بالجواب من الله ـ تعالى ـ يأتي بكلمة واحدة: **«قال كلاّ فاذهبا بآياتنا انّا معكم مستمعون»**.

وهكذا فانّ من يحمل رسالة السماء، ويضع على عاتقه مهمّة الدفاع عن المحرومين والمستضعفين عليه ان يكون فوق تلك المعضلات، وانّ يتكل على الله ـ تعالى ـ، ويسير وفق هداه، ولا يدع للخوف سبيلاً الى نفسه.

والامام الحسين(ع) يرسم خريطة نهضته وحركته منذ البدء قائلاً:

«خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني الى

---

١ ـ الشعراء/١٠ ـ ١٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء».

لقد كانت الاخبار تتواتر في مكّة المكرّمة آنذاك بسقوط الكوفة في يد الحركة الاسلاميّة، علماً أنّ الكوفة كانت عاصمة اسلاميّة معروفة، او على الاقلّ احدى الحواضر الثلاث التي كانت تؤثّر على مصير السياسة الاسلاميّة في العالم الاسلاميّ آنذاك بالاضافة الى البصرة والشام، ومع ذلك نجد الامام الحسين(ع) يوحي الى الجماهير الملتفّة حوله في ظلال بيت الله الحرام انّ مصيره الموت، وانّه سيستمرّ في هذا الطريق حتّى اذا كان ينتهي به الى الموت هو، واولاده ونساؤه الى السبي.

و يعبّر الامام الحسين(ع) عن الموت بانّه النهاية المفضّلة والسعيدة للانسان الذي يعيش الذل والهوان، ولذلك يعبّر عن مدى اشتياقه الى الموت بقوله: **«وما أولهني الى اسلافي».**

الوجه الثالث: القيادة الشجاعة

وهذه هي الصفة الاساسيّة المشتركة بين الحركتين، صفة القائد الذي لا يأبه بأيّ عقبة، ولا يستسلم لايّ عقبه في طريقه، وهذه صفة مشتركة ايضاً بين حركة الامام الحسين(ع) وكلّ حركة رساليّة تريد ان توقظ ضمير الجماهير الذي غلّفه الخوف والجبن والجمود.

انّ الجماهير التي كانت تعيش في عصر الامام الحسين(ع) وربّما في عصرنا تعرف مصالحها، وتعرف انّ حكّامها ظلمة ومنحرفون، وتعلم ان الطريق للتخلّص من هؤلاء الحكّام هو الثورة، ولكنّها مع ذلك لا تمتلك الشجاعة الكافية، وهنا يأتي دور القائد الذي يملك هذه الشجاعة ليصبح رائداً في هذه المسيرة، وطليعة الأمّة في هذا الطريق فيلتحق به الآخرون بعد ان

يكسر طوق الخوف والارهاب، و يفكّ عن نفسه اغلال الجبن والجمود، فيصبح شمعة تذوب وتنير للآخرين دروب العزّة والكرامة، وطريق الانسانيّة السعيدة.

وهكذا كان موسى(ع) عندما امره الخالق ان يصرخ بملء فيه في وجه فرعون بالرفض والتحدّي، فالوهن والحزن والخوف والجبن والتردّد والشكّ كلّ ذلك معدوم في منطق الرسل.

الوجه الرابع : وحدة الهدف

من خلال التتبّع التأريخيّ، والتمعّن الدقيق، نجد ان حركة موسى(ع) كانت تستهدف انقاذ الجماهير المستضعفة، وهذا هو الهدف القريب لرسالة موسى(ع)، وهكذا كان هدف الامام الحسين(ع) بل وجميع الحركات التحرريّة الرساليّة على طول التأريخ، فقد كان هدفها تحرير الانسان من الاغلال والطواغيت، كما أشار الى ذلك الامام زين العابدين(ع) وهو يبيّن هدف الحركات الرساليّة بقوله: «**اخراج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله**».

الاهداف الحقيقيّة لنهضة الامام الحسين(ع):

لقد ثار الامام الحسين(ع) وتحرّك، ولكنّه لم يفعل ذلك ليحكم، او ليحصل على منصب يأمر من خلاله و ينهى، كما صرّح هو نفسه بذلك قائلاً: «**وانّي لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانّما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدي...**».

فهذا هو شعار الحسين(ع) الذي لم يفجرّ حركته الرساليّة من اجل ان يصبح حاكماً وهو الذي كان يكرّر الآية الكريمة: «**تلك الدار الآخرة نجعلها**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين»[1].

فالامام الحسين(ع) لم يخرج من اجل الافساد، ولم يكن هدفه البغي في الارض كما اتّهمه اعداؤه، فقد كان بامكانه(ع) وهو يمتلك تلك الشجاعة بل وتلك الشرعيّة ان يفعل مافعله ابن الزبير من بعده، وما فعلته حركة القرامطة في البحرين والبصرة، وما ارتكبته ثورة الزنج والتي كادت ان تسيطر على بغداد، ولكنّه(ع) لم يفع شيئاً من ذلك، فلم يجبر احداً على الالتحاق به علماً انّه كان اميراً للحجّ في مكّة المكرّمة، وكان القائد الروحي الذي لا يرقى اليه شك في العالم الاسلاميّ كلّه.

ولكنّه (ع) مع ذلك كلّه لم يتسلّط و يتجّبر على الناس بقوّة السلاح، فلم يجذب الناس في مكّة الى حركته بالقوّة، بل أبان لهم الحقيقة حتّى انّه عندما جيء له بخبر مقتل مسلم بن عقيل وتحوّل الكوفة من الثورة على الحكم الظالم الى الثورة المضادّه، فانّه طلب من الرسول الذي جاء اليه بهذا الخبر ان يلقيه علانية قائلاً: مادون هؤلاء من سرّ.

لقد فعل الامام الحسين(ع) ذلك لانّ حركته كانت اصلاحيّة، ولم تسر ضمن حركة الطاغوت، ولم تهدف الى اقامة طاغوت مكان طاغوت آخر، مهما كان الطاغوت الثاني، وتحت أيّ شعار كان.

وهكذا نجد الهدف المشترك بين الحركتين في التأريخ؛ حركة النبيّ موسى(ع)، وحركة الامام الحسين(ع).

الوجه الخامس: انقاذ المجتمع المستضعف من عبوديّة الحكّام

ونجد جانباً آخر عندما يقول موسى(ع) لفرعون: «وتلك نعمة تمنّها عليّ

---

١ ــ القصص/٨٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان عبّدت بني اسرائيل»[1] ، ولقد كان الامام الحسين(ع) في كربلاء وفي الساعات الاخيرة من حياته المباركة يردّد ما يشبه تلك الكلمة حيث كان يقول : **«ويحكم يا شيعة آ أبي سفيان ، ان لم يكن لكم دين ، ولا كنتم تخافون المعاد ، فكونوا احراراً في دنياكم وارجعوا الى أحسابكم اذ كنتم عرباً»**.

انّ هذه الكلمة تصرح بانّ الحسين(ع) انّما جاء لكي يستنقذ اولئك الذين اصبحوا شيعة لآل ابي سفيان من براثن العبوديّة ، كما فعل موسى(ع) عندما استنقذ بني اسرائيل من الاستعباد الفرعونيّ.

وفي عهد الرسول(ص) كان المسلم اذا لم يشترك في الجهاد عمليّاً فلابدّ ان يمنّي نفسه ويحدّثها به ، وقد كان هذا الجهاد يمتلك شرعيّة اجتماعيّة وجماهيريّة حتّى عصر الامام الحسين(ع) ، ولكنّ الثورة التحرريّة لم تكن تمتلك تلك الشرعيّة ، فلم تكن الجماهير تحدّث نفسها في مقاومة الطاغوت ، ولكنّنا نجد عكس ذلك بعد استشهاد الامام الحسين(ع) ، فكلّ راية كانت ترفع من اجل مقاومة الحكم الامويّ كان الناس يجتمعون حولها بتلّهف ، ولذلك نجد ان حركة التوّابين في الكوفة بعد اربع سنوات من مقتل الحسين(ع) ، شاعت بسرعة في الكوفة كما تشيع النار في الهشيم ، فالتفّت حولها الجماهير دون ان يكونوا منتمين مسبقاً الى ايّ حركة أو جماعة.

ولقد استطاع جيش الارهاب القضاء على هذه الحركة ، ولكنّها لم تلبث ان تجدّدت لوجود المدّ الجماهيريّ متجسدة في ثورة المختار وهكذا الحال بالنسبة الى الثورات الاخرى الى درجة انّ بني العبّاس قد ظهروا على اعدائهم من بني اميّة ، وحكموا البلاد باسم الامام الحسين(ع) ، فكان شعارهم السواد لانّهم كانوا يدّعون الدفاع عن الحسين(ع) ، ومثل هذا الادّعاء كان يلهب حماس

---

١ ــ الشعراء/ ٢٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجماهير بشكل غريب ، و يثير فيهم عواطف الثورة ، و يشحن ضمائرهم بالارادة والعزيمة .

لقد حدث كلّ ذلك لان ابا عبدالله الحسين(ع) قد اكسب الثورة شرعيّة ، فلم تكن الثورات تكتسب الطابع الشرعيّ الّا اذا كانت باسمه(ع) .

وقد وقف المؤرّخون موقف التعجّب ازاء احدى الظواهر التأريخيّة وهي ظاهرة تحوّل البصرة التي كانت منذ عهد الامام عليّ(ع) قد وقفت موقفاً مضادّاً من الثورة ، الى موقف تأييد هذه الثورة ، فعندما اعلن ذو النفس الزكيّة (محمد بن عبدالله) ثورته ، تحوّلت البصرة بين عشيّة وضحاها من مدينة مضادّة للثورة ، ومن قلعة محصّنة للانظمة الفاسدة الى قلعة من قلاع الثورة ، فحاربت من اجل الثورة الى درجة ان كثيراً من العلماء والأئمّة المعروفين آنذاك في البصرة افتوا انّ البيعة التي بايعها الناس مكرهين يمكن ابطالها ، فبطلت البيعة ، وبايع الناس محمّداً على انّه الخليفة الشرعيّ ، وحاربوا تحت لواء اخيه ابراهيم ، ترى لماذا حدث ذلك ؟ الجواب : لانّ الثورة قد اكتسبت شرعيّة جماهيريّة ، فالجماهير اعتادت على الانطلاق ، وكما كانت في عهد الرسول(ص) تلتفّ حول راية الجهاد ، اصبحت وبفضل حركة الامام الحسين(ع) تلتفّ حول راية الثورة .

انّها لآية الدم والبطولة ان يصبح الانسان مظلوماً فيُقتل ، فيثير حماس الناس ، و يشحن في عزائمهم ارادة التحدّي .

انّ الامام الحسين(ع) لم يتركها ستراتيجيّة حربيّة الّا واستخدمها في كربلاء الّا الطرق اللاانسانيّة الهابطة ، فلم يمنع الماء عن العدوّ لانّ هذا المنع هو اسلوب سافل ومنحطّ لا يستعمل لاثبات حقّ وتأكيد مظلوميّة ، فالانسان اذا اراد ان يموت فليمت بشجاعة وشرف .

وقد اعلنت زينب الكبرى(ع) في الكوفة متحدّية شماتة ابن زياد ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اخاها قد استشهد في كربلاء، ولكن بعد أن أدخل في كلّ بيت من بيوت الكوفة العزاء، وهذا هو الحقّ، فالامام الحسين(ع) واصحابه قد أخذوا بثأرهم من اعدائهم.

وهكذا الحال بالنسبة الى جميع المجاهدين عبر التأريخ والذين كانوا يطلبون الموت، لأنّ الشهادة شرف، والموت في سبيل الله حياة، فلم يكونوا يريدون الموت على فراشهم، ولا في قعر السجون او صبراً على يد اصحاب السلطات الفاسدة، بل اختاروا الطريق الامثل، فكانوا يدخلون ساحة المعركة بشجاعة فَيَـقتلون حتّى يقتلوا وتسيل دماؤهم، وهذا هو الدم الذي ينتصر على السيف، والذي يستمدّ ينبوعه من دم ابي الاحرار(ع)، هذا الرجل العظيم الذي سنّ بحركته الجبّارة العملاقة الثورة ضدّ الظلم والطغيان على مرّ التأريخ.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

الامام الحسين(ع) وارث الانبياء

الحديث عن الامام الحسين(ع) يمتدّ مع الزمان الى كلّ عصر، ومع المكان الى كلّ موقع، لانّه الحديث عن الانسان بماله من تحدّ وارادة، وبما فيه من ضعف وعجز، فهو بارادته وايمانه و يقينه قادر على ان يتحدّى كل ضعف وعجز في وجوده، وذلك فانّ الحديث عن عاشوراء حديث ذو شجون، وذو ابعاد مختلفة سنحاول ان نتناول منها ما يكون انفع لنا لمعالجة مشاكلنا وامراضنا.

نهضة الحسين(ع) امتداد لنهضة الرسل:

انّ نهضة الامام الحسين(ع) كانت في حقيقتها امتداداً لنهضة الرسل، وكانت تجلّياً لروح الرسالة الاسلاميّة في أبهى مظاهرها، ومن اجل ايضاح هذه الفكرة لابدّ ان نمهّد لها بثلاث مقدّمات اساسيّة وهي:

١ ــ شموليّة رسالات الانبياء(ع)

انّ الذي يقرأ القرآن الكريم بتدبّر يفهم انّ رسالة الانبياء(ع) لم تكن موجّهة دائماً ضدّ الكفار والمشركين بالمعنى الضيّق؛ اي انّها لم تكن موجّهة ضدّ اولئك الذين يكفرون اساساً برسالات الله، او يجحدون وجود الله ـ تعالى ـ بشكل علنيّ وواضح بل انّها بالاضافة الى ذلك كانت موجّهة ايضاً الى اولئك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذين حرّفوا رسالات السماء ونافقوا وفسقوا.

انّ المجتمعات التي أرسل اليها الانبياء(ع) لم تكن كلّها من النوع الذي ينكر وجود الخالق -تعالى- من الاساس، بل انّ الكثير منها كانوا من الذين بدّلوا حقائق الحياة، وحرّفوا رسالات السماء وارتكبوا الفسق والجريمة، وقد استخدمت كلمة الشرك والكفر في القرآن الكريم مرّة في النوع الاوّل ومرّة من النوع الثاني فكلاهما شرك وكفر عند الله حسب البصيرة القرآنية.

فلا فرق بين ان تدّعي انّك تؤمن بالله ثم تكفر به عمليّاً، وبين ان تدّعي ذلك رأساً، ولا فرق بين ان تعتقد بانّك تؤمن بالله ثم تشرك به من خلال خضوعك وسجودك لصنم، وبين ان تشرك به -تعالى- عن طريق خضوعك لطاغوت، فذاك صنم وهذا صنم، احدهما صنم حجريّ، والآخر صنم بشريّ، ولا فرق بينهما، ولذلك فقد التبست الامور على طائفة من الناس فزعموا انّ كلمة الشرك والكفر انّما هي مخصوصة باولئك الذين يعلنون الشرك، ويجحدون بالله علناً.

فلسفة انبعاث الانبياء(ع)

ولنعد الى القرآن لنتدبّر في آياته ونرى الى من أرسل الانبياء(ع) ولماذا كان انبعاثهم، وما هو هدفهم من ثورتهم، ومن حركتهم التصحيحيّة في مسيرة الكون، في هذا المجال يقول القرآن الكريم: «**كذّبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح ألا تتّقون * انّي لكم رسول امين * فاتّقوا الله واطيعون * وما أسألكم عليه من اجر ان اجري الّا على ربّ العالمين * فاتّقوا الله واطيعون**»[1].

ففي هذه الآيات نرى بوضوح ان النبيّ نوح(ع) الذي كان شيخ المرسلين

١ــ الشعراء/١٠٥-١١٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان يأمر قومه بالتقوى والطاعة ، ممّا يدّل على ان مشكلتهم كانت الفسق ، ومعصية الرسول ، فلننظر ماذا أجابه قومه ؟

«انؤمن لك واتّبعك الاّ الارذلون» ، فهذا الجواب يدلّ بعمق على نوعيّة المشكلة ، فما هي مشكلة مجتمع النبيّ نوح(ع) ؟

لقد كانت آنذاك الطبقيّة ، وقد بعث نوح(ع) لازالة هذه المشكلة من مجتمعه .

ونتطرّق هنا الى طائفة اخرى من الاقوام البشريّة وهم قوم عاد الذين يقول عنهم القرآن الكريم :

«كذّبت عاد المرسلين * اذ قال لهم اخوهم هود ألا تتّقون * اني لكم رسول امين * فاتقوا الله واطيعون * وما أسألكم عليه من اجر ان اجري الاّ على ربّ العالمين * أتبنون بكلّ ريع آية تعبثون * وتتّخذون مصانع لعلّكم تخلدون * واذا بطشتم بطشتم جبّارين * فاتّقوا الله واطيعون * واتقوا الذي أمدّكم بما تعلمون * امدّكم بانعام وبنين * وجنّات وعيون * اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين * ان هذا الاّ خلق الاوّلين * وما نحن بمعذّبين * فكذّبوه فاهلكناهم انّ في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين»(١) .

في هذا الموضع نتساءل : ماذا كانت دعوة النبي هود لقوم عاد ، والى ماذا دعاهم ؟ لقد دعاهم الى التقوى والطاعة ، وترك السلبيّات ، سلبيّة الغرور والبطش والاعتماد على الاسباب الماديّة ، فماذا كان ردّهم على نبيّهم ؟

لقد قالوا له : نحن لا نؤمن بالرجعيّة ، والأفكار المتخلفة التي يدعو اليها نبيّ الله هود .

---

١ ــ الشعراء/١٢٣ - ١٣٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا فانّ المشكلة بين هود وقومه لم تكن في اصل الايمان ، وانّما فيما يترتّب على الايمان من السلوك الحسن ، والتواضع ، والتسليم لأمر الله تعالى ، والتقوى والطاعة..

انّ كلّ ذلك يدلّ على فكرة واحدة وهي ان الانبياء(ع) لم يكونوا مرسلين الى اقوام يجحدون وجود الله ـ تعالى ـ جحوداً تامّاً الّا في بعض الفترات ، امّا في الاغلب فقد كانت رسالتهم موجّهة الى اولئك الذين كفروا بالله عمليّاً وسلوكيّاً.

فالمشكلة ـ اذن ـ كانت مشكلة سلوكيّة قبل أن تكون مشكلة عقائديّة ، فالانبياء بعثوا في الاغلب الى اولئك الذين انكروا الرسالات بأعمالهم ففسّروها تفسيراً خاطئاً ، وفسقوا ولم يأتمروا بأوامرها ، ولم يلتزموا بالتزاماتها ، او انّهم لم يطيعوا القيادة الرساليّة التي بعثت اليهم ، وهذه هي خلاصة الانحراف الذي جاء الانبياء من اجل اصلاحه في المجتمعات الانسانيّة.

٢ ـ ضرورة الربط بين القرآن والحياة

ونحن لو ادّعينا انّ الانبياء انّما أرسلوا الى قوم أنكروا الله انكاراً تامّاً ، وبشكل علنيّ ، لفصلنا جزء كبيراً من القرآن الكريم عن التفاعل مع حياتنا ، ذلك لأنّ الناس على مرّ التأريخ وخصوصاً في الوقت الحاضر لا ينكرون الله عادةً انكاراً تامّاً وصريحاً ، فاذا سألتهم ؛ من ربّكم ؟ ، لما تردّدوا في القول انّه الله ـ تعالى ـ ، وحتّى المشركين في مكّة المكرمة كانوا يطوفون حول الكعبة مردّدين : «لبّيك اللّهم لبّيك ، لبّيك لا شريك لك لبيك...» ، فقد كانوا يقولون انّنا لا نبعد الاصنام الّا لتقرّبنا الى الله زلفى ، ومن ثمّ اتّخذوا هذه الاصنام وسيلة منحرفة لعبادة الله ـ تعالى ـ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانحرافات السلوكية في المشكلة الكبرى :

انّ المشكلة الحقيقيّة التي ماتزال موجودة في العالم هي مشكلة الانحرافات السلوكيّة والحضاريّة ؛ اي انحراف الانسان عن القيادات الرسالية الصحيحة ، وهذه هي المشكلة الحقيقيّة ، فالمشاكل التي نعاني منها هي من نوع انحراف الانسان النفسيّ بالاضافة الى الامراض التي يعاني منها في جميع مجالات حياته ، فلو قلنا انّ الانبياء لم يأتوا لمعالجة هذه الامراض ، فانّ هذا يعني فصل القرآن عن المجتمع .

فالبعض منّا يمارس تلاوة القرآن تلاوة غير واعية ـ على ضوء هذا الفهم ـ مع اعتقاده الراسخ انّ هذه الآيات التي يتلوها لا تخصّه ، لانّ الانبياء لم يبعثوا لمعالجة الامراض التي نعاني منها الآن ، في حين انّ هذا الفهم بعيد عن روح القرآن الذي بيّن بشكل واضح انّ الانبياء لم يؤدّوا رسالتهم ليركزوا على سلوكيّات معيّنة في المجتمع وعلى معالجة انحرافات خاصّة .

تأمّلوا ـ مثلاً ـ سورة يونس ، والانبياء ، والشعراء ، والقصص ، والروم ، فهذه السور وغيرها توضح كيف انّ رسالات كانت موجّهة لمعالجة انحرافات سلوكيّة بعضها اقتصاديّة ، وبعضها اجتماعيّة ، واخرى خلقيّة ، وعلى سبيل المثال : لماذا رفض قوم لوط رسالة الله ـ تعالى ـ التي جاءتهم على يد النبي لوط (ع) ؟ لانّهم كانوا منحرفين خلقيّاً ، ولأنّ لوطاً (ع) كان مأموراً بمحاربة هذا الانحراف ، ولذلك فقد رفضوه ، فعذّبهم الله ، وهكذا الحال بالنسبة الى الرسالات السماويّة الاخرى .

٣ ـ فهم الحياة من خلال القرآن

انّ الآيات القرآنيّة يجب ان تفهم من خلال القرآن ذاته ، وذلك لأن

مفردات كثيرة قد تغيّرت خلال اربعة عشر قرناً منها اللغة، فالكلمات التي كانت تعطي بعض المدلولات قبل عصر الرسول(ص) اصبحت تعطي مدلولات اخرى بعد عصره(ص).

انّ للكلمات ايقاعات وايحاءات خاصّة، وقد لا يتغيّر المعنى الاساسيّ للكلمة، ولكنّ ايحاءاتها واشاراتها وظلالها تتغيّر حسب الظروف، ولذلك نجد اشارات في معاجم اللغة الى هذه التغيّرات، وكلمة الشرك يختلف معناها بين امرين: اولهما السجود لصنم حجريّ، وثانيهما الخضوع لصنم بشريّ، وهناك فرق كبير بين الامرين، فالمدلول الاوّل لا يشمل الّا مجموعة قليلة من الناس، في حين ان الثاني يشمل الملايين الذين يخضعون للأنظمة الفاسدة.

وعلى هذا فانّ هذا المصطلح مرتبط بمصالح الانسان واهوائه، وله اتصال بتزيين الشيطان للانسان اعماله، وتسويل النفس الامّارة بالسوء، ونحن نعلم انّ الانسان مارس طيلة التأريخ التحريف والتأويل والتبديل، وحاول أن يتهّرب من رسالات السماء بطرق مختلفة، وقد فعل ذلك، وفعله هذا يعبّر عنه القرآن بكلمة (الشرك).

ومن هنا فقد تغيّرت القواميس والافكار، ولابدّ لنا من ان نجد ينبوعاً آخر لفهم القرآن الكريم، ألا وهو القرآن نفسه، ولذلك جاء في الحديث الشريف عن الامام عليّ(ع): **«كتاب الله تبصرون وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض»**(١)، وكما جاء في الحديث الشريف: **«من فسّر القرآن ببعضه هدي الصوات»**.

انّ القرآن الكريم لم يدع كلمة ذكرها في آياته الّا وفسّرها في آيات اخرى ولكّن الناس لا يبصرون لانّهم لا يتدبّرون في القرآن، ولو تدبّروا لعرفوا

---

١ ـــ نهج البلاغة خ/١٣٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلمة الشرك ومعنى الكفر والكلمات الاخرى المرتبطة بهما مثل الفسق، وفي القرآن الكريم اشارات واضحة الى معانيها ومن ضمنها معنى الكفر الذي تشير اليه الآية التالية: «**ولله على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فانّ الله غنيّ عن العالمين**»[1].

وهذا يعني انّ الكفر قد يتجّسد في عدم الحجّ.

وهناك آية اخرى تقول: «**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنّهم في الصالحين**»[2]، ففي هذه الآية دلالة على انّ الذي لا يعمل الصالحات ولا يؤمن هو الآخر كافر، وهكذا الحال بالنسبة الى سائر المصطلحات القرآنية.

والآن لنر هل انّ الانحراف الذي مالت اليه الامّة الاسلاميّة في عصر الامام الحسين(ع) كان يشبه الانحراف الذي كان عند الاقوام الذين بعث اليهم الانبياء(ع)؟ ولماذا أُمرنا ان نقول ونحن نقرأ زيارة الامام الحسين(ع): **السلام عليك ياوارث آدم صفوة الله.... السلام عليك ياوارث محمد حبيب الله**؟ وكيف كان الامام الحسين(ع) وارثاً لكلّ الانبياء؟

مولاة الحسين(ع) ليس مجرّد شعارات تطلق:

ان انتفاضة الامام الحسين(ع) كانت امتداداً لحركة الانبياء(ع) ورسالته كانت رسالتهم وبالتالي فانّنا بدورنا نستطيع ان نقوم بنفس الدور اذا ما استلهمنا التأريخ، وجسّدنا دور الانبياء، وجعلنا الامام الحسين(ع) اماماً لنا فأيّ صفة كانت في الامام الحسين(ع) اقتبسناها، وأيّ سلوك صدر منه (ع) تخلّقنا به، حتى صرنا بذلك من أتباعه وشيعته ومواليه.

ترى لماذا نقف امام ضريح الحسين(ع) ونقول: «**انا سلم لمن سالمكم،**

١ ــ آل عمران/٩٧.

٢ ــ العنكبوت/٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحرب لمن حاربكم»، فمن الذي كان سلماً للامام الحسين(ع)، ومن الذي كان محارباً له؟، انّ اشخاصاً من مثل حبيب بن مظاهر، والعبّاس، وعليّ الاكبر، والقاسم هم الذين سالموا الحسين(ع)، واشخاصاً من مثل يزيد، وابن زياد، وعمربن سعد.. وكلّ طاغية باغ ناشر للفساد هم الذين حاربوا ويحاربون الامام الحسين(ع).

لماذا نقف قائلين: «**ياليتنا كنّا معكم**»، ولماذا ندّعي انّنا من شيعة الامام الحسين(ع) إن لم نعرف من الذي حاربه(ع) ومن الذي قاومه ولماذا؟، هذه التساؤلات يجب علينا ان نفكّر فيها، لا أن نجلس عاجزين، ونتذرّع بانّنا لا نستطيع الاقتداء بالامام الحسين(ع).

انّ الذي خلق الحسين(ع) قد خلقنا نحن ايضاً، والذي اودع في الامام الحسين(ع) تلك الصفات الخيرة اودع شيئاً منها فينا كبشر، ثم جعل الحسين(ع) امامنا لنقتدي به في تلك الصفات بالذات.

وعلى هذا فانّ رسالة الامام الحسين(ع) والانبياء(ع) ماتزال حيّة على الارض، فعلينا ان نجسّدها في انفسنا، ونبدأ بالتحرّك عبر تلك المسيرة الثوريّة التي كان ابو عبدالله الحسين(ع) احد ابرز ابطالها، وأئمّتها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الامام الحسين (ع) رسالة الوحدة والجهاد

قبل أربعة عشر قرناً ولد السبط الشهيد الامام الحسين(ع)، ولكنّه لم يولد مرّة واحدة بل ولد مرّتين؛ ولادته الاولى كانت في المدينة المنوّرة والتي كانت تمهيداً لولادته الثانية في كربلاء المقدّسة، والدليل على ذلك أمران:

١ ــ الكلمة المشهورة التي اطلقها النبيّ(ص) في حقّه(ع) عندما خاطبه قائلاً: **«يا حسين اعلم انّ لك عند الله اجراً لا تبلغه الاّ بالشهادة»**.

٢ ــ انّ محفل ولادة السبط الشهيد الامام الحسين(ع) في المدينة المنوّرة قد تحوّل الى محفل عزاء، فسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء(ع) قدّمت وليدها الجديد الحسين(ع) الى ابيها، فاستقبله رسول الله(ص) بدموعه، فتعجّبت فاطمة(ع)، فأوضح لها(ص) ما سيجري عليه في ارض تسمّى كربلاء.

هكذا كانت ولادة الامام الحسين(ع) في المدينة، مقدّمة لولادته في كربلاء، تلك الولادة التي وُلد معها الاسلام من جديد، وجّسدت كلمة الرسول(ص) الخالدة: **«حسين منّي وانا من حسين»** و **«الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»**؛ أي النجاة في الدنيا والآخرة.

الامام الحسين (ع) لكل وقت وعصر:

ترى كيف نركب سفينة النجاة هذه وشعوبنا تمر اليوم بعهد حالك شديد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الظلام؟ وكيف نلوذ بأبي عبدالله الحسين(ع) لينقذنا من هذه المهالك والمآسي؟ فقد جعل الله -تعالى- فينا رحمته الابديّة الواسعة متمثّلة في الامام الحسين(ع) الذي فتح أمامنا طريق النجاة من تلك المآسي.

والامام الحسين(ع) هو لكلّ وقت وعصر، ولكنّه يصبح اكثر ضرورة بالنسبة الينا حينما نعيش في ظل الظلم والاضطهاد، فكلّما ازدادت المحن، واشتدّت الفتن بنا يصبح من المتعيّن علينا ان نلجأ الى ضريح أبي عبدالله الحسين(ع)، فان لم نستطع فلنلجأ الى ذكرياته واسمه الشريف، فكيف يمكن ذلك، وكيف نلجأ إلى هذا الشاطىء، وكيف ننتفع بهذه الرحمة الالهيّة؟

ان من يريد ركوب سفينة الحسين(ع) لكي ينجو من تلك الفتن والمآسي، لا بدّ ان يقرّر قبل ركوبها و يعقد العزم على انهاء المآسي والكوارث، و يتوكّل على الله -تعالى-، بعد ذلك من حقّه ان يركب تلك السفينة، فيجب عليه اولاً أن يتّخذ من ابي عبدالله(ع) قدوة واماماً له، فيطبّق بدقّة توجيهاته وتعليماته، فعندما نقف امام ضريحه الشريف ونخاطبه قائلين: «ياليتنا كنّا معك فنفوز فوزاً عظيماً» فانّ هذا يعني اننا يجب أن نكون في كلّ يوم وعند كلّ مرحلة مستعدّين لتقبّل توجيهاته واوامره والعمل بوصاياه(ع).

لا يمكن فصل الجهاد عن الوحدة:

ترى لو كان الامام الحسين(ع) موجوداً بيننا في مثل هذه الظروف، فبماذا كان يأمرنا؟ من المؤكّد انّه سيأمرنا بأن نقوم بعملين اساسيّين لا يمكن فصلهما عن بعضهما وهما: الجهاد والوحدة، وبعبارة اخرى انّه سيأمرنا بالجهاد تحت راية الوحدة، فالجهاد لا يمكن فصله عن الوحدة، والوحدة تعني جهاد النفس، ومن ثم الجهاد في دفع الاعداء. فالوحدة ليست كلمة تقال، ولا شعاراً يرفع، بل هي بناء ذاتـي، وسلوك اجتماعـيّ وحضاريّ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا فانّ الوحدة ليست شعاراً بل هي عمل وجهاد و بناء مؤسّسات ، فالمؤسّسة الواحدة قد تستغرق سنين حتّى يتمّ بناؤها ولا يحقّ لأيّ واحد أن يأتي و يهدم هذه المؤسّسة بل لا بدّ من المحافظة على جميع المؤسّسات الاسلاميّة لكي يتمّ من خلال ذلك بناء الوحدة الاسلامية المنشودة.

وتعتبر الوحدة الاجتماعيّة من اهمّ مظاهر الوحدة ، وهي تبدأ بوحدة الاسرة ثمّ تعمّ هذه الوحدة لتشمل المدينة والامّة الاسلاميّة بكل ارجائها ؛ ومن اجل تحقيق هذه الوحدة لابدّ من تشكيل اللجان الضامنة لتحقيقها، ومن ضمن واجبات هذه اللّجان متابعة المصادر التي تقف وراء ترويج الاشاعات المغرضة ، والتصدّي لها أيّاً كانت الفئة الداعمة لها.

وفي هذا المجال تقع المسؤوليّة الكبرى على العلماء من خلال قيامهم بدورهم الرياديّ في تنبيه الامّة بحرمة الغيبة والتهمة وسوء الظنّ والتناحر والتنابز بالالقاب من اجل أن يسود الوعي بين ابناء الامّة ، ولا تنطلي عليها اللّعب الرخيصة ، وتكون في مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقها.

انّ الطابور الخامس لا يمكن ان يجلس ساكتاً ، مادام سيّده الاستكبار يعمل باستمرار على بثّ الفرقة بين صفوف الامّة ، فعلينا التصدّي للبدع ومحاربتها من اجل انتشال الامّة من هوّة التراجع والسقوط.

فيجب ـ اذن ـ العودة الى الواقع ، واللجوء الى ابي عبدالله الحسين(ع) ، هذا الرمز والامام الذي خطّ لنا مسيرة الثورة المقدّسة ، وعلّمنا كيف نجاهد اعداءنا ، وكيف نحارب طواغيت يتشدّقون باسم الاسلام.

لقد علّمنا الامام الحسين(ع) كيف نجاهد الأنظمة الفاسدة ، فكرّس من خلال تضحياته مسيرة الدم والتحدّي والصمود والمقاومة ، وهي مسيرة مستمرّة مادامت الحياة مستمرّة.

وسيبقى ابو عبدالله الحسين(ع) ذلك الرمز الخالد الذي يدفع الشعوب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستضعفة دوماً ضد طواغيت زمانها ، ويظلّ مشعلاً للصمود والجهاد من اجل الدفاع عن الحقّ والحريّة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـــاب الثاني

منـهج التغيير


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

عاشوراء ثورة في ضمير الانسان

ما اكثر العبر واقلّ المعتبر! فظواهر الحياة تسدي للانسان دروساً لا تحصى، ولكنّ هذا الانسان يحتجب عن هذه الدروس العظيمة في الحياة بحجب سميكة، فبدلاً من ان يفتح قلبه على دروس الحياة فيستلهم منها ما يحتاج اليه تراه يعرض و يتغافل عنها.

الدروس التي تخترق الحجب:

ومع ذلك فانّ هناك دروساً في الحياة تخترق الحجب، وتهدم الحصون، سواء شاء الانسان ام ابى، وهذه الدروس هي الحجج الالهيّة الكبرى على الانسان، ولاريب أنّ واقعة كربلاء هي درس من هذه الدروس، فان كان قلب الانسان خاشعاً استلهم العبرة من كلّ ظاهرة في الطبيعة أو في المجتمع أو التأريخ والحاضر، فيعتبر بكّل نعمة انعم الله بها عليه، كما يعتبر بكلّ نقمة دفعها عنه.

انّ القلب الخاشع والقانت والسليم هو القلب الذي يكون كنبتة في مهبّ النسيم، فهم المثل الواضح لقوله ـ تعالى ـ: «انّما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربّهم يتوكّلون»[1].

١ ــ الانفال / ٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع ذلك فانّ كلّ الناس ليسوا كذلك، فانّ اكثرهم ولو حرصت ليسوا بمؤمنين، بل ان اكثرهم مشركون، ومثل هؤلاء بحاجة الى هزّة عنيفة تحطّم في قلوبهم كلّ الجدران التي اقاموها بانفسهم، ولمثل قلوب هؤلاء كانت كربلاء، وكانت واقعة عاشوراء، وكانت الحوادث المأساوية التي جرت على ابي الشهداء والاحرار الامام الحسين(ع) واهل بيته واصحابه، أوَ ليس الحسين(ع) شهيد العبرات والدموع، وشهيد القلوب التي تخشع لمأساته، فاذا خشعت لها خشعت للحقائق التي حدثت تلك المأساة من اجلها وفي سبيلها.

المصيبة التي ادمت جميع القلوب:

فالانسان -أيّ انسان- لا يملك عندما يستمع الى قصّة كربلاء الّا ان يخشع قلبه، فهذا الانسان لا بدّ ان يتأثّر وهو يتصوّر دخول الامام الحسين(ع) الى كربلاء، وكيف انّ القوم استضعفوه، واحتوشوه من كلّ مكان، وهم الذين دعوه ليكون اماماً واميراً لهم، ولكنّهم جنّدوا طاقاتهم ضدّه، وارسلوا اليه ثلاثين الفاً ليقتلوه صبراً، ولا بدّ ان ايضاً من ان تخنق الانسان العبرة وهو يجسّد في ذهنه حالة السبط الشهيد في ليلة التاسع من شهر محرّم عندما جلس ينعى نفسه قائلاً:

يا دهر افٍّ لك من خليل
كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب وطالب قتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وانّما الأمر الى الجليل
وكل حي سالك سبيلي

انّ القلب الذي لا يشخع لمثل هذا الموقف لابدّ ان يخشع لموقف آخر وهو

موقف الحسين وهو يطلب من ذلك الجيش الهائل الماثل امامه مهلة ليلة واحدة، فيرفضون هذا الطلب، في حين انّه (ع) لم يطلب تلك المهلة لكي يودّع اهله فيها او يتمّتع بملاذّ الحياة بل لكي يصلّي لربّه، ويجّدد عهده معه -تعالى- بالصلاة والقرآن.

وهكذا فكلّ موقف من مواقف الحسين(ع)، وكلّ مصيبة من مصائبه، تكفيان لاذابة الصخرة الصمّاء فكيف بالقلوب؟، فان لم تخشع للمآسي التي حدثت في يوم عاشوراء فهي خاشعة لامحالة للمأساة التي حدثت بعد عاشوراء أي في اليوم الحادي عشر عندما مرّوا بآل البيت من الثكالى والارامل على اجسام اعزتهنّ وهم مقطّعون ارباً ارباً... وهكذا الحال بالنسبة الى مصيبة زينب في الكوفة، وللمصائب التي نزلت على آل البيت في الطريق الى الشام، وعند عودتهم الى المدينة.

وعندما يقول الآئمة المعصومون الذين عصمهم الله من الدنس، وآمنهم من الزلل: **«لا يوم كيومك يا ابا عبدالله»**، وعندما يقرّرون انّ المصيبة التي حلّت بالحسين(ع) لم تحلّ بأحد في التأريخ لا قبل ذلك اليوم ولا بعده فانّما يبّينون بذلك حقيقة هامة ان الله -تعالى- قد هيّأ هذه الفرصة لتخشع القلوب، وليهتدي الناس، فالهدف من كربلاء هو خشوع القلب، وسقوط تلك الحجب والتحصينات التي تصنعها النفس امام التأثّر بظواهر الحياة، فالقلب لا يهتدي الّا اذا خشع، وكيف يخشع وبينه وبين ظواهر الحياة حجب سميكة؟ ومثل هذا الخشوع لا يمكن ان يحصل الّا بمثل ظاهرة كربلاء، ولذلك اصبح البكاء قضيّـة دينيّـة في مثل هذه الحقيقة، فالله -تعالى- يأمرنا بالصبر في كلّ مصيبة قائلاً: **«انّما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب»**[1]، **«وما يلقّاها الّا الذين**

---

١ ـــ الزمر/ ١٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صبروا»[١].

لماذا البكاء على مأساة الحسين(ع):

فهو ـ تعالى ـ يأمرنا بالصبر في كلّ موضع أمّا في هذه الحادثة فتأمرنا النصوص الاسلامية بالبكاء: «**من بكى وابكى او تباكى وجبت له الجنّة**»، و يروى انّ الامام الرضا(ع) دخل عليه احد اصحابه غداة اول يوم من عاشوراء فقال: «انّ يوم الحسين اقرح جفوننا» فقال الامام(ع): «**يأبن شبيب ان كنت باكياً على احد فابك على جدّنا الحسين(ع)**»، فالحسين احقّ من يبكى عليه لانّ حادثة كربلاء هي اعظم مصيبة وردت على الانسانية عبر التأريخ.

وهكذا فانّ الامر بالبكاء والندب والنحيب يكمن وراءه هدف وحكمة، فليس عبثاً انّ الأئمّة(ع) كانوا يؤكّدون دوماً على البكاء والنحيب، وعلى تجديد ذكرى الحسين(ع) في كلّ سنة، وكأنّها وقعت في الامس القريب، وكأنّ الحسين قد استشهد في هذا العام، فلا ريب انّ طائفة كبيرة من المسلمين يبادرون الى تجديد هذه الذكرى كلّما مرّ عليهم هذا الشهر الحزين المليء بالعبر والعبرات، فترى المدن تلبس السواد، وتتغشّى القلوب بسحابة من الكآبة، وتصطبغ المجالس بلون الدم والمأساة، أوليس كلّ ذلك لهدف وحكمة؟ ترى ما هي هذه الحكمة؟

الحكمة من وراء ذلك هي انّ القلوب عندما تخشع، وعندما تتفاعل النفوس مع المأساة، فانّها ستخشع لهدف الحسين(ع)، ولواقعة كربلاء، واهداف واقعة كربلاء، ومن هنا فانني اطالب الاخوة الذين يجدّدون هذه الذكرى المباركة بشكل من الاشكال فيكتبون، أو ينشدون الشعر، او يرتقون

---

١ فصلت / ٣٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنابر و يقيمون المآتم والمجالس ، اطلب من هؤلاء جميعاً ان لا يغيب عن بالهم ان كلّ هذه المظاهر، مظاهر الحزن والخشوع ، انّما تهدف الى تقريب النفوس من الحقائق ، وجعلها تستفيد من عِبَر واقعة كربلاء.

ولذلك ترىٰ انّ الحسين(ع) قد القى في يوم عاشوراء فقط خمس خطب منذ صبيحة يوم عاشوراء وحتّى ظهره ، فكان يستغلّ كلّ مناسبة ليبيّن اهداف ثورته ، وقد سجّل(ع) في كلّ مناسبة ، وعند كلّ مصرع لشهيد بياناً لهدفه ، والحكمة التي من اجلها استشهد ، حتّى امتزج الهدف بالمأساة ، فلا الهدف ينفصل عن المأساة ، ولا المأساة بمنفصلة عن الهدف. فالحسين(ع) خرج الى كربلاء وفي طريقه كان يردّد الآية الكريمة : **«تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتـقين»**[1] ، فكيف نستطيع ان نفصل مسيرة الحسين(ع) الى كربلاء عن هذه الآية التي كان يردّدها في كلّ لحظة ، وكيف نستطيع ان نفصل بينه(ع) وبين الصلاة التي اداها وهو في قمّة المواجهة ، فقد صلّى واوقف اثنين من خيرة اصحابه ليقيانه السيوف والسهام والمعركة دائرة على اشدّها ، وبالتالي كيف يمكننا ان نعزل المأساة عن الحسين(ع) وهو يضع رأسه في آخر لحظة من لحظات حياته على تراب كربلاء قائلاً : **«صبراً على قضائك لا اله سواك ياغياث المستغيثين»** ؟؟

وعندما يذبح ابنه على يديه الكريمتين يمسك بالدم و يرمي به في الفضاء ويقول : **«هوّن ما نزل بي انّه بعين الله تعالىٰ»** ، فانّه في كلّ لحظة يسجّل هدف ثورته وموقفه ، الموقف وهدف الموقف ، الحركة وحكمة الحركة ، القضيّة ومأساة القضيّـة ، كلّ ذلك لا نستطيع ان نفصله عن بعض ، ولذلك فانّ على خطبائنا الكرام وكتّابنا ومؤلّـفينا وكلّ من يقوم بدور ما في هذه الايّام ان يعرف ماذا

---

١ ـــ قصص/ ٨٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت حكمة مواقف الامام الحسين(ع)، وان يذكر كلّ موقف مع حكمته، لانّ الموقف انّما جاء من اجل تلك الحكمة، فالبكاء وسيلة لخشوع القلب، وخشوع القلب بدوره وسيلة اساسيّة لقبول الحقّ.

محرّم مدرسة التطهير والتزكية:

وهكذا فانّ قضيّة عاشوراء تفرض نفسها على الانسان، ولاريب ان كثيراً من الناس يدخلون في هذا الشهر الحرام مثقلين بالذنوب والامراض القلبيّة والخلافات الاجتماعيّة ثم يخرجون منه وقد طهرت قلوبهم، وزكت نفوسهم، وغفرت ذنوبهم، واصبحوا اكثر حبّاً لاخوتهم، واقدر على التعاون والعمل، وابعد ما يكونون عن الكسل، والمحروم من محرّم من لم يستفد من هذه المناسبة الفضيلة، والذي دخل هذا الشهر ثم يخرج ظمآن، والمحروم هو الذي لا يخشع قلبه لذكرى الحسين(ع)، فيجلس و يستمع ولكنّ جدران قلبه من حديد، فيجعل بينه و بين الظاهرة التأريخيّة جداراً ضخماً، وحصناً قويّاً.

حتّى الاعداء بكوا على مأساة الحسين:

انّ مأساة الحسين(ع) ابكت حتّى اعداءه، وقد روي ان حرملة الذي قتل الطفل الرضيع قد بكى ايضاً! فعندما جيء به الى المختار الثقفيّ سأله المختار قائلاً: أما رقّ قلبك للحسين واطفاله ونسائه ؟

فقال حرملة: بلى رقّ قلبي عندما رأيت الطفل الرضيع ينفجر عنقه دماً ثمّ التفت الى ابيه وتبسّم في وجهه، في تلك الساعة رقّ قلبي لمنظر الحسين(ع) ولمنظر الطفل الرضيع وهو يذبح على يديه !!

وهكذا فقد ابكى الحسين(ع) اعداءه بمأساته، فان كنت لا تبكي، ولا تستفيد من هذه المأساة عبرة وخشوعاً في القلب ومعالجة لقسوته فلابد ان تنعى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانسانيّـة في نفسك، والى هذا يشير ـ تعالى ـ في قوله: «**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**»(١)، ذلك لانّ قسوة القلب هي اشدّ انواع الشقاء عند الانسان، فعندما يكون قلب الانسان قاسياً موغلاً في القسوة فانّه سوف لا يتأثّر بأيّ شيء يزيل هذه القسوة، ومن هنا فانّ هناك بعض الارشادات التي لو اتّبعت فانّ حكمة هذه الذكرى العظيمة سوف لن تكون بعيدة عنا ان شاء الله ـ تعالى ـ:

كيف نعيش ذكرى الحسين(ع) دوماً ؟

١ ـ حاول ان تعيش المأساة في شهر محرّم الحرام بكل ابعادها وكأنك تعيشها.

٢ ـ عليك ان توحي لنفسك باستمرار انّ الحسين(ع) واصحابه واهل بيته كانوا بشراً مثلنا ولكنّهم رغم ذلك ارتفعوا الى هذا المستوى من الشجاعة والتضحية والفداء، فلقد استشهد جميع اعزّة الحسين(ع) امام ناظريه الاّ انه كان كما يقول الراوي: فو الله ما رأيت مفجوعاً قطّ كالحسين كلّما اصيب بمصيبة ازداد عزماً وقوّة، وهذه هي الشجاعة الحقيقيّـة التي هي ان تقتحم الموت خطوة فخطوة بكلّ ايمان وعزم دون ان تتردّد لحظة واحدة.

وقد كان الحسين (ع) الى آخر لحظة من لحظات حياته شديد العزم حتّى وهو واقع على تراب كربلاء يعالج الموت في اللّحظات الاخيرة، فلنتعلّم الشجاعة منه(ع)، فمن العار علينا ان لا نكون شجعان ونحن ندّعي السير على دربه، وانتهاج نهجه. فلنسأل انفسنا: لماذا كان الحسين(ع) شجاعاً، بل لماذا كان القاسم بن الحسن بتلك الدرجة الرفيعة من البطولة التي دفعته الى ان يقول: «الموت في نصرتك ياعمّ احلى من العسل»؟

---

١ ـ زمر/٢٢.

وهكذا الحال بالنسبة الى الآخرين من اهل البيت ، فما الذي جعل عليّاً الاكبر شجاعاً ، وما الذي جعل العبّاس وفيّاً ، وما الذي دفع زينب الى ان تكون صبورة ؟

فلنسأل أنفسنا : كيف نسير في دربهم حتّى نصل الى هذه النتيجة ، كيف نربّي هذه الشجاعة والايمان والوفاء في انفسنا ؟ كيف نتصل بنور الله ـ سبحانه وتعالى ـ حتّى نصبح مثل الحسين واصحابه واهل بيته .

٣ ـ علينا ان نتعرّف على فلسفة الحسين(ع) ، أي الفكر الذي يلخّص كلّ هذه المأساة ، ان فلسفته(ع) تتمثّل في انّه تنازل عن ذاته من اجل هدفه حتى اصبح المثال الاكمل في هذا المجال ، ونحن ايضاً يجب ان لا نفكّر في انفسنا ، فهناك الكثير من الناس يجعلون انفسهم جزءً من قضيّتهم ، فيسيرون بذلك على معادلة خاطئة و يتشدّقون واهمين انّهم هم الذين يطبّقون الحكومة الاسلاميّة ، وانّهم هم الذين يجسّدون تطلّعات الامّة ، و بذلك يتحوّل هدفهم من هدف مجرّد عن الذات الى هدف ممزوج بها ، فيبتعدون عن تعريض انفسهم للمهالك لانّهم ـ حسب زعمهم ـ اذا قاموا على سبيل المثال بعمليّة عسكريّة انتحاريّة فانّ الامّة ستفقد الذي يطّبق حكم الله في الارض ، وتخسر الذي ينصح الناس و يعظهم ، وهكذا تراهم دوماً وابداً يبعدون انفسهم عن الجهاد ، و يعتبرون المحافظة على انفسهم اهمّ من المحافظة على الدين !

ومن هنا فانّ الامام الحسين (ع) هو بطل هذه المعادلة ، فلقد عرف كيف يقول (لا) لنفسه ، أوَ لم يكن هو القائل : **«ان كان دين محمّد لم يسقم الّا بقتلي فيا سيوف خذيني»** ، فعندما عرف (ع) انّ شهادته هي الطريق الى تطبيق حكم الله لم يطرح نفسه رغم انّه امام الامّة بنصّ رسول الله(ص) و باجماع الامّة : **«الحسن والحسين امامان قاما أو قعدا»** ،فمع انّه(ع) كان يعلم انّه الامام الحقيقيّ للامة ، ولكنّك تراه يندفع الى التضحية بنفسه ، وبما يملك من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اجل الدين ، ذلك لانّ الدين اهمّ من الانسان وان كان هذا الانسان متمثّلاً في الحسين(ع) ، فكيف بي وبك ؟

لقد اوذي الانبياء في سبيل الدين ، فمن هو الاشرف ؛ نحن ام الانبياء ؟ فان كانت ادعاءات اولئك صحيحة كان الاولى بالأئمّة(ع) ان يطلقوها قبلنا ، فانّه ليس من العدل في شيء أن تكون حياة الأئمّة(ع) هي التنقّل بين الزنزانات والسجون والمعتقلات والمهاجر لتنتهي حياتهم دائماً بالشهادة بين قتيل وبين من دسّ اليه السمّ.

انتصار الدم على السيف :

لقد عبّر الامام الحسين(ع) بدمه وبشكل مأساويّ عن الحقيقة التي ذكرها الله -تعالى- في كتابه الكريم قائلاً : «**فدعا ربه اني مغلوب فانتصر**»[(١)]، ولذلك قال البعض: انّني تعلّمت من الحسين كيف اكون مظلوماً فانتصر، وقدعبّرعن هذا المعنى الامام الخميني الراحل (رض) في قولته المشهورة : «**وفي عاشوراء انتصر الدم على السيف**» .

وهكذا فانّ علينا في كثير من الاحيان ان نتجرّد عن ذاتنا ، وان نواجه رصاص العدّو بصدورنا العارية فليس من المعقول ان يحتفظ الواحد منّا بنفسه واهله واولاده وماله بحجّة انّه يمثّل الدين. كلاّ ، فالانسان لا يكون متديّناً الاّ عندما يتجرّد عن ذاته ، ولو انّ الحركات الاسلاميّة ، والعاملين في الساحة الاسلاميّة كحركات أو كأشخاص استفادوا من هذا الدرس لما ظهرت الاختلافات بينهم ، ولتجرّدوا عن ذواتهم ، ولما فكّروا في مهادنة الانظمة الفاسدة ، ولواجهوا المصاعب بشجاعة حسينيّة .

---

١ ــ القمر/١٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا فانّ المأساة ينبغي ان تفتح الطرق الى قلبك ، اما اذا بررت الامور بطريقة ما ، وقلت انّ الحسين كان اماماً وانا لست اماماً ، وانّه عاش في زمان غير زماني وما شاكل ذلك من التبريرات الواهية فانّك ستحرم نفسك من دروس وعبر هذه المأساة التأريخيّة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشوراء والاصلاح الشامل في الامة

ليس في هذه الدنيا سوى سبيلين ؛ سبيل الهدى الذي يؤدّي بالانسان الى رضوان الله وجنّاته ، وسبيل الضلال الذي يقوده الى الجحيم ، ولكلّ سبيل جهة وامام وامّة ، وجهة سبيل الله هي رضوانه ـ تعالى ـ ، والذين يقودون الناس في هذا السبيل هم الانبياء وأئمّة الهدى ، امّا صبغة هذا السبيل فتتمثّل في التوحيد الذي هو صبغة الله ومن احسن من الله صبغة .

الصراع بين الهدى والضلال ابديّ :

والصراع قائم ابداً بين هذين السبيلين ، وكلّما كان قلب الانسان زكيّاً طاهراً من رواسب الشرك ووجهته وصبغته ، ومن الولاية للشيطان واوليائه كان اقرب الى الله حتّى يصبح من حزبه ؟ أي من التجمّع الذي يؤيّده الله ويسدّده ، وهذا هو حزب الله ، وكم هي عظيمة فضيلة الانسان الذي يسمو حتّى يبلغ مستوى حزب الله ، فهذا الحزب لا يدخله الاّ من صفا قلبه ، كما يشير الى ذلك ـ تعالى ـ في الآية الاخيرة من سورة المجادلة :

«لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله»[1] .

---

١ ـ المجادلة/٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلا يمكن ان يجتمع في قلب الانسان الواحد الايمان بالله والرسول والولاية لاعداء الله. فهل يمكن ان نتصوّر اجتماع الجنّة مع النار؟ كلاّ بالطبع؛ فالقلب المؤمن متميّز عن ولاية الكفّار، فاذا كان الانسان مؤمناً فمن المستحيل ان يوادّ من حادّ الله ورسوله، ولو كان من آبائه أو ابنائه أو اخوانه أو عشيرته.. فحزب الله يفصلك عن كلّ الانتماءات، كالانتماء الى العشيرة والوطن والاقليم والمهنة لتكون صبغتك الحقيقيّة صبغة التوحيد. فنحن ننتمي الى العشيرة ـ مثلاً ـ في ظلّ التوحيد، امّا اذا كانت هذه العشيرة كافرة فلا يجوز لنا ان ننتمي اليها، ولا يجوز ان نحبّها ونوادّها.

يروي لنا التأريخ ان بعض المسلمين قتلوا في سبيل الله آباءهم في معركة بدر، فهذا الاستعداد للتضحية يرفع الانسان المؤمن الى مصاف حزب الله، اما الطرف الآخر فهو الحزب الذي استحوذ على افراده الشيطان، فأنساهم ذكر الله، فهم يقومون بالأعمال الباطلة، واذا ذكّرتهم بالله لا يتذكّرون، ولا يرتدعون، على عكس الانسان المؤمن الذي تصفه الآيات القرآنيّة بقولها:

«انّما المؤمنون الذي اذا ذُكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربّهم يتوكّلون»(١).

والذي ينتمي الى حزب الشيطان تراه دائماً في حالة صراع مع الله ورسوله **«يحادّون الله ورسوله»** ومن يعيش هذه الحالة فانّما هو في الاذلّين، لانّ الله ـ تعالى ـ يقول بصراحة: «**كتب الله لاغلبنّ أنا ورسلي ان الله قويّ عزيز**»(٢).

الامام الحسين القيادة العليا لحزب الله:

والامام الحسين(ع) يمثّل القيادة العليا لحزب الله، فالانتماء اليه (ع) هو

١ــ الانفال/٢.

٢ــ المجادلة/ ٢١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الحقيقة انتماء الى حزب الله ، ذلك لانه تخلّى عن جميع علائقه الدنيويّة في لحظة واحدة. فالانسان قد يضحيّ في الوقت الواحد بشيء واحد ، ولكنّ الامام الحسين(ع) ضحّى بكلّ شيء في وقت واحد ، فهو قد جسّد المفهوم الحقيقيّ للتوحيد ، وكان رمزاً للتضحية والفداء الى درجة انّه ضحّى بطفله الرضيع ، وابناء اخيه ، وكأنّ الامام الحسين(ع) كان يبحث عن أيّ شيء يقرّبه الى الله ـ تعالى ـ.

وعندما أراد ولده زين العابدين(ع) دفنه في اليوم الثالث من مقتله لم يستطع حمله ، فقد كان كلّما حمل عضواً سقط عضو، حتّى هيّيء له الحصير، فوُضع عليه ، ثم أُدخل(ع) القبر في حين كانت جراحة تنزف دماً..

الامام الحسين رمز التوحيد :

وهكذا فقد كان الحسين(ع) رمزاً للتوحيد ، وكان القيادة المثلى لحزب الله ، ومن الجدير بالذكر هنا انّ حركته(ع) كانت كحركة الانبياء ، فقد كانت حركة جذريّة لم يهادن او يداهن فيها مطلقاً ، فقد كان يريد ان يقوّض الكيان الجاهليّ الفاسد بكلّ تفاصيله ، ليبني مكانه القيادة الاسلامية الرشيدة ، وهذه هي الحالة الجذريّة ، فالاصلاح الكامل هي صفة من صفات الانبياء ، فهم (عليهم السلام) يسيرون على خطّ واضح وعلى بصيرة ، وهذه البصيرة تنفعنا في حياتنا كأشخاص ، فينبغي علينا ان لانفتّش عن الاهداف الدنيئة، وعن الاصلاحات الجزئيّة ، فلنفكّر في تغيير انفسنا بالاتجاه الصحيح ، لانّنا لن نستطيع ان نصلح انفسنا بقوّتنا وحولنا ، بل بحول الله ـ تعالى ـ وقوّته .

فلتكن همّتنا عالية سامية ، ولنحاول ان نستفيد من كلّ شيء بأعلى درجة ، وعلى سبيل المثال لماذا لا نحاول ان نجعل صلاتنا رفيعة المستوى ، ولماذا لا نحاول ان نجعلها صلاة الخاشعين ، فالصلاة هي التي تقرّبنا الى الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زلفى، وهي التي تحملنا الى الجنّة..

فلنعمل الاعمال الصالحة بروح ومحتوى، وهذا الذي نتعلّمه من الامام الحسين(ع)، فلنتعلّم ونحن نشترك في مجالس عزائه كيف تخشع قلوبنا، وتدمع عيوننا، ونصنع جوّاً ايمانيّاً نتزوّد منه، فنحن نقف على شاطىء ماء فرات لابدّ ان نرتوي منه لأنّ امامنا طريقاً طويلاً لابدّ ان نتسلّح منه لمقاومة الشهوات، ولمحاربة الفتن.

فلنشارك في المجالس الحسينيّة ونحن نمتلك همّة عالية، ولنكن حسينيّين قلباً وقالباً، وعلماً وعملاً، والله -تعالى- سوف يعطينا بدوره من خلال الحسين(ع) ما نريد، لانّ بابه مفتوح، ورحمته واسعة..

حل جذري:

هذا بالنسبة الى الاشخاص، أما بالنسبة الى العالم السياسيّ فعندما يكون العمل ظاهريّاً فانّنا لا نستطيع ان نقتلع ـ المشاكل من الجذور، ولا يمكن ان تنفعنا في هذا المجال طريقة المداهنة والمساومة، فهي السبب فيما تعانيه امّتنا من المشاكل.

فالحلول الجذريّة -اذن- هي الحلول التي تستطيع ان تغيّر وجه التأريخ، لانّها تقتلع المشاكل التي نعاني منها من الجذور، فالحلّ الجذريّ في العالم السياسيّ هو ان نقتلع الازمات والمشاكل من جذورها، وان نحارب المرض محاربة جذريّة.

ونحن نتعلّم كلّ ذلك من الامام الحسين(ع)، فبنهضته استطاع ان يقتلع جذور بني اميّة اقتلاعاً، فحوّلهم الى لعنة التأريخ، وامثولة الدهر، ومرجم يرجمه البشر باللعنة، والملائكة بالويل.

وهكذا استطاع أبو عبدالله الحسين(ع) ان يغيّر وجه التأريخ بنهضته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجبّارة العملاقة ، وهذا النهج هو الذي ينبغي ان نجعله قدوة لنا ، ونعمل به .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

عاشوراء تجسيد لرسالات السماء

كلّ حركة وكلّ ثورة في التأريخ تنطلق من ارضيّة ثقافية هي قاعدتها ومنطلقها وهدفها، وأبرز ما تتميّز به حركة الانبياء عن غيرها انّها تنطلق من قاعدة التوحيد، وبعبارة اخرى. انّها حركات الهيّـة تستمّد شرعيّتها من رسالة السماء، وتستوحي برامجها منها، ولكنّ هذا التعريف يبقى عائماً من دون معرفة جوهر الرسالات الالهيّة الذي هو الاتصال بالله ـ تعالى ـ؛ أي التسليم له، ثمّ الايمان به ومعرفته وبالتالي الاتصال بنوره.

نظرة الانسان المؤمن الى الدنيا:

انّ اصحاب هذه الرسالات يمثّلون قياداتها الشرعيّة المتجسّدة في الانبياء والأئمّـة(ع)، وأما قاعدتها فمتمثّلة في المؤمنين الصادقين الذين تتصل ارواحهم بنور الله ـ تعالى ـ، حتّى تغدو الدنيا تافهة عندهم بما فيها من بهارج وزخارف واغراءات وشهوات تثيرهم، فينظرون الى هذه الدنيا نظرة خاصّة بهم تختلف عن نظرات الآخرين، فاذا نظر الناس اليها باعتبارها شيئاً ثابتاً، فانهم ينظرون اليها على انّها معبر خاطف، وجسر لهم الى الآخرة، فالدنيا بالنسبة اليهم مزرعة الآخرة، فكما انّ الانسان يريد ان يزرع في الارض شيئاً ثم يحصده لينتفع به، فهم ايضاً يريدون ان يجمعوا شيئاً من حصاد اعمالهم في هذه الدنيا لتلك الرحلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطويلة الشاقّة التي يجب عليهم ان يقوموا بها في الآخرة.

قال ـ تعالى ـ: «**وتزوّدوا فانّ خير الزاد التقوى**»[١].

وقال ايضاً: «**وانّ الدار الآخرة لهي الحيوان**»[١].

فهؤلاء المؤمنون لاينظرون الى اموالهم تلك النظرة الانانيّة الذاتيّة، بل انّ المال امانة في ايديهم، والاهل والاولاد فتنة، والنعم بالنسبة لهم بلاء كما انّ النقم بلاء، فكلّ شيء في الحياة هو بالنسبة اليهم امتحان وابتلاء واختبار لمدى ارادتهم وصمودهم، وهم لا يقسرون أنفسهم على هذه النظرة قسراً، ولا يُكْرَهون عليها ليقبلوها، بل هي نظرة نابعة من عمق شعورهم ووجدانهم الحيّ، وضميرهم المتيقّظ، ومعرفتهم بحقيقة الدنيا والآخرة، وهذا الشعور والمعرفة نابعان بدورهما من اتصال ارواحهم بنور الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

ارواح المؤمنين متّصلة بنور الله:

وعندما نقول انّ ارواحهم متّصلة بنور الله، فانّ هذه الكلمات لا تفي بما نريد ان نعبّر عنه، لانّ هذا الموضوع بالذات ليس مما يوصف بكلمات والفاظ، فأيّة حكمة لا تستطيع ان تكون اوضح تعبيراً من وصول هذا الانسان الى النور ذاته، امّا الذي لم يصل الى النور، ولم يهتد اليه فانّه كالاعمى كلّما فسّرت له كلمة النور كلّما ازداد غموضاً عنده، وابتعاداً عن فهم حقيقة هذا النور.

وكذلك الحال عندما نذكر مفهوم (الاتصال بالله)، فانّ كلّ انسان قد وجد لحظات من الاتّصال النوراني في حياته على الاقّل في لحظات العسر الشديد، او لحظات الانقطاع عن الدنيا، او لحظات التبتّل، ففي هذه اللحظات عرفنا ونعرف ماذا يعني الاتصال بالله.

---

١ ـــ البقرة/ ١٩٧.

٢ ـــ العنكبوت/ ٦٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انّ الاتصال بالله يعني انّ الانسان في تلك اللحظات لا يجد شيئاً أفضل عنده من الله ـ تعالى ـ، وهو لا يستطيع ان يسأل نفسه عن السبب، لانّه ينسى نفسه في تلك اللحظات التي تتّصل فيها روحه بنور الله ـ سبحانه ـ.

والانبياء والأئمّة والاولياء والصالحون(ع) يعيشون هذه الحالة في اغلب اوقاتهم ان لم نقل كلّها، فقلوبهم بين اصابع الرحمان، ونفوسهم متعلّقة بعرشه، فتراهم يعيشون مع الناس ولكنّهم في الواقع يعيشون مع الله، وفي هذا المجال يقول الامام عليّ(ع) : **« مارأيت شيئاً الّا ورأيت الله قبله ومعه وبعده »** و يقول ايضاً : **« والله لو كشف لي الغطاءماازددت يقيناً »** .

يروي ان في احدى الحروب الاسلاميّة أسر المسلمون جنديّاً من جنود العدوّ، فجلس بينهم وقال : الى أي شيء تدعون ؟ قالوا : ندعوا الى ربّ العالمين خالق السماوات والارضين، قال : ومن ربّ العالمين ؟ قالوا : انّ علمه وقدرته وتدبيره محيط بكل شيء .. وعندما وصفوا له الله ـ تعالى ـ تجلّى لقلبه فغمر هذا القلب نور الايمان، فاتّصل قلبه قبل ان يتصل جسده، وتغيّرت حالاته، فقال : اعطوني برامج دينكم ومنهاجه وشرائعه واحكامه، فأوضحوا له هذه المناهج، فأخذ يصلّي، وعندما حان وقت الطعام دعوه للغداء، فرفض ان يأتي، ثمّ لم ينم الليل، وظل جالساً في حالة غريبة، فقالوا له : نم وارتح، فقال : وهل يستطيع احد ان ينام امام الله جبّار السماوات والارض، وخالق كلّ شيء، فبقي ثلاثة ايّام دون ان يأكل او يشرب حتّى توفّاه الله برحمته .

هل نحن من هؤلاء المؤمنين ؟

وبعد، فهذه هي حالات العارفين بالله حقّ معرفته، فهل نحن منهم ؟ وهل نحن من مصاديق المؤمنين الذين وصفهم اميرهم بقوله : **« لولا انّ المؤمنين قد قدّر الله لهم آجالا محدّدة لتحلّقت ارواحهم الى الله شوقاً اليه ، وخوفاً من ناره،**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورغبة في جنّاته».

وهذه هي حقيقة العرفان، انّها المعرفة بالله حقّ معرفته، وهنا اؤكد على كلمة (المعرفة)، والاتصال بالله -تعالى-، هذه الكلمة التي عبّرت بها عن هذه الحالة، والتي لا يمكنها ان تكشف عن حقيقة ما أريد ان اقوله.

ولذلك يضلّ اولئك المؤمنون مشتاقين الى لقاء الله -تعالى- في كلّ لحظات حياتهم، وفي كلّ مكان، فهم ليسوا واثقين من انفسهم لانّهم يتهمونها دائماً، ولكنّهم واثقون من رحمة الله ومغفرته لانّهم عرفوا الله، وعرفوا انّه -تعالى- لايخيّب ظنّهم، وانّه سيغفر لهم ذنوبهم عندما يتوفّاهم:

«الذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنّة ....».

فالملائكة تستبشر بارواح الصدّيقين وارواح الشهداء والاولياء، فتستقبلهم في اول لحظة من لحظات انتقالهم من الدنيا الى الآخرة ولذلك جاء في الدعاء: **«واجعل خير ايّامي يوم القاك»**، فهذا اليوم هو خير ايام حياتهم لانّهم انهوا الامتحان، فانتهت الصعاب، وحلّ وقت الجزاء الذي لا ينتهي، وهل هناك جزاء افضل من رضى الخالق الذي هو سيّدنا والهنا وحبيب قلوبنا ؟

الاستقامة صعبة الاّ على المؤمنين:

انّ الاستقامة صعبة على اولئك الذين لم يتصلوا بروح الله ونوره، اما المؤمنون فانّهم يضحكون و يستبشرون بما اتاهم، فالضغط بجميع اشكاله والوانه لا يعني شيئاً بالنسبة اليهم، حتّى ترى احدهم يمثل امام الحجّاج بن يوسف الثقفيّ الذي يقول له: كيف اقتلك ؟، فيجيبه: ياهذا اختر انت كيف تريدني ان اقتلك يوم القيامة!

فقد تجاوز هذا المؤمن كلّ عقبات الخوف والارهاب، لأنّه يعلم انّ الحجاج لايملك شيئاً، وانّ هذا الظالم انّما يقضي في هذه الحياة الدنيا، كما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اعلن ذلك السحرة التائبون لفرعون الطاغية بقولهم: «**فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا**»[١].

وهذه هي حقيقة الاتصال بالله ـتعالى ـ، ولذلك ترى اصحاب الامام الحسين(ع) لم يشعروا في كربلاء بحّر الحديد رغم انّ اجسامهم لم تتبدّل الى اجسام اخرى لاتحسّ بتعذيب الظالمين، ولكن شوقهم الى الجنّة، واتصال ارواحهم بنور الله ـتعالى ـ جعلهم لا يتأثّرون بثقل الحديد، ولابالقتل الشنيع، الى درجة انّ احدهم كان في اتون المعركة، وفي حرّ الصحراء الشديد، والاعداء محيطون به يرشقونه بنبال كوابل المطر، وجراحاته تنزف دماً، ورغم ذلك كان ينظر الى السماء، ويخاطب مولاه ابا عبد الله قائلا: لقد حان وقت الصلاة؟ وكله شوق لاداء الصلاة مع سيده الحسين(ع).

ترى ماهذه الروح؟ انّه لاينسى الصلاة في أحلك لحظات حياته، بل ولاينسى مستحبّاتها؛ فهو يريد ان يصلي الصلاة جماعة، فيقول له الامام الحسين(ع): أحسنت، ذكرت الصلاة، وجعلك الله من المصلّين.

انّ هؤلاء هم الصفوة الذين اتصلت ارواحهم بنور الله، فمنحهم ـتعالى ـ الاستقامة، وعلى الحركات الاسلامية التي تريد اليوم تحرير بلادها وشعوبها من رجس الطغاة، والأنظمة الفاسدة، عليها ان تحرّر الانسان اوّلاً من الجبت والانحرافات العقائدية والغفلة والنسيان وحبّ الدنيا.

مسؤولية الحركات الرسالية اكبر:

انّ الحركات الرساليّة تتحمّل صعوبات ومسؤوليات اكبر لانّ اهدافها اكبر ولأنّها لا تريد تحرير الارض فقط بالرغم من ان تحريرها يمثّل هدفاً كبيراً ولكنّه

---

١ ـــ طه / ٧٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليس الهدف الاساسي، بل الهدف هو تحرير الانسان، وهو لايتحقّق الّا بعد ازالة الطغاة وتحرير النفس قبل ذلك من ضغظ الشهوات، واغلال النفس، وقيود الجبت.

انّ الجهاد في سبيل الله -تعالى-، والصراع مع الاعداء ينعكسان على النفس البشريّة، فالانسان الذي يجاهد في سبيل الله مخلصاً يكون الجهاد بالنسبة اليه معراجاً يعرج بروحه الى الخالق -تعالى-:

« والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا »(١).

والذين يجاهدون في سبيل الله، يعرفون الطرق المؤدية اليه -تعالى-، وهذا هو هدف الانبياء، وفي كربلاء نجد نماذج من هذه الاستقامة، ومن هذا النوع من الجهاد، وقد اشار الى ذلك الامام الحسين(ع) في دعائه يوم عرفة قائلاً: **« فان لم تكن غضبت عليّ فلا أبالي سبحانك غير انّ عافيتك أوسع لي »**، فالعافية احسن من المرض، والسلم افضل من الحرب، والامن افضل من الخوف، ولكنّ هذا ليس هو الهدف الرئيسي، بل انّ الهدف الاساس هو الرضا.

وهذا الهدف يجب ان نضعه نصب اعيننا دائماً، فالذي يقرأ دعاء عرفة و يتدبّر فيه، و يقرأ خطاب الامام(ع) في مكة المكرمة، والمدينة، ورسائله الى العلماء، ربّما يكتشف جانباً بسيطاً من شخصيّته الايمانيّة، و يعرف لماذا كان(ع) يقدّم اعزّ اصحابه وانصاره وهو يحبّهم، و يشفق عليهم، بل انّه قدّم حتّى طفله الرضيع، ومع ذلك فقد حمل على الاعداء حملة وصفها(حميد بن مسلم) قائلا: « فوالله مارأيت مكسوراً قطّ قتل اصحابه وابناءه واهل بيته أربط جأشاً منه ».

وهكذا فقد الحسين(ع) كلّ شيء في الحياة، ولكنّه لم يفقد الله -تعالى-،

---

١ ــ العنكبوت / ٦٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فدخل(ع) المعركة، وكان كلّما قتل احداً قال «الله اكبر» رافعاً صوته بالتكبير، لكي تعرف نساؤه واهل بيته انّه مايزال حيّاً، لانّه كان أمل الارامل واليتامى الذين لم يكونوا يملكون آنئذ سنداً غير الامام الحسين(ع)، فكلّ من كان يستشهد في الميدان كانت زوجته الارملة، واولاده اليتامى يقولون؛ لا بأس بذلك مادام الامام الحسين على قيد الحياة، فهو العماد الذي نأوي اليه، ولذلك كان(ع) يرفع لهم صوته بالتكبير وهو يخوض تلك اللجج من جيوش الاعداء التي بلغ عددها ثلاثين الف مقاتل.

وهنا لانريد ان نبحث كلّ الجوانب المأساوية في قضيّة الامام الحسين(ع)، وكيف ضُرب بالحجارة، ورمي بالسهام، وطعن بالسيوف، الى غير ذلك من الاعمال غير الانسانيّة، والجرائم، ولكنّنا نريد ان نبيّن كيف كشف القوم حتّى دخل المشرعة، وفي هذا المجال يقول الرواة انّ الحسين(ع) كان يعاني من العطش، فاغترف مقداراً من الماء ليشرب فقال له رجل: يا ابا عبد الله أتشرب الماء والخيل احاطت بحرمك؟، فرمى الماء، وعاد ليتأكد من سلامة حرمه، فكشف الاعداء عنهم، ثمّ عاد الى المعركة، فعادوا مرّة اخرى، وهكذا كانوا يعودون الى حرمه كلّما انهزموا امامه ليهدّدوه باسرهم، وعندما رضخوه بالحجارة، فاصابت حجارة جبهته الكريمة، واصيب اصابات بالغة.

وفي اللحظات الاخيرة من حياته(ع) تعرّض جسده لما لا يقلّ عن مائة ضربة من مختلف الاسلحة، حتى غطّي جسده الشريف بالسهام، ولكنّه مع كلّ ذلك كان يقول في تلك اللحظات: **«هوّن عليّ ما نزل بي انّه بعين الله»**.

وعندما كان(ع) يصدح بهتاف التكبير فانّ قلبه كان يتجدّد استقامة وصبراً وصموداً، وعندما هوى الى الارض لم يجد كلمة يعبّر بها عن واقعه الاّ تلك الكلمة التي تكشف عن طبيعته وشخصيّته، وتصبغ حركته كلّها بصبغة الايمان وهي: **«رضاً برضاك، لا معبود سواك»**.

وبعد، فهذه هي الكلمة الوحيدة التي قالها الحسين(ع) في تلك اللحظات، يقول المؤرخون في هذا المجال: عندما وقع الامام(ع) وبه تلك الجراحات الكثيرة، وحوله الاعداء، جمع حفنة من التراب جعلها كالوسادة، ثم وضع رأسه الشريف عليها، وأخذ يناجي ربّه وكأنّه في طرف والدنيا كلّها في طرف آخر، لايهمّه الا كسب رضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ليؤكّد إلوهيّة مسيرته، وكونها تنتهي الى الخالق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشوراء نهضة خالدة

لماذا بقيت واقعة الطف حيّـة مشتعلة في النفوس طيلة القرون الطويلة ؟ فكلّ عام نستقبل هذه الواقعة التأريخيّـة وكأنّها قد وقعت بالامس ، وجواباً على هذا التساؤل نقول انّ هناك اسباباً مختلفة نستعرض طائفة منها :

السبب الغيبـيّ لخلود ثورة الحسين (ع) :

١ ــ السبب الغيبـيّ : فارادة الله ـ تعالى ـ شاءت أن تبقى هذه الظاهرة مع الزمن ذلك لانّ الحسين(ع) اعطى كلّ ما كان يملك في سبيل الله ، فمنحه ـ تعالى ـ لسان صدق في الآخرين ، وجعل له حرارة في قلوب المؤمنين لا تنطفىء ابداً ، وقد روي في هذا المجال ان فاطمة الزهراء(ع) تأتي قبيل شهر محرّم فتحمل تحت العرش قميص الحسين المضمّخ بدمه ، فيمرّ نسيم ليحمل معه عبقاً تلتقطه مشامّ المؤمنين ، فتشتعل نفوسهم حبّاً للحسين(ع) ، وتفيض قلوبهم بتلك المأساة المفجعة ، واذا بها تتجدّد في كلّ عام.

ونحن لا نعرف بالضبط معنى هذه الرواية ولكننا نشاهد عمليّـاً أنّ المؤمنين ومحبّي اهل البيت(ع) يشعرون على اعتاب شهر محـرّم الحرام بأنّهم يعيشون حالة جديدة ، وانّ موسم الدمع والدم ، والعزاء والتحدّي ، موسم الجراح التي نزفت وماتزال تنزف قد أقبل عليهم ، فيشعرون بدافع قويّ يدفعهم لان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يجدّدوا هذه الذكرىٰ على افضل وجه.

ثورة الحسين لخّصت رسالات السماء:

٢ ــ انّ الحادثة التي وقعت في كربلاء خلال ساعات معدودة في اليوم العاشر من شهر محرّم الحرام عام ٦١هـ قد لخّصت رسالات السماء، فأنت تقف امام الضريح المقدّس لسيّد الشهداء(ع) فتقول:

«السلام عليك ياوارث آدم صفوة الله، السلام عليك ياوارث نوح نبيّ الله، السلام عليك ياوارث ابراهيم خليل الله، السلام عليك ياوارث موسى كليم الله، السلام عليك ياوارث عيسى روح الله، السلام عليك ياوارث محمد حبيب الله...».

وهكذا فانّ جميع الأئمّة الاطهار قد ورثوا رسل الله، فيحقّ لك ان تقف عند ضريح كلّ واحد منهم وتردّد نفس تلك الكلمات، ولكنّ الامرِ يختلف بالنسبة الى زيارة الوارث التي وردت في زيارة أبي عبدالله الحسين(ع)، ذلك لانّ وراثة الأنبياء تجلّت في يوم عاشوراء، هذا اليوم الذي لا يستطيع ان يستوعب ابعاده انسان، فكلّما جاء جيل وقف عند هذه الحادثة ليكشف فيها الجديد، ذلك لانّ تقدّم الايّام يجعل من هذه الحادثة اوضح مما كانت سابقاً، فهناك ابعاد كثيرة في هذه الحادثة علينا ان نستكشفها، فعلى سبيل المثال ماذا يعني الحصار الاقتصاديّ الذي ضُرب على أبي عبدالله(ع) في كربلاء والذي شمل بالاضافة الى المؤمن حتّى الماء الذي هو مباح لكّل الناس.

الجانب المأساويّ لثورة الحسين(ع):

ونحن نعرف ان حادثة الطفّ وقعت في اوائل الخريف، وانّ الفرات يحدث فيه خلال هذه الفترة شبه فيضان، وفي ذلك العصر كانت اراضي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كربلاء والغاضريّات ونينوى وشاطىء الفرات مجموعة اراضٍ متقاربة ومنضمّة الى بعضها البعض، كما ونعلم ان الامام الحسين(ع) قتل بين النواويس وهي قطعة أرض. امّا كربلاء فقد كانت قطعة ارض اخرى، وقد دفن الحسين(ع) في كربلاء، وقد كانت تلك الاراضي مزروعة كلّها في تلك الايّام، ونحن نستنتج من ذلك ان المياه كانت فائضة اي انّ الماء كان يغطّي الأرض، وقد كان شطّ الفرات الذي يمرّ بهذه الاراضي نهراً كبيراً تسير فيه السفن الشراعيّة في تلك الايّام.

ومع كلّ ذلك ومع وجود تلك الخيرات وتلك المياه الغزيرة منعوا الماء ولو بمقدار قطرة واحدة عن الوصول الى اطفال الحسين(ع)، انّه امرٌ لا يمكن استيعابه، وهناك امر آخر لا يقلّ غرابة يتمثل في ذلك الجيش الكبير الذي ارسل الى كربلاء لمحاربة الحسين(ع)، لقد كان هذا الجيش يتكوّن ـ على اقلّ التقديرات ـ من ثلاثين الف جنديّ مسلّح بكامل الاسلحة، بل انّ جيوش يزيد كلّها كانت تحت الانذار لحرب أبي عبدالله الحسين(ع) الى درجة ان الرجل الواحد من اصحاب الامام الحسين(ع) كان يواجه النفير العام من قبل الاعداء عند الهجوم عليهم، وعلى سبيل المثال فانّ العباس بن عليّ(ع) عندما حمل على المشرعة حدثت حالة من الفوضى والبلبلة بين صفوف العدوّ ولذلك فانّ القائد العام لجيش بني اميّة (عمربن سعد) ـ لعنه الله ـ اعلن حالة النفير العام؛ اي انّه امر الجيش كلّه بالهجوم على العبّاس(ع).

ترى ماذا يعني ذلك؟ ربّما نجد الجواب في قول الشاعر العلويّ الملهم:

قسماً بصارمه الصقيل وانّني ... في غير صاعقة السماء لا أقسم

لولا القضاء لمحى الوجود بسيفه ... والله يقضي ما يشاء ويحكم

فقد بلغت شجاعة العبّاس(ع) مبلغاً جعلته يواجه ابطال وصناديد العرب الذين كانوا يمثّلون آنذاك القوّة العسكريّة الاولى في العالم، ولذلك نقول انّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشوراء لخّصت جميع رسالات السماء، ولذلك كانت هذه الواقعة ممتدّة عبر الزمن، لأنّها اكبر من الزمن، واكبر من قدرة الانسان على الاستيعاب، ونحن الآن لم نستوعب جميع ابعاد حادثة الطف ولذلك تبقى في قلوبنا بقيّة ألم، وتبقى قلوبنا تنزف وتنتظر العام القادم لكي تكمل المشوار، فتجدّد بذلك هذه الحادثة كلّ عام.

واقعة الطف جسّدت سنن الله:

٣ ـ انّ حادثة عاشوراء تمثّل سنن الله ـ تعالى ـ في الكون، فللّه سنن في الكون لا تتغيّر: «فلن تجد لسنّة الله تبديلا ولن تجد لسنّة الله تحويلا» (فاطر/٤٣)؛ فالشمس لابدّ ان تطلع من الشرق، وتغرب في المغرب، وهكذا الحال بالنسبة الى سنن الله في المجتمع والتاريخ والاقتصاد والسياسة فهذه السنن لا ولن تتغيّر.

وقد جسّدت حادثة الطف هذه السنن، ولذلك فانّ الزمن كلما مرّ استوحينا من قصة أبي عبدالله الحسين(ع) بصيرة ورؤية نفهم من خلالهما الظواهر الاخرى، فكلّ يوم عاشوراء وكلّ ارض كربلاء.

ومن محاسن المجالس الحسينيّة تربيتها للشباب وللبراعم حتّى وان لم يفهموا كلّ ما يدور فيها، ولكنّ تواجدهم في هذه المجالس، واشتراكهم في احياء الشعائر الحسينيّة هو بحدّ ذاته عمل مفيد، لأنّهم يتربّون على هذه الشعائر حتى يستلموها منّا ليسلّموها الى الجيل الذي يأتي من بعدهم.

ومن الطريف ان نذكر هنا ان المجالس الحسينيّة تستهوي حتى الاطفال، ذلك لان هؤلاء البراعم كانوا يشكّلون جزءً من برنامج الامام الحسين(ع)، فلقد حمل معه الاطفال الى كربلاء، فالامام الباقر(ع) كان طفلاً صغيراً عندما وقعت حادثة الطف، ويمكننا القول انّ سبعين طفلاً شهدوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واقعة كربلاء، ولذلك فقد نقلوا هذه الواقعة الى الاجيال التالية.

وهنا أعود لاقول ان الطفل الذي يدرج في مجالس أبي عبدالله، وينمو تحت ظلّها، مثل هذا الطفل عليه ان يمتلك الرؤية الواضحة في المستقبل، وان لا يسأل: ماذا نفعل عندما يغزو العدوّ بلادنا؟ لأنّ الاجابة واضحة، فعلينا ان نسأل انفسنا: ماذا كنّا نقول خلال الفترة الماضية، وماذا كنّا نسمع من الحسين خلال المجالس؟، انّ الحيرة والتردّد مرفوضان للاسباب التالية:

١ ـ نحن كنّا نعتقد ومانزال انّ الحسين(ع) هو امامنا، به نقتدي، ونستضيء بنوره، ونتّبع سيرته، ونتّخذه قدوة لنا.

٢ ـ نحن نردّد في المجالس الحسينيّة قائلين: يا ابا عبدالله ليتنا كنّا معك؛ اي انّنا نتمنّى ان تقع حادثة مثل حادثة كربلاء لنجّسد فيها الروح الحسينيّة، والولاء الحسيني..

٣ ـ نحن نسمع دائماً كلمات الامام الحسين(ع) في رفض الظلم والطغيان كقوله: «**الا وانّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين؛ بين السلّة والذلّة وهيهات منّا الذلّة**»، صحيح ان المقصود بالدعي هنا هو (زياد بن ابيه)، ولكن القول هذا يشمل أيضاً كل انسان ليس له أب معلوم، أي كل لقيط، وكل مجرم ظالم..

كربلاء دروس خالدة:

وهكذا فانّ دروس كربلاء مازالت دروساً حياتيّة بالنسبة الينا، فلو استوعبنا هذه الدروس لانقذنا بذلك حياتنا وبلداننا، فالتأريخ الطويل العريض قد يدور كلّه على قرار وارادة انسان واحد؛ اي انّ هذا الانسان وفي لحظة تاريخيّة حاسمة قد يصدر قراراً حاسماً ليغيّر مسيرة التأريخ.

ولغرض ايضاح هذا الموضوع اضرب مثلاً من ثورة الامام الحسين(ع)؛ في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك اليوم الذي كان فيه مسلم بن عقيل في بيت هاني بن عروة واتّفق ان ابن زياد جاء يزور هاني ، ألم يكن هناك شيعيّ واحد تستيقظ عنده الغيرة ليهجم على ابن زياد و يريح العالم منه ؟ ، يقولون انّ مسلماً هو الذي كان مكلّفاً بقتله،ولماذا مسلم ؟ ولماذا لا تقومون انتم بدوركم ؟

و بناء على ذلك فانّ الدروس ماتزال ذات الدروس ، وقضيّة كربلاء لا يمكن ان تنتهي لأنّ دروسها لا تنتهي ، ونحن محتاجون الى هذه الدروس نفسها مع مرور الزمن ؛ نحتاج إلى الشهامة والشجاعة والايثار والتضحية ، ونحتاج الى الحكمة في العمل والتخطيط.

انّ علينا جميعاً ان نتحّمل المسؤوليّة او جزءً منها على الاقلّ. فنحن لم نوضح للناس من هو الامام الحسين(ع) ، وماذا فعل ، وما هي علاقتنا به ، وكيف نأخذ الدروس والعبر من واقعته ؟ ، البعض يتكلّم عن الامام الحسين(ع) وكأنّه يتكلّم عن قضيّة تأريخيّة بحتة ، أو قضيّة غيبيّة بحتة !

انّ الامام الحسين(ع) مصباح هدىً وسفينة نجاة ؛ أي اذا أظلمت عليك الدنيا ، ولم تعرف ماذا يجب ان تفعل ، ولا تعرف كيف تقضي على الطاغية الفلاني ، وكيف تستطيع ان تحرّر بلدك من رجز الاحتلال ، فعليك ان تستلهم الموقف من قضيّة الامام الحسين(ع) ، فيجب علينا ان نبيّن للناس دروس كربلاء ، وأن نتناولها كقضيّة تأريخيّة وكقضيّة غيبيّة معاً مضيفين إليهما قضيّة اخرى هي القضيّة الحياتيّة ؛ اي ان نستلهم منها دروساً يوميّة لحياتنا ، فاذا ما واجهت لوحدك موجة من الاعداء فلا تخف بل توكّل على الله ، واكتب وصيّتك وتقدّم لأنّك بهذا العمل ستضمن حياة الامّة ، فالانسان عندما يقتبس من نور الحسين(ع) ، وتجري في عروقه قطرة من دم أبي عبدالله واصحابه فانّه لا يمكن ان يكون ذلك الانسان المتخاذل الجبان ، بل يصبح رجلاً متميّزاً ومتفوّقاً ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسيكون بامكانه تحرير بلده، رغم المعادلات الدوليّة التي تبقى فوقيّة بل انّها قد تهيء الفرص والظروف لصالحنا.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

عاشوراء رسالة الاعلام الجماهيريّ

نستقبل في كلّ عام مناسبة تمثّل القمّـة في تحدّي الايمان للكفر، وفي تبلور الصراع بين جبهة الحقّ وجبهة الباطل، ألا وهي مناسبة عاشوراء، ونحن لو انصفنا هذه المناسبة لجعلنا من كلّ ايامنا عاشوراء، ومن كلّ بقعة من بقاع الارض كربلاء.

فهذه المناسبة ليست مناسبة تاريخيّـة مضت ولم يبق منها الّا عبرها، وإنّما هي في الواقع حركة ابتدأت عام (٦١) للهجرة ولكنّها امتدّت وتصاعدت عبر السنين حتّى اليوم، ففيها تتجلّى ابعاد مختلفة، فهناك تضيق المسافة بين الانسان والقيم لأنّ جسر التضحيات يقـرّب الانسان من العالم المعنويّ والافق الاعلى بما لا يقـرّبه شيء آخر.

وفي هذه المناسبة تتجلّى ايضاً حالة الاجتماع حيث انّ الفوارق التي تفصل بين الانسان ونظيره الانسان، وبين المؤمن واخيه المؤمن، تتضاءل الى درجة ان كلّ واحد يشعر انّه يندمج مع الآخرين اندماجاً كاملاً.

ومع ذلك فانّ القضيّـة الاعلاميّـة هي اهم المفردات التي تتجلّى في هذه المناسبة؛ أي قضيّـة الدعوة الى الله واعلان كلماته والدفاع عن عباده واعلان البراءة من اعدائه، ولذلك فانّي سوف اخصّص هذا الفصل للحديث حول القضيّـة الاعلاميّـة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبشكل عام يمكننا القول انّ هناك منهجين اعلاميّين في العالم :

منهجان في الاعلام:

١ ـ المنهج الرسميّ : اي الاعلام القائم على اسس واضحة مشروعة ومعترف بها لدى المؤسّسات الاجتماعيّة والسياسيّة القائمة ويتمثّل هذا الاعلام في الجرائد والاذاعات واجهزة الاتّصال العامّة الاخرى.

٢ ـ الاعلام الجماهيريّ المرتبط بالانسان؛ اي الاعلام الذي لا يقوم به جهاز خاصّ او مؤسّسة خاصّة وانّما يقوم به كلّ واحد من ابناء الامّة.

ونحن المسلمين علينا ان نهتمّ بكلا المنهجين في الاعلام، وبالنسبة الى المنهج الاوّل فانّ هناك شعوراً بانّنا متأخّرون ومتخلّفون فيه، ومن الخطأ بمكان ان نقول انّ الذين يقتلوننا وينهبون ثرواتنا ويعتدون على حرماتنا انّما يفعلون ذلك بقوّة السلاح، كلاّ، فقوّة السلاح هي في الحقيقة قوّة ثانويّة اذا ما قيست بقوّة الاعلام، فهم يقتلوننا بالسنتهم قبل ان يقتلونا برصاصهم.

والدليل على ذلك أنّ المجازر التي ترتكب بحقّ المسلمين في انحاء العالم تحدث والعالم يغرق في سكوت رهيب، وهنا يتجلّى عمق المأساة اذ انّ العالم وبالذات العالم الاسلاميّ كان قد فقد منذ زمن حصانته وقيمه الروحيّة، فالاسلام الذي جاء نصيراً للمستضعفين ضدّ المستكبرين، والذي جاء لتكريس قيم الرسالات الالهيّة في الانسان قد تحوّل عند المسلمين الى قشور زائفة الى درجة انّك تجد انّ الكثير من المسلمين يقفون مكتوفي الايدي ازاء ما يحدث من مجازر.

فلو أن المسلمين كانوا مايزالون يحملون الضمير الذي صنعه الاسلام في المسلمين الاوائل لما تجرّأ الاستكبار على ارتكاب تلك المجازر، فمن الذي افسد ضمير المسلمين، ومن الذي جعلهم لا يدافعون عن قيمهم؟ انّه الاعلام

المزّيف والمضّلل، فعشرات الاذاعات والصحف والمحطّات التلفزيونيّة وسائر الاجهزة الاعلاميّة المضّللة ساهمت ومنذ فترة طويلة في افساد الرأي العام عند المسلمين في غيبة من اصحاب الفكر الواعي، والضمائر الحرّة.

مسؤوليّتنا ازاء الاعلام المضلّل :

وهنا تتجلّى مسؤوليّتنا نحن المسلمين اليوم؛ وهي ان لاندع هذه الاجهزة تستبدّ بتوجيه الرأي العام، وأن نفصل هذه الاجهزة عن هذا الرأي العام من خلال صنع الاجهزة البديلة، فما هو المانع من ان نصدر الصحف مثلاً؟ صحيح انّ حريّة الصحافة محدودة في اكثر البلدان الاسلاميّة، ولكنّ الانسان اذا اراد شيئاً وسعى اليه فسيحقّقه، علماً انّ هنا بلداناً ماتزال فيها بقيّة حريّة، فلماذا لا نستغلّها؟ فلو استفدنا من هذه الحريّة الممنوحة هنا وهناك، وقمنا بواجبنا لوفّق الله ـ تعالى ـ المسلمين للمزيد منها، ولكننا لا نستغلّ هذه الحريّة للأسف.

انّ الانسان المؤمن الذي نريد الدفاع عنه هو أعزّ عند الله من الكعبة كما تؤكد ذلك الاحاديث الشريفة :

«المؤمن اعزّ من الكعبة» و **«الكعبة للناس وطليعة الناس للمؤمنين»**، وهكذا فانّ الدفاع عن هذا الانسان المؤمن وعن كرامته وحرمته ودمه واجب ايضاً.

ولقد اهتمّ الاسلام اهتماماً كبيراً بالتبليغ والدعوة وارشاد الجاهلين، فلماذا لا يبادرأهل الثروة فينا الى الانفاق في هذا المجال؟ ولماذا لا يقدم أهل القلم عندنا على اصدار الصحف؟ وباختصار لماذا لا نضع هذه المسألة الاساسيّة في الاولويّة؟

علينا ان نهتمّ بالاعلام والصحف والاذاعات واجهزة الاعلام الاخرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما يهتمّ الغرب بها ،ففي بريطانيا وحدها تصدر مئات الصحف والنشرات يوميّة وغير يوميّة بل انّ بعض الصحف اليوميّة تصدر ثلاث مرّات كلّ يوم ، وفي الولايات المتّحدة هناك اكثر من الفي محطّة اذاعيّة ومئات اجهزة الارسال التصويريّة ، فالعالم يهتمّ بالاعلام ولكنّ المسلمين متخلّفون واذا اردنا صون كرامتنا ، والدفاع عن انفسنا فلابدّ من ان نسعى من أجل اقامة جهاز اعلاميّ يدافع عن حرماتنا.

وفيما يتعلّق بالمنهج الآخر، فلو افترضنا انّ العالم قد ضاق بنا ، ولم يدعنا نتحدّث عبر الاجهزة الاعلاميّة ، فقاوم اجهزتنا الاعلاميّة ، فعلينا ان نتّبع المنهج الآخر هذا (أي الاعلام الجماهيريّ)، هذا المنهج الذي وضع أساسه الامام الحسين(ع) في كربلاء.

تفاصيل منهج الاعلام الجماهيريّ:

ترى ماهي تفاصيل هذا المنهج ، وكيف ندعو الناس على ضوئه ؟ الجواب على ذلك يتمثّل في ان يكون كلّ واحد منّا ومن ابناء الامّة الاسلاميّة جهازاً اعلاميّاً ، فهل تعلم ان البكاء على السبط الشهيد(ع) هو بحدّ ذاته اعلام ، فالانسان مجبول ومفطور على ان يجاري الباكي ، فاذا ما بكى شخص امامك فانّ من الطبيعيّ ان تواسيه وتشترك معه في مشاعره.

وقد أمرنا الاسلام بالبكاء وخصوصاً البكاء على السبط الشهيد ، و يروى في هذا المجال انّ (ابن شبيب) دخل ذات مرّة على الامام الرضا(ع) فقال له(ع) : يا بن شبيب ان كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فانه ذبح كما يذبح الكبش(١). كذلك روي في الحديث : «من

---

١ ــ موسوعة بحار الانوار ج٤٤ ص٢٨٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بكى وأبكى فينا واحدا فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة»[٢].

والبكاء على السبط الشهيد (ع) ينبغي ان يكون بالعويل والصراخ أي بالاعلان والاعلام لا ان يكون في بيتك بل في المجالس العامّة وهذا هو الاعلام المؤثّر في النفوس.

والوسيلة الاخرى في هذا المجال انّك عندما تشترك كشخص في مجلس حسينيّ حتّى وان كان على قارعة الطريق فانّ مساهمتك في هذا المجلس هي بحدّ ذاتها اعلام عن مظلوميّة الحسين(ع)، ودفاع عن كلّ المظلومين في الارض، وعن كلّ القيم التي من اجلها استشهد ابو عبدالله الحسين(ع).

اما بالنسبة الى المسؤوليّة التي يتحمّلها الخطباء في هذا المجال فنحن كنّا نمتلك على امتداد اربعة عشر قرناً جهازاً اعلاميّاً خاصّاً بنا يتمثّل في خطباء المنبر الحسينيّ غرسوا في نفوسنا حبّ المظلوم، وكراهة الظالم، وقيم الحقّ والعدالة، ووصيّتنا لهؤلاء الاخوة تتمثّل في النقاط التالية:

ضرورة الاكثار من خطباء المنبر الحسينيّ:

١ ـ الاكثار من عددهم وذلك عبر اهتمام الناس بهذا الحقل الاعلاميّ الهامّ، فقد كانت هناك دعايات اجنبيّة مغرضة تحاول الحطّ من شأن هؤلاء الذين هم الدعاة حقّاً الى الله ـتعالى ـ، ولذلك فقد كانت تلك الدعايات تحاول صرف الناس عن هذا المجال، في حين انّ علينا ان نرغّب الناس فيه لكي يشجّعوا ابناءهم على ان يصبحوا خطباء حسينيّين.

ترى لماذا يمنع الآباء ابناءهم من طلب العلم، ولماذا يشجّعونهم عليه؟ انّ من دواعي شرف وفخر الوالدين والعائلة ان يبرز بينهم من يدعو الى الله،

١ ـ موسوعة بحار الانوار / ج ٤٤ ص ٢٨٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و يدافع عن الحسين(ع).

وللأسف فانّ ابا عبدالله مايزال مظلوماً الى الآن، ففي البلدان العربيّة، وفي الحجاز موطن أبي عبدالله الحسين (ع) يصدر كتاب في الدفاع عن (يزيد)! كما انّ قبور أئمّتنا في البقيع ماتزال مهدّمة، أو ليس الحسين(ع) مظلوماً بعد ذلك؟، انّه مايزال يستصرخنا، ومايزال صوته يدوّي في الأفق؛ هل من ناصر ينصرنا؟ فلماذا لا ننتصر له اذا اردنا ان نحظى بشفاعته؟

ومن جهة اخرى فان المنبر الحسيني ينبغي ان لايكون حكراً على فئة خاصّة، فكلّ من يستطيع ارتقاء المنبر ودعوة الناس الى القيم التي دافع عنها السبط الشهيد لابدّ ان يفعل ذلك دون تردّد، فالمنبر لكلّ داعية وعالم.

ضرورة تطوير الحديث عن ثورة الحسين(ع):

٢ ــ الوصيّة الثانية تتمثّل في ان يطوّر هؤلاء الاخوة احاديثهم، فلابدّ ان يتحدّثوا عن أبي عبدالله الحسين(ع) وكأنّه بينهم، فالحسين تتجّدد في كلّ عام حياته ودعوته وتتجّدد صرخته، ولابدّ ان نعلن للناس عن هذه الحقيقة، فالحسين لم يكن للجيل الذي عاش فيه، بل هو لكلّ الاجيال، ولذلك ينبغي ان نشرح واقعة كربلاء وكأنّها وقعت هذا العام، وان نربطها بالمجازر التي تحدث ضدّ المسلمين في العالم.

وبالطبع فاني لا اقصد هنا ان نترك الواقعة التأريخيّة لنتحدّث عمّا يجري حولنا فقط، بل اعني ان نبيّن الواقعة لتكون مثلاً ورمزاً للاحداث التي تقع في كلّ يوم، فتلك الواقعة التأريخيّة هي في الواقع صورة مكتملة الجوانب والابعاد عما يحدث في العالم، فلابدّ اذن من ان ننظر الى ما يحدث من مجازر ومآس في عالمنا من خلال واقعة كربلاء، ومن خلال القيم التي نهض من اجلها ابو عبدالله الحسين(ع)، لكي لا يتجرّأ أحد للدفاع عن طواغيت العصر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا فانّنا اذا فصلنا الواقعة التأريخيّة عمّا يحدث او فعلنا العكس فانّ الطلاق بين الحقيقة والواقع وبين القيم وتطبيقات القيم على الارض، وهنا تحدث تلك الحالة التي وقعت عند بعض المسلمين فيصعد احدهم المنبر الحسينيّ ليمنع الناس من العمل في سبيل الله والجهاد والتضحية، فيدافع بعمله هذا عن يزيد لا عن الحسين، لانّ الاخير لم يعد رمزه ومثله.

الحسين(ع) ثورة ممتدّة:

انّ الحسين (ع) لم ينته ولا يمكن ان ينتهي، وثورته ممتدّة، ونحن نجدّد ذكرى كربلاء وعاشوراء كلّ عام بل كلّ يوم لان الحسين(ع) يعيش بيننا ونداؤه يملؤ آذاننا، ودمه في عروقنا، ولذلك فانّ علينا ان نهتمّ بالاعلام الجماهيريّ وذلك من خلال صنع المنبر الحسينيّ المتكامل الابعاد الذي انّما نصنعه بتطويره، والتطوير هذا يحدث بان نجعله يعايش الزمن.

وعندما يحدّثنا الله -سبحانه- عن المسيرة الايمانيّة في التأريخ فانّه يكشف لنا عن مدى اجتهاد أئمّة الكفر واشياع الضلال من اجل دحض الحقّ بالباطل، تأمّلوا مثلاً قوله -تعالى- في سورة غافر:

«كذّبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمّت كلّ امّة برسولهم ليأخذوه»(١).

فقد كانت همّة الامم الضالّة منصبّة على اعدام رسلهم، اي اعدام الدعاة الى الله الذين كانوا يدعونهم لنبذ الباطل، ثم يستأنف -تعالى- قائلاً:

«وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم فكيف كان عقاب»(٢).

ونحن نبشّر كلّ الطغاة في العالم بعذاب اليم ينتظرهم، فالله -تعالى-

---

١،٢ ــ غافر / ٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سينتقم لعباده المؤمنين، وستجدون كيف ستضيق الارض باولئك الطغاة الباغين الخارجين عن الاسلام الذين باعوا شرفهم وكرامتهم وقيمهم وكل ما يملكون للمستكبرين، فلينتظروا قليلاً وسيرون انّ يوم المظلوم على الظالم اشدّ من يوم الظالم على المظلوم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـــاب الثالث

مدرســة الحيـاة

الفصل الاول : كربلاء مدرسة الانتصار على الذات.

الفصل الثاني : كربلاء ينبوع الثورات.

الفصل الثالث : كربلاء نهاية الانحراف.

الفصل الرابع : كربلاء ملحمة الرسالة.

الفصل الخامس : كربلاء مدرسة الرسالة.

الفصل السادس : كربلاء المسيرة.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

كربلاء مدرسة الانتصار على الذات

انّ النفس البشريّة هي كلّ لا يتجزّأ، والحقول المختلفة للحياة تتفاعل مع بعضها لتكوّن حياة واحدة مركبّة من كافّة العوامل.

والثورة هي نتاج كلّ العوامل التي تتفاعل في الحياة، والضغوط التي تؤثّر على النفس، والثورة الرسالية هي التي تستلهم قيمها من قيم الله كثورة سيّد الشهداء الامام الحسين(ع)، وهذه الثورة تؤثّر في الحياة الاجتماعيّة بقدر انعكاسها على النفس البشريّة، فالنفس تصفو بالثورة، والثورة بدورها هي نتيجة الصفاء النفسيّ، وكما انّ الثورة تستهدف ازالة النفاق والفساد الاجتماعيّ من واقع الحياة، فهي ايضاً تهدف الى القضاء على النفاق والفساد في النفس البشريّة.

الانتصار هو تجاوز الضعف البشريّ:

انّ الذين ينتصرون على أنفسهم وضعفهم، ويتغلّبون على تردّدهم في الحياة، ويكتشفون ما أدوع الله في كيانهم من كنوز العقل والارادة والضمير الحيّ النابض، انّ هؤلاء منتصرون لامحالة على قوى الشرك والضلالة والجهالة في المجتمع.

والصراع الاجتماعيّ النابع من ارادة حرّة، وضمير انسانيّ، وعقلية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واعية ، هذا الصراع يهديه الى الصراط المستقيم ، كما اشار الى ذلك ـ تعالى ـ :
«والذين جاهدوا فينا لنهديّنهم سبلنا»[١] .

وعملية الجهاد او الصراع هي عمليّة مواجهة الفساد الاجتماعيّ ، هذه المواجهة التي تقتلع من النفس البشريّة جذور الفساد والنفاق والانحراف ، ذلك لانّ للانسان قوّة خارقة في الخداع الذاتي . فبالرغم من انّه تحمّل مسؤوليّة رفضت السماوات والارض والجبال تحمّلها ، واشفقن منها ، الا انّ نفسيّة هذا الانسان ظلومة كفّارة ، تحاول ان تحجب الحقيقة عن ذاتها بأن تخدعها وتخدع من حولها ، ولذلك فانّ كلّ انسان ينطوي في داخله على نسبة كبيرة من النفاق وممّا يزيد الطين بلّة انّ موعظة الناصحين ، وهداية المؤمنين ، وتلاوة آيات القرآن بل وحتّى صدمات مآسي الحياة لا تستطيع ان تنتزع من النفس البشريّة جذور النفاق ، فيبقى الانسان منافقاً بالنسبة الى ذاته وغيره ، وتبقى جذور الانحراف حيّة في نفسه ، فأنّى عادت اليه الحياة الطيّبة المترفة عاد منحرفاً عن طريقه .

طبيعة الانسان كما يرسمها لنا القرآن :

ويحكي لنا القرآن الكريم طبيعة الانسان هذه من خلال الصورة التي يرسمها لنا عن اولئك الذين ركبوا في البحر ، وجرت بهم ريح طيّبة ففرحوا بها ، ثمّ أحاطت بهم العواصف والامواج من كلّ مكان ، فتساقطت امام اعينهم الاوهام ولم يعودوا يشركون بالله شيئاً :

«دعوا الله مخلصين له الدين ، فلمّا نجاهم الى البرّ اذا هم يشركون»[٢] .

---

١ ـ العنكبوت / ٦٩ .
٢ ـ العنكبوت / ٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقبل قليل كانت نفوسهم وقلوبهم وكلّ وجودهم متوجّهاً الى الله ـ تعالى ـ يستمدّون منه العون، و يدعونه مخلصين، ولكنّهم سرعان ما ينسون او يتناسون كلّ عهودهم ومواثيقهم ليعودوا مشركين!

و يبيّن لنا القرآن ماهو اغرب من ذلك عندما يرى الانسان بأم عينه اهوال الموت، وفظائع القبر، ثمّ عذاب الله يوم القيامة، ومع ذلك فانّه لو اعيد الى الدنيا لعاد الى ما كان يفعله سابقاً من ذنوب: **«ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه انّهم لكاذبون»**[1]، وهذه هي طبيعة النفس البشريّة وطغيانها، فكيف يمكننا القضاء على هذا النفاق والخداع او الطغيان النفسيّ؟

لا يمكننا ذلك الا من خلال خوض الصراع والجهاد، فبواسطة المحاولات المتكرّرة والمستمرّة يتمّ تغيير الحياة واصلاحها، و يتمّ للانسان التغلّب على طغيان نفسه، فالملاحظ انّ الناس كلّما اسقطوا صنماً حجريّاً قائماً في الحياة الاجتماعيّة فانّهم يسقطون بموازاته صنماً من الاخلاق الفاسدة في انفسهم، فعندما نحارب طاغوتاً، او نظاماً فاسداً، او مؤسّسة اجتماعيّة منحرفة فانّنا نحارب بقدرها وبموازاتها طغياناً وانحرافاً في انفسنا، وصنماً قائماً في ذواتنا.

ولا يمكن للانسان ان يقول في البدء انّ عليه اصلاح نفسه، واسقاط الطواغيت المتراكمة داخل ذاته كالخوف والكسل والفشل والجبن، ومن ثمّ يقضي على طاغوت الالحاد والفساد في المجتمع، ذلك لانّ العمليّة تفاعليّة، ففي كلّ خطوة يجب علينا القضاء على طاغوت في انفسنا في نفس الوقت الذي نقضي فيه على طاغوت في المجتمع.

احياء ذكرى عاشوراء وسيلة لتزكية النفس:

وعندما نجلس في محفل من محافل ذكر الامام الحسين(ع) وثورته الخالدة

---

١ ــ الانعام/٢٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي هي خلاصة لثورات الانبياء، وامتداد لرسالات الله، فانّنا انّما نفعل ذلك لتصفية انفسنا، وتزكية ذواتنا، فهذه الدموع التي تجري على مصاب السبط الشهيد من شأنها ان تغسل قلب الانسان، وتزيل الصفات السيّئة من نفسه، فترى الانسان يلتحم من خلال هذه الدموع، وبفضل هذه التزكية مع روح الحسين(ع) صاحب البطولات النادرة، أي مع تلك النفسيّة التي انتصرت على كل عوامل الضعف البشريّ.

ان هذه الدموع هي وسيلة تلاحمنا، وأسلوب تفاعلنا واتصالنا بينبوع فيض الحسين(ع)، وفيض اهل بيت النبوة، واصحابه، وهكذا الحال بالنسبة الى كل نوع من انواع تجديد ذكرى ابي عبدالله الحسين (ع) فانّه يجعلنا اكثر تفاعلاً مع هذه المأساة، وبالتالي اكثر استيعاباً لدروسها، ونجاحاً في القضاء على نفاقنا وخداعنا الذاتيّين.

انّ الامام الحسين (ع) هو حجّة الله علينا يوم القيامة، فماذا تعني الحجّة؟ انّها تعني انّ الله -تعالى- الذي خلقنا وخلق الامام الحسين(ع) ومنحه تلك المواهب، قادرٌ على ان يتفضّل بمثل تلك المواهب علينا، ومن ضمن هذه المواهب صبره وتحمله في ذات الله رغم المصائب الكبيرة التي تحّملها في يوم عاشوراء، ذلك لانّه (ع) كان متّصلاً بقدرة الله، وقد تجلّى ذلك في مصيبة ابنه علي الاكبر، وفاجعة الطفل الرضيع الذي ألهب الجوع والعطش والحرّ قلبه وكبده الصغيرين، وعندما يطلب الامام الحسين(ع) شربة من الماء لهذا الطفل يمطره الاعداء بوابل من السهام الغادرة فيذبحونه على صدر أبيه.

كيف انتصر الامام الحسين(ع) على الضعف البشريّ؟

ترى هل يوجد قلب بشريّ قادر على ان يتحّمل مرارة هذه المصيبة وألمها؟ ولكنّ الامام الحسين(ع) يمسك بالدم، ويرمي به نحو السماء قائلاً:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«هَوَّنَ عليّ مانزل بي أنّه بعين الله».

وهنا أسألك ايها الانسان ـ ولا أقول ايها المسلم او الموالي ـ ؛ كيف انتصر الامام الحسين(ع) على عوامل الضعف البشريّة في ذاته ؟ كيف انتصر على حبّه العميق او بالاحرى على شفقته الشديدة كأب تجاه ابنه الرضيع ، ونجله الشاب الوسيم الذي رآه امامه مقطّعاً بالسيوف ارباً ارباً ؟ كيف انتصر على هذه العوامل كلّها وهو بشر ، وكان صامداً كالطود العظيم ازاءها ، بل و يتهلّل وجهه الكريم انشراحاً كلّما ازدادت مصائبه ؟

لا شكّ انّ ذلك كان لارتباطه العميق بربّ العالمين ، لانّه يرى انّ هذه المصائب هي الجسر الذي يربطه بالخالق ـ تعالى ـ ، و يقرّبه اليه زلفى ، فلماذا لا تنتصر انت ايها الانسان على ضعفك ؟ انّ الحسين(ع) هو حجّة الله علينا ، فكلّما نجلس ونذكر ثورته(ع) ، ونعظّم فيه هذه البطولة كلّما ندين ضعف انفسنا ، ونحثّها على سلوك الطريق الذي سلكه الامام الحسين(ع) للانتصار على ضعف انفسنا ، وهذا هو الدرس الاعظم الذي يستطيع كلّ انسان ان يستوعبه من سيرته(ع).

كربلاء مدرسة متكاملة :

وهكذا فانّ كربلاء هي مدرسة متكاملة للناس بمختلف فئاتهم ، فالشباب بامكانهم ان يدرسوا عند عليّ الاكبر والقاسم وسائر شباب هل البيت(ع) وللشيوخ ايضاً اساتذتهم في كربلاء كحبيب بن مظاهر ، ومسلم بن عوسجة وغيرهما من الذين ضحّوا في سبيل الله ، كما انّ النساء بامكانهنّ الاستفادة من هذه المدرسة من خلال التتلمذ عند زينب الكبرى (ع) ، وعند النساء الفاضلات الاخريات اللاتي اشتركن في ملحمة عاشوراء.

انّها لمدرسة خاصّة ، مدرسة كربلاء التي بامكان الجميع ان يتعلّموا منها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلّ صفة وكلّ مكرمة؛ فالوفاء عند ابي الفضل العباس، والشجاعة عند الامام الحسين، والحنان واللطف عند زينب الكبرى التي كانت رغم شجاعتها وبطولتها تفيض على كربلاء شآبيب الحنان والحبّ والعطف فاذا بها النموذج الاسمى للانسانيّة الشجاعة، فزينب(ع) تعلّم الامهات كيف يدفعن ابناءهنّ الى ساحة المعركة، والمرأة الشابّة كيف تحرّض زوجها على الجهاد.

وهكذا فانّنا نتعلّم من مدرسة كربلاء الصفات الانسانيّة الرفيعة المستوى، ونتعلّم منها الدروس العظيمة.

وفي نفس الوقت فانّنا كلّما رأينا انحرافاً وضلالاً وفساداً عند جيش العدوّ أي عند شيعة آل ابي سفيان -عليهم اللعنة- تتفجرّ بغضاً وحنقاً عليهم، فاذا ما رأينا ما انتهى اليه هذا الجيش، وكيف انّ الانسان اذا اعرض عن هدى الله، وانحدر من قمّة الانسانيّة سوف لا يلوي على شيء، وسوف يهبط الى الحضيض والدرك الاسفل، فانّ هذا يعطينا درساً بان الانسان إن لم يتمسك بهذه القمّة فسوف تقلعه الرياح؛ رياح الشهوات، ورياح الضغوط الاجتماعيّة، كما حدث لشمر بن ذي الجوشن.

كيف ينحدر الانسان الى الحضيض؟

هذا الرجل يقول: هممت ان احزّ رأس الامام الحسين (ع)، فانحدرت الى المكان الذي صرع فيه، فوقع نظري على عينيه فهبته، وولّيت هارباً وقد سقط السيف من يدي، لا شكّ انّ هذا الرجل شقيّ ولكنه عندما يرى عيني الامام الحسين (ع) اللتين تشبهان عيني رسول الله (ص) يتراجع عن فعلته. فالحسين (ع) -كما جاء في بعض الاحاديث- لم يكن ينام الليل، وكان دوماً مشغولاً بالعبادة والدموع تجري من عينيه الكريمتين، فكيف تسنّى لشمر بن ذي جوشن بعد ذلك ان يجلس على صدر الامام الحسين(ع)، ويحزّ رأسه الكريم؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انّ هذا هو الحضيض الذي ينحدر اليه الانسان عندما يصدّ عن هدى الله ، وينفلت من التمسّك والاعتصام بحبله ـ تعالى ـ .

انّ بداية الانحراف بسيطة ولكنّ نهايته ستكون كنهاية عمر بن سعد الذي كان ـ حسب ما كان يدّعي ـ ابن فاتح العراق ، وابن عمّ الامام الحسين (ع) ، و يعرف ماذا يعني قتل هذا الامام ، ولكنّه مع ذلك انحدر في مسيره الهابط حتّى اختار قتل للامام الحسين (ع) .

ترى كيف يمكن للانسان ان يصل الى هذا المستوى ؟ انّه مستوى اسفل سافلين الذي يقول عنه ـ تعالى ـ : **«لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين»** ، فالانسان أمّا ان يكون في احسن تقويم ، متمسّكاً بهدى الله وحبله ، متحدّياً رياح الشهوات ، وعواصف الضغوط ، وامّا ان تتراخى يده عن هذا الحبل ، ولا يبالي ، فيسقط وتهوي به الريح في مكان سحيق .

وهذا الدرس يوضح لنا اهميّة التمسّك الشديد بهدى الله ، وهكذا كانت كربلاء ، وكانت عاشوراء مدرسة في بعدين : بعد الخير ، و بعد الشرّ .

الحرّ بطولة التحدي :

ولو توقّفنا ساعات امام بطولة الحر بن يزيد الرياحيّ لما استطعنا ان نستوعبها ، انّه درس عظيم ان يتحدّى الانسان واقعه ، وكلّ ما حوله من ضغوط ، ويختار الموت بشجاعة ، و ينتخب الجنّة بوعي وايمان ، كما فعل الحرّ . فكم كان عظيماً ما فعله بحيث تتبخّر امامه جميع النظريّات الماديّة ، والحتميّات الفاسدة ، فأيّ حتميّة كانت وراء توبة الحرّ ، و بتأثير أيّ شيء غيّر مساره ؟ أمن اجل الاقتصاد ، أم من أجل السياسة ؟ لا شيء ، فالارادة البشريّة هي التي تتحدّى كلّ الماديّات ، والحتميّات ، وهي التي تجلّت عند

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحرّ في كربلاء.

واذا كانت هناك بطولة حقيقيّة فهي هذه البطولة، فالبطل الحقّ هو الذي يصرع نفسه في ساعات الشدّة، وأشجع الناس من غلب هواه، ولا شكّ انّنا سنستطيع ان نصلح انفسنا ومجتمعنا اذا استلهمنا درس التوبة من الحرّ، فان لم تكن لدينا ارادة تعصمنا من الوقوع في المعاصي، فلتكن -على الأقل- لدينا الشجاعة التي تخرجنا ممّا وقعنا فيه، وهذا هو الدرس الذي نتعلّمه من الحرّ بن يزيد الرياحيّ.

يأتي الى الامام الحسين (ع) مطأطأ الرأس فيقول الحسين (ع) له: ياشيخ ارفع رأسك، من أنت؟ فيقول: انا الحرّ، انا الذي جعجعت بك الطريق يا أبا عبدالله، لقد كنت اوّل خارج عليك، فأذن لي ان اكون اوّل شهيد بين يديك، فيسمح له الامام الحسين(ع) بذلك، فينزل الى الميدان يقاتل الاعداء بعدما يعظهم فلا تنفعهم الموعظة شيئاً، وحينما يُصْرَع ينادي الامام الحسين(ع)، فيأتيه الامام و يقول له: **«ما اخطأت امّك اذ سمّتك حرّاً، انت حرّ في الدنيا وسعيد في الآخرة»**.

و يقول بعض المؤرّخين انّه في اللحظات الاخيرة في حياته عندما كان يلفظ آخر انفاسه فتح عينيه فرأى رأسه في حضن الامام الحسين(ع) فتبسّم ابتسامة سلّم الروح بعدها، فكم هي سعادة الانسان، وفلاحه، وكم يكون فرحه وشعوره بالفخر وهو يعلم انّه قد انهى فتنة الحياة، وانتصر عليها، ونجح في الامتحان، ليرد على ربّ رحيم غفور كريم.

فلعلينا -اذن- ان نستلهم من بطولات الامام الحسين(ع)، ومن وفاء أبي الفضل، وإقدام عليّ الاكبر، وشجاعة زينب، وايمان الصدّيقين من انصار الامام الحسين(ع)، دروساً تكون ذخراً لنا في الدنيا لمحاربة الطغاة، ومقاومة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفساد ،وزاداً في الآخرة ينفعنا عندما لا ينفع مال ولا بنون الّا من اتى الله بقلب سليم.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كربلاء ينبوع الثورات

لقد شحنت كربلاء ارادة الامّة بالعزيمة الراسخة بما بلورت من الاحاسيس الخيّرة في الانسان، ذلك لانّ لهذا الانسان مخزوناً كبيراً من العقل والارادة والعاطفة، وهو غالباً ما يرحل عن هذه الدنيا قبل ان يستفيد من هذا المخزون الضخم.

انّ من اهداف رسالات السماء، ومصلحي البشر اثارة دفائن العقول، وشحذ وتحريك الارادة والعاطفة، واستخراجهما من باطن الانسان الى واقعه، وهذا ما فعلته ملحمة كربلاء بالضبط، فقد كانت هي الطليعة والقدوة لجهد الانسان في تفجير مخزونه الارادي والعقلي والعاطفي، ففي زيارة الامام الحسين(ع) نقرأ عبارات من مثل: «**السلام عليك يا قتيل العبرات، واسير الكربات**»، فملحمة كربلاء مازالت تستدّر دموع الناس عامّة وخاصّة الموالين، ومجالس العزاء كانت وماتزال تقام على مدار ايام السنة لا سيّما في شهر محرّم الحرام، كما انّ ذكر الامام الحسين(ع) اصبح على كلّ لسان وفي كلّ مكان ومناسبة.

سرّ خلود الامام الحسين(ع):

وهنا يحقّ ان نتساءل: لماذا كان للإمام الحسين(ع) مثل هذا الخلود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والحضور؟، لقد قام (ع) بثورة، وتحوّل هو نفسه مع مرور الزمن الى ثورة بل الى مفجرّ للثورات في ضمير الانسان، ولم يعد (ع) ذلك القتيل على رمضاء كربلاء، ولم تعد عاشوراء تلك الفترة المحدودة من الزمن، فلقد اصبح الامام (ع) رمزاً للثورة، وحينما نذكره تجري دموعنا، وتلتهب مشاعرنا وعواطفنا من حيث نشعر أو لا نشعر.

وهكذا فقد تحوّل الامام الحسين(ع) من شخص الى رمز، ومن رمز الى مسيرة، ومن مسيرة الى حقيقة ثوريّة، وعندما نقول انّه (ع) كان ثورة فهذا يعني ان كلّ قلب سيتفجرّ بالثورة عندما يرتبط بينبوع الامام (ع)، فحينما يُذْكَر (ع) تقفز الى الاذهان فكرة الشهادة والبطولة والفداء وكلّ معاني العمل من اجل الله -تعالى- والمستضعفين والمحرومين في الارض، وكلّما تجدّدت ذكرى عاشوراء تفتّحت ابصارنا، وتفجّرت طاقاتنا، حيث انّ ملايين البشر على امتداد الارض يتحوّلون في يوم عاشوراء تحوّلاً ثوريّاً يغذّيهم بمعاني الثورة خلال السنة كلّها.

منذ اربعة عشر قرناً مضت والى الآن نجد الناس يستمدّون من ثورة الامام الحسين(ع) معاني الثورة والاندفاع والتضحية، ممّا يدلّ على انّ هذه الملحمة قد تحوّلت الى مسيرة، والامام (ع) الى ثورة، وهذا حدث هام في حياة البشر، ولكنّ السؤال المهمّ هو: ايّ ثورة اصبح الامام الحسين(ع)، وكيف اصبح ثورة، وفي أيّ مجال؟

في البدء ثورة على الذات:

لقد كان (ع) في البدء ثورة على الذات، لأنّ أيّ انسان لا يستطيع الانتصار للرسالة دون ان يحقّق انتصاراً على ذاته، ونحن لا نريد ان ننتصر لانفسنا لانّ هذه فكرة خاطئة، بل نريد ان ننصر دين الله -تعالى-، وهذا هو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهدف الاسمى، فاذا نصرنا دين الله، فاذا الله -تعالى-، وجعل منّا جسراً لسعادة الآخرين وفلاحهم.

وهناك حقيقة لابدّ للانسان الثوريّ ان يزرعها في نفسه وهي انّه لا ينبغي له ان يستهدف الوصول الى الكراسيّ وبلوغ المراكز، بل عليه ان يعمل للآخرين لانّ نتيجة العمل من اجل الناس هي العمل لله -سبحانه-، والى هذا يشير القرآن الكريم في قوله:

«يا ايّها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبّت اقدامكم»(١).

وهكذا فانّ الدرس الاوّل الذي يمكن ان نستوحيه من كربلاء الحسين(ع) هو انّ النصر لله وحده، لا النصر المؤدّي الى الكراسي.

واذا كان ثمن استقامة الدين الاسلاميّ هو دم الامام الحسين (ع)، فانّه سوف لن يبالي بل سيدفع الثمن راضياً مطمئنّ النفس، ولقد ورد عنه (ع) انّه قال: **«ان كان دين محمّد لم يستقم الّا بقتلي فيا سيوف خذيني»**، رغم انّه (ع) كان بامكانه ان يختار الطريق للخلاص من الموت، ولكنّه صمّم على مواصلة مسيرته الرساليّة من اجل نصرة الله -تعالى- والحقّ.

التضحية يجب أن تكون شاملة:

ونحن نستلهم من ذكرى عاشوراء التي تتجدّد كلّ عام انّ الانسان عندما يريد ان يهب نفسه لله فلا يجب ان يطلب لنفسه شيئاً ممّا وهب لانّ الافضل ان يهب الكلّ، لأنّ عليه ان يسقط من فكره الذاتيّة، فاسقاط الاعتبارات الذاتيّة هو الهدف الذي من اجله ثار الامام الحسين(ع) في كربلاء، فلقد اعطى (ع) جميع من حوله الاذن بالمبارزة، وقد كان علي الاكبر (ع) اوّل من

١ـ محمد / ٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بارز وهو احبّ ابنائه الى قلبه، فبقدر التصاق الأئمّـة والمصلحين بمبادئهم ورسالاتهم يلتصقون بالمعاني الانسانيّـة، فهم يبلغون القمّـة في شفقتهم على ابنائهم، لا سيّما اذا كان الابن يمثّل في ذاته رسالتهم مثل علي الاكبر(ع) الذي كان اشبه الناس خَلقاً وخُلقاً برسول الله(ص)، فهو رمز لرسول الله الذي هو بدوره رمز للاخلاق الفاضلة.

ومع ذلك فقد اذن لابنه بالمبارزة، وقدّمه في طليعة اهل بيته وانصاره، وهذا يعني ان الامام الحسين(ع) وهب كلّ ما يملك في سبيل ثورته، فقد ضحّى بأبنه الطفل البالغ من العمر ستـّة اشهر، هذا الطفل الذي كان يمثّل بالنسبة للحسين(ع) املاً كبيراً، لانّ الطفل امتداد للانسان، حبّ الانسان لطفله انّما هو لابراز شخصيّـته في المستقبل، وتنشئته نشأة صالحة، وهذا هو الحبّ الذي ينبعث و يشتدّ كلّما شعر الانسان بالخطر.

والامام الحسين (ع) لم يشعر بالخطر فحسب وانّما كان يعلم علم اليقين انّه سيموت، ومع ذلك فقد اتى بابنه معه، وهو يعلم طبيعة نوايا القوم، وماذا سيفعلون به، ولكنّه رغم ذلك ذهب ليطلب له شربة من الماء، فاذا به يذبح وهو في احضان والده.

التضحيات المعنويّة:

وفي الجانب المعنويّ قدّم (ع) كلّ شيء ايضاً، فبقدر ما كانت كربلاء أليمة ومفجعة عل الصعيد الماديّ كانت كذلك على الصعيد المعنويّ، فلقد وجّهت الى الامام الحسين(ع) اتّهامات كبيرة نجد اثرها الى يومنا هذا، فشريح القاضي ـ وما اكثر امثاله في واقعنا المعاصرـ افتى بوجوب قتل الحسين(ع)، الى درجة انّ الامام الصادق(ع) قال عنه(ع) :

«ازدلف اليه ثلاثون الفاً كلّهم يتقرّبون الى الله سبحانه وتعالى بسفك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمه ».

هكذا فعلت الدعايات المظلّلة بأدمغة الناس، فبعد ان قتل الامام الحسين(ع)، وسبي اهل بيته، كان الناس يعتقدون انّهم سبايا الترك أو الديلم، وهذا هو سرّ عظمته(ع)، اذ انّه قدّم نفسه واهل بيته مختاراً فداءً لدين الله، فربّما يختار الانسان الثورة لنفسه لكنه قد لايكون مستعداً للتضحية بأهله واقاربه، فيرضى لنفسه الشهادة، ولايرضاها للأقرباء والاولاد خوفاً عليهم، وهناك الكثير من الناس من يحجم عن العمل الثوريّ، والجهاد في سبيل الله لخوفه من التضحية اساساً.

انّ من الخطأ ان يخشى الانسان على الاناس المرتبطين به من اقتحام الثورة، لأنّ الواجب ان يثور و يسمح لغيره بالثورة، فاذا ثار المجاهد ـ مثلاً ـ واعتقلت السلطة الطاغوتيّة زوجته وأولاده ووالديه، فليعلم علم اليقين انّهم قد دخلوا ساحة النضال من أوسع ابوابها ، أمّا هو فله الثواب الجزيل ان أدخل الآخرين ساحة الجهاد لكونها ساحة مباركة على الجميع ان يدخلوها .

وهكذا اتى الامام الحسين (ع) بكلّ اهل بيته الى كربلاء وهو يعلم ماذا سيجري عليهم ، فقد قال (ع) عندما سأله ابن عباس عن سبب خروج النسوة معه : « لقد شاء الله ان يراهنّ سبايا » ، ومع ذلك فقد ذهب بهنّ لعلمه انّ هذا درس عظيم من دروس الثورة الاسلاميّة .

الثورة ضدّ حالة الانهيار والتراجع :

وهناك درس آخر تجب الاشارة اليه في سياق الحديث عن الثورة الحسينيّة ؛ فنحن عندما نقول انّ الامام الحسين(ع) تحوّل الى ثورة فانـّا نعني انـه (ع) ثار ضدّ حالة الانهيار والتراجع التي بدأت تدبّ في الامّة الاسلاميّة وخصوصاً في عصره .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقبل الخوض في هذا الحديث لابـدّ من الحديث عن الفتوحات الاسلامية التي أذهلت المراقبين عبر التأريخ لانـّها كانت سريعة ومفاجئة، فلقد عبر المسلمون السهول والهضاب والجبال والبحار من كـلّ جهة وفي كـلّ الابعاد كما يتدفّق الماء النازل من الجبل بدءاً بفتح اليرموك والحيرة في جانبي الجزيرة، وانتهاء بسقوط الامبراطورية الفارسيّة واقتطاع اجزاء كبيرة من الامبراطوريـّة البيزنطـّية في آسيا وافريقيا.

وفي عصر الامام الحسين(ع) كانت الفتوحات الاسلاميـّة تـتّجه الى الهند، ومن الطبيعي انّ الذي يقوم بهذه الفتوحات هو الجيش، فالقـّوات المسلـّحة هي التي تكتب اكثر الانتصارات للأمـّة، بيد انّ هذه القوى قد تغتـرّ بنفسها، وتفتـّش عن دور لها في ادارة البلاد وسياسته، علماً انّ القـوّة العسكريـّة اذا تسلّطت في البلاد افسدتها لانـّها تريد ان تحكم فيها بمنطق حكمها؛ أي منطق السيف والحروب والمعارك الدامية، وهكذا جرت الامور في الامة الاسلاميـّة، وكـلّ حضارة في العالم لابـدّ ان تمرّ بهذا المنعطف الحسّاس، فالحضارة لامناص لها من ان تدعم القـّوات المسلـّحة باعتبارها الدرع الواقي من الاعداء، ولكنـّها ماأن تَدْعم هذه القوّات حتـّى تتعـرّض لخطر داهم مدمـّر.

انّ هذه الآفة الحضاريـّة عانت منها جميع الحضارات، فاذا كانت في الأمة بقيـّة ارادة تتجلّى في نهضة جماهريـّة وقيادة رشيدة فانّ القـوّة العسكريـّة المتواجدة على الحدود لايمكنها ان تنكفىء الى الداخل، وتحطـّم ماحققته في الخارج، والاّ فانّ هذه القـوة التي حقـّقت الانتصارات للأمة ستهدم كـلّ مابنته بيدها، وقد أوضح الله ـ تعالى ـ جانباً من هذه الحالة في قصـّة عاد حيث يقول:

«وتـّتخذون مصانع لعلّكم تخلدون * واذا بطشتم بطشتم جبـّارين * فاتـّقوا الله واطيعون * واتـّقوا الذي أمـّدكم بما تعلمون * امـّدكم بانعام وبنين * وجنـّات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعيون * اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم »[١] .

لقد أراد هود(ع) ان ينبّه قومه الى انّ هذه القوّة التي يملكونها هي من الله -تعالى-، وانّ استخدامهم لهذه القوّة في طريق البطش والارهاب والسعي الى الخلود سوف يضرّهم ؛ اذ سوف يأخذهم الله بعذاب عظيم بسببها .

ثورة على سلطة العسكر:

انّ ثورة الامام الحسين(ع) لم تكن بعيدة جدّاً عن هذا المضمون ، فهو(ع) لم يشأ ان يخضع للارهاب أو لسلطة القوّة ، ولم يرد ان يتدخّل العسكر الذين فتحوا اطراف البلاد في الحكم ، ومن خلال دراسة التأريخ نجد ان النظام الاسلاميّ -بغضّ النظر عمن كان يسود النظام- كان منتبهاً الى هذا الخطر، فكان يعمد الى عزل كلّ قائد عسكريّ يحرز الانتصار لكي لايفتتن الناس به .

ومن أجل أن يعمل يزيد على تركيز سلطته فقد اعتمد على القادة العسكريين الذين فتحوا البلاد ، فوزّع عليهم الاراضي ، وقد كان (عمر بن سعد) من ضمنهم ، فقد منّاه يزيد بملك الريّ إن انتصر على الامام الحسين(ع) ، وهكذا فعل معاوية من قبل اذ بعث الى مصر عمرو ابن العاص الذي كان من قبل قائداً فاتحاً لمصر؛ أي انّه حكّم القيادة العسكريّة على ارادة الجماهير، فكان يزيد امتداداً لمعاوية ، وابن زياد امتداداً لزياد ابن ابيه ، وعمر بن سعد امتداداً لابيه سعد بن ابي الوقاص الذي فتح العراق .

وهناك نتيجة اخرى وهي انّ الارستوقراطيّة الاجتماعيّة في النظام الأمويّ كانت تورث الرتب العسكريّة ، فمن كان ابوه قائداً عسكرياً فانّه يرثه من

١ ــ الشعراء / ١٢٩ ــ ١٣٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعده، وهذا هو اغرب نوع من الارث، فلأنّ فلاناً هو ابن القائد الفلاني ينبغي ان يصبح قائداً هو الآخر!، وهو عمر بن سعد يرث عن ابيه قيادة الجيش المعدّ للفتح، وهاهو ابن زياد يهدّد أهل الكوفة بجيش الشام، فقد قام قبل شهر واحد من واقعة كربلاء بانقلاب عسكريّ في الكوفة التي هدّها بحاميات من الجيش الشامي للقضاء على ارادة الجماهير، وهذا انقلاب عسكريّ بكلّ ماتحمل الكلمة من معنّى.

وقد حوّل هذا الانقلاب القوّة العسكريّة التي بُنيت لفتح البلاد الاخرى الى قوّة لقهر ارادة الجماهير، فقاوم الامام الحسين(ع) هذا التحوّل من اجل مصلحة الامّة الاسلاميّة، ومصلحة تأريخها، وبالفعل فقد نجح في ذلك، وأعاد القيادات العسكريّة الى ثكناتها، وهذا هو وجه من العلاقة بين نهضة الامام الحسين(ع) ونهضة الانبياء (ع) كهود وصالح اللّذين قاوما الجبّارين.

ولقد كان اصحاب الامام الحسين(ع) يدركون عظمة حركتهم، وانّها امتداد لحركة الانبياء، وان بطش وغرور القوّة العسكريّة يجب ان يحطّما في كربلاء، والدليل على معرفتهم هو بعض اقوال الامام الحسين(ع) واصحابه، فقد جاء حنظلة بن سعد الشباميّ فوقف بين يدي الامام الحسين(ع) يقيه من السهام والرماح والسيوف، ويتلقّاها بوجهه ونحره، ثمّ أخذ ينادي: **«ياقوم انّي أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وما الله يريد ظلماً للعباد، يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد... يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى»**.

وبعد فهكذا ينصحهم هذا الصحابيّ ويذكّرهم بمصير الاقوام السابقة الذين كانوا يسيرون في نفس الخطّ، وقد تكرّرت مثل هذه الكلمة من قبل الآخرين من اصحاب الامام الحسين(ع)، وعلى سبيل المثال فقد تقدّم سعيد

بن عبد الله الحنفيّ أمام الحسين(ع) فصار هدفاً لنبال الاعداء حتّى سقط على الارض وهو يقول: «الّلهم العنهم لعن عاد وثمود، الّلهم ابلغ نبيّك(ص) عنّي السلام وابلغه مالقيته من الجراح فاني اردت بذلك نصرة ذريّة نبيّك».

النيّة الخالصة من اهم مقوّمات الثوّار:

وهناك ملاحظة اخيرة نذكرها كدرس اخير من دروس الثورة الحسينيّة وهي انّ اصحاب الامام الحسين(ع) قاموا بنصرة امامهم لله وفي سبيل رضوانه -تعالى- لا حباً للجنّة، وابتغاءً لدخولها، فمن اجل القيام بأيّ عمل لابدّ ان ننوي ان يكون هذا العمل لله لكي يعطينا -تعالى- الأجر و يزكّينا، فالعمل في سبيل الله يجب ان تسبقه النيّة مثل سائر الاعمال، وهذه النيّة تلعب دوراً كبيراً في خلوص العمل لله -تعالى-.

وعلى هذا يجب ونحن نعمل في سبيل الله ان نؤكّد لانفسنا، ونوحي لها باستمرار بأهميّة العمل، وأهمية ان ننوي لله -تعالى- بعيداً عن الذات.

انّ من اهمّ الصفات التي بيّنها الامام الصادق(ع) في دعائه لعمّه العباس(ع) في كربلاء انّه كان على بصيرة من أمره، ذلك لان وضوح العمل الذي نقوم به يعطي عملنا هذا قوّة وصلابة واستقامة، ونظرة الى اصحاب الامام الحسين(ع) تثبت لنا وضوح الرؤية لديهم، فهذا نافع بن هلال ينشد قائلاً:

انا الغلام التميمي البجلي
دينـي على دين حسين بن علـيّ
ان اقتل اليوم وهذا عملي
وذاك رأي اولاقـي عملي

وهذا رجل آخر من اصحاب الامام الحسين(ع) وهو (شوذب) الذي يبدو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انـه كان من أصحاب البصائر، يأتي هذا الرجل الى الحسين(ع) و يقول له: «يا أبا عبد الله أما والله مامن احد على وجه الأرض قريب أو بعيد اعزّ عليّ، واحب منك، ولو قدرت على ان ادفع عنك القتل او الضيم بشيء اعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت»، ثـم قال بعد ذلك: «السلام عليك يا أبا عبد الله اشهد انـي على هداك، وعلى هدى ابيك»، ثـم مضى بالسيف نحو القوم وقاتل حتـى قتل.

وكان بعض اصحاب الامام الحسين(ع) لا ينتسبون في أراجيزهم الى انفسهم بل الى امامهم، وكان البعض يؤكد على انّ هدفه الجنّة حيث رضوان الله ـتعالى ـ، والراحة الابدية، وهذا حنظلة بن سعد الشباهي ينزل ساحة الصراع وهو ينشد قائلاً:

صبراً على الأسياف والأسنّة
صبراً عليها حتّى دخول الجنّة
وحور عين ناعمات هنّ
لمن يريد الفوز لا بالظنّة
يانفس للراحة فاجهدنّ
وفي جلاب الخير فارغبنّ

لقد كان يعلم جيّداً ان دخول الجنّة ليس بالأماني بل يجب ان يصبر على السيوف والاسنّة ليدخل الجنّة.

وبعد؛ فما اعظمها من دروس تلك التي كتبها اصحاب الامام الحسين(ع) بدمائهم، والمؤمنون الحقيقيّون هم الذين يستوحون هذه الدروس من مدرسة كربلاء واصحاب الامام الحسين(ع)، هذه المدرسة التي كانت مزدحمة بالتلاميذ عبر التأريخ، من كلّ حدب وصوب، ومن كلّ فئة ولون.

والمهـم في كلّ ذلك ان نسجّل اسماءنا في هذه المدرسة منذ هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللّحظة ، أو نجدّد تسجيلنا فيها ، ونسعى من اجل ان نصبح تلامذة ممتازين في هذه المدرسة ، وهذا هو أملنا من الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

كربلاء نهاية الانحراف

حسب الرؤية الاسلامية فان المجتمعات البشرية، والحضارات الانسانية انما تفنى وتنتهي بسبب انحرافها عن الحق، واختيارها طريق الباطل المناهض للقوانين والسنن الالهية التي تمثل الحق.

وقد يكون الانحراف عن طريق الحق انحرافاً عسكرياً حسب المصطلحات الحديثة، فبدلاً من ان تكون السلطة السياسية الحاكمة على الناس منبعثة من ارادتهم الحرة الواعية، ومن سنن الحق السائدة في الكون، ومن رسالات السماء، تكون هذه السلطة بأيدي عسكرية لا تعرف الا منطق الارهاب والقوة.

وقد يكون الانحراف انحرافاً اقتصادياً متجهاً الى الاستغلال والاستثمار، فتكون االسلطة السياسية حينئذ سلطة المستثمرين والمستغلين سواء كانوا اقطاعيين ام رأسماليين ام غيرهم.

وقد تنحرف السلطة السياسية عن الحق لتتجه الى العنصرية المقيتة، وقد تنحرف في اتجاه آخر هو تحكيم سلطة المفسدين في الارض الذين يضلون الناس عبر الكهنة والاخبار، وهي السلطة المعروفة اليوم في علم السياسة باسم« التيوقراطية »، والتي تختلف جذرياً عن القانون الاسلامي في السياسة شكلا ومضموناً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصير الامم المنحرفة:

ان تلك الانحرافات بشتى انواعها تؤدي بالمجتمعات الى الانهيار وهذا هو ماحدث بالفعل بالنسبة الى الحضارات السابقة كما يقص لنا القرآن الكريم، فهو يحدثنا عن اقوام عاد وفرعون وثمود واصحاب الايكة وقوم نوح، وكل واحدة من هذه الحضارات يضرب الله بها مثلا لنوع محدد من الانحراف عن الحق.

ففرعون وقومه المتسلطون على شعب مصر كانوا منحرفين عنصرياً كما جاء في كتاب الله في قوله ـ تعالى ـ: **«ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين»**(١).

وطبقاً لهذه النظرة العنصرية فقد كان النسل الأسرائيلي يهان في مصر سواء كان صاحبه موالياً للسلطة او مخالفاً لها. فالأقباط كانوا يعتقدون ان الدم القبطي افضل من الدم الأسرائيلي، وهذا الفكر لم يكن جديداً ولابدعاً سواء في ذلك العصر أم في الوقت الحاضر، فنحن لانزال نجد انحرافات عنصرية قائمة في الولايات المتحدة الاميركية، وجنوب افريقيا، واسرائيل بل في كثير من بلدان العالم حتى وان سميت هذه الأنحرافات باسماء اخرى.

وقد كان قوم نوح(ع) على طبقتين، فكانوا يعتقدون ان(الأراذل) اذا اتبعوا قائداً فيجب على(الأكابر) أن لايتبعوه كما قالوا ذلك لنوح(ع): **«قالوا انؤمن لك واتبعك الأرذلون»**(٢).

وهذا المنطق كان سائداً ايضاً في عصر النبي (ص)، حيث كان القرشيون يعتقدون ان اتباع المستضعفين للنبي(ص)، دليل على عدم صدق النبي(ص)

١ ـ القصص / ٤.

٢ ـ الشعراء / ١١١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأنه لايمكن ان يكون هناك نبي واحد للمستضعفين والأغنياء معاً !

فلم يكونوا يصدّقون أنّ شخصاً كأبي ذر ينتمي الى قبيلة بدوية في الصحراء يمكن ان يتساوى مع ابي سفيان، الى درجة ان عبداً يباع ويشترى كبلال الحبشي يجب ان يتساوى مع كبار قومهم.

وهناك انحراف آخر قد يحدث في المجتمع ألا وهو انحراف قوم عاد الذي كان انحرافهم حسب ما تشير الى ذلك بعض الآيات الكريمة انحرافاً عسكرياً: «واذا بطشتم بطشتم جبارين»[1].

أما قوم شعيب الذين عبر عنهم القرآن الكريم باسم «اصحاب الايكة» فقد انحرفوا انحرافاً اقتصادياً، فقد كان نبيهم شعيب(ع) يأمرهم ان يعدلوا في المكيال والميزان، وكذلك الحال بالنسبة الى قوم ثمود فقد اصيبوا بالأنحراف الاقتصادي ولكن من خلال الاسراف، فقد كان نبيهم صالح(ع) يأمرهم دائماً بتجنب الاسراف والترف. وقد ادى الأنحراف الاقتصادي هذا بقوم لوط الى الشذوذ الجنسي الذي كان عنواناً لسائر انحرافاتهم في الحياة.

أما الانحرافات التي هي من نوع اتباع االكهنة والاحبار فقد كانت في أتباع قوم موسى(ع) الذين عبدوا رهبانهم واحبارهم من دون الله ـ تعالى ـ.

الانحراف يبدأ بسيطاً:

ان الطامة الكبرى هي ان الأنحراف يبدأ بسيطاً، وفي غفلة عن وعي الناس، فالانسان لاينحرف بوعيه وارادته، ولابكامل تصميمه وقراره، بل ان الشيطان يستدرجه في هذا الطريق، وعلى سبيل المثال فان عمر بن سعد او الشمر لم ينحرفا مرة واحدة، ففي البدء يرتكب الانسان انحرافات بسيطة،

١ـ الشعراء/ ١٣٠.

فالسارق لايبدأ سرقته بسرقة الاشياء الكبيرة، بل يبدأ بالاشياء البسيطة، وكذلك الحال بالنسبة الى الانسان الذي يبخس الناس في المكيال والميزان و يغشهم، حتى يصبح شيئاً فشيئاً سارقاً محترفاً، وغشاشاً ماهراً.

وهذه هي طبيعة الانسان، فعندما جاءت عمرو بن العاص رسالة من معاو ية تدعوه الى الالتحاق به رفض في البدء، واستشار ابنيه في ذلك، فزهده احدهما، وشجعه الآخر طمعاً في الدنيا فقبل نصيحة الثاني وقال له عمر و بكل وضوح: انت تريدني للدنيا، واخوك يريدني للآخرة، ولكن لماذا قبل عمرو نصيحة ابنه الثاني؟ لأن خلفيات القبول كانت موجودة عنده، ولأن الأنحرافات كانت قد بدأت صغيرة عنده ثم تنامت حتى اصبح صاحبها في أسفل الأسفلين.

وهكذا الحال بالنسبة الى الانحراف في الامة، فهو لايظهر كبيراً في البدء، فأعمال يزيد في كربلاء، وفي االمدينة ومكة انما كانت بسبب انحرافات معاو ية، فهوا الذي مهد الطريق ليزيد، وهو الذي سلط هذا الشاب المغرور الفاجر على رقاب المسلمين، ومعاو ية بدوره لم يكن يحمل الانحراف في ذاته بقدر ماكان هذا الانحراف ناجماً من تسلط الامو يين على رقاب المسلمين في ايام عثمان، فالحزب الاموي كان يخطط للسيطرة على البلاد الاسلامية منذ البدء تحت إمرة ابي سفيان الذي جاء الى الامام علي(ع) بعد وفاة النبي(ص) وقال له: لأملأنها لك خيلا ورجالا، ولكن الامام(ع) رفض لانه كان يعرف مقاصده ونواياه.

وهكذا كان هذا الحزب يعمل على استلام السلطة، كما اشار النبي(ص) الى ذلك في قوله: «**اذا رأيتم معاو ية هذا على المنبر فاقتلوه وما أظنكم تفعلون ذلك**»، فالمؤامرات كانت محبوكة عندما جمع الحزب الاموي نفسه، ولملم خيوطه، وربط قياداته بقواعده منذ ايام النبي(ص)، فالأنحراف في الامة

الاسلامية لم يبدأ في كربلاء، ولاحتى بالانقلاب العسكري الذي قاده ابن زياد ضد مسلم ابن عقيل في الكوفة.

ضرورة معالجة الانحراف :

وبناء على ذلك يتبين لنا ان الانحراف بمختلف انواعها لا تبدأ مرة واحدة عند الامة اية امة، بل انها تظهر تدريجياً، والمشكلة هي ان الناس ينظرون دائماً الى نهاية الانحراف ؛ أي عندما تبدأ الخلايا السرطانية بالانتشار في جسمها ، والمصلحون وحدهم هم الذين يكتشفون بداية الانحراف، فاذا وعيت الامة واستوعبت نصيحة الناصحين استطاعت عندئذ ان تقضي على الانحراف ، وعلى العكس من ذلك فان قدرتها على معرفة الانحراف ستقل، فالانسان الذي لم يقترف ذنباً يدرك ان الذنب خطير، فيتهيب منه لانه يعرف مدى قذارته، ولكنه اذا قارن الذنب اكثر من مرة فان روحيته ستتبدل، و يفقد ضميره الذي يحاسبه على الذنب.

ماذا تحتاج الأمة في مثل هذه الحالة ؟ انها تحتاج بالتأكيد الى نصيحة، وتفجير في ضميرها، وهذا مافعله الامام الحسين(ع) في كربلاء، فقد قام بعملية تفجير هائلة القوة، وهز ضمير الأمة لكي يهدم البناء المنحرف داخل المجتمع وداخل النفس البشرية.

ان انحراف بني امية لم يكن في السلطة فقط ، فانحراف السلطة هو الدليل على انحراف الأمة والمجتمع، وحينئذ يكون الظالم والمظلوم مشتركين في الجريمة ؛ الظالم لظلمه، والمظلوم لسكوته على الظلم، وعلى سبيل المثال نتساءل : من الذي عقر ناقة صالح ؟ لقد كان رجلا واحداً، ولكن الله ـتعالىـ انزل البلاء والعذاب على قومه كلهم عندما سكتوا عنه، ورضوا بفعلته، ومن الذي قتل الامام الحسين(ع) ؟ لقد كان رجلا واحداً بالطبع، ولكننا مع ذلك نلعن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل من حضر ارض كربلاء من جيش يزيد، وكل من ورضي بهذه الفعلة الشنيعة للأمر التأريخ، أولسنا نقول في زيارتنا للحسين(ع): «ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به»؟

والسبب في ذلك ان السكوت عن الظلم لا يقل جريمة عن الظلم ذاته، وقد بدأ ظهور الانحراف في الامة الاسلامية لسكوتهم عن الظلم اولا، ولأستدراج النعم لهم كما عبر عن ذلك حبيب بن مظاهر عندما خاطب جيش يزيد قائلا: «ملئت بطونكم حراماً».

ترى ماذا تعني هذه الكلمة؟ انها تعني ان الأنحراف يؤدي بالأنسان الى قتل ابن بنت نبيه وهو لايبالي لأن اكل الحرام يورث قسوة القلب كتلك التي كانت عند شمر، وعمر بن سعد، وحرملة، وعند كل الجلادين الذين يقتلون الشباب المؤمن.

وقد اصبح قتلة الحسين(ع) قساة القلب عندما ارتضوا لأنفسهم ان يصبحوا اجراء عند السلطان الظالم، فهم في تلك اللحظة اصبحوا قساة القلب، وفي تلك اللحظة ارتكبوا الجريمة.

الانحراف بدأ اقتصادياً:

لقد بدأ انحراف الأمة الأسلامية في عصر الامام الحسين(ع) اقتصادياً، وكانت تحتاج الى صيحة قوية، وقد انطلقت هذه الصيحة من كربلاء من فم الحسين(ع) بل من نحره، فقد يسكت الفم ليتفجر دماً ولساناً ناطقاً كما حدث في كربلاء التي نبهت الناس الى انهم انحرفوا مرتين؛ مرة عندما ارتبطوا بالنظام الأقتصادي فأكلوا السحت والحرام، ومرة عندما اقدموا على ارتكابهم هذه الفعلة الشنيعة المتمثلة في قتل الأمام الحسين(ع).

ومن هنا يبدأ انحراف الامة، وانحراف النفس التي تبيع مبادئها بدينار،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و يعد شمر بن ذي الجوشن المثال على ذلك اذ قال لأ بن زياد بعد ان قتل الحسين(ع) :

امــــلأ ركــــابـــي فـــضــــة أو ذهـــبـــاً
لــقـــد قـــتـلــت الــرجــل المــحــجــبــا
قتلت خير الناس أما وأبا

وهذا هو معنى الانحراف الاقتصادي، انه أكل الحرام، والتعبير بـ (الأكل الحرام) افضل من (الانحراف الاقتصادي) لأن الحرام يعني اكل ما لاتجوزه الشريعة الاسلامية.

اننا نعرف ان الربا حرام، وان النظام المصرفي الرأسمالي حرام، وكذلك العدوان، واكل اموال الناس بالباطل، فلو رفضنا التعاون مع الانظمة الرأسمالية الفاسدة، والحكومات الظالمة اقتصادياً لسقطت، ولما استعبدنا، وانتهكت حرماتنا، وسحقت كرامتنا، ذلك لأننا لم نفهم منذ البدء معنى الانحراف، وأكل الحرام.

لقد عرفت بنت الصحابي ابي ذر الصغيرة هذا المعنى افضل منا عندما جاءت اليها السلطات الفاسدة بعسل، وكانت جائعة لم تطعم شيئاً منذ ثلاثة أيام، فذاقت قليلا من هذا العسل، واذا بأبيها يدخل عليها و يفهمها ان معاو ية هو الذي أرسله، وحينئذ ذهبت جانباً، ووضعت اصبعها في حلقها، وأفرغت العسل وهي تنشد هذه الابيات المعروفة :

أبــا لــعـــســل المــصــفــى يــابــن هــنــد
نــبــيـــع عـــلـــيـــك ايـــمـــانـــاً وديـــنـــاً

وهكذا عرفت هذه الطفلة بفطرتها البريئة، و بصيرتها الدينية ان اكل الحرام هو بداية الانحراف ولكن أهل الكوفة لم يعرفوا هذا الواقع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العلاقة بين حركة الحسين(ع) وحركة النبي صالح(ع) :

وعندما نجد الامام الحسين(ع) يكرر هو واصحابه قصة ثمود في كربلاء، ويشبه ابنه الرضيع بناقة صالح لابد ان نعرف ان هناك علاقة بين حركته(ع) وبين حركة صالح(ع)، لأنها نفس الثور ونفس الحركة.

وهنا اذكر آيات من سورة الشعراء في قصه ثمود الذين انحرفوا على الصعيد الاقتصادي فانحرفوا سياسياً، فإدى بهم هذا الانحراف الى قتل الناقة، وبالتالي الى عذاب الله الشديد :

«كذبت ثمود المرسلين * اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون * اني لكم رسول امين * فاتقوا الله واطيعون * وما أسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين»(١) .

وفي موضع آخر يقول عنهم الله ـ تعالى ـ :

«أتتركون في ماها هنا آمنين * في جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هظيم * وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين * فاتقوا الله واطيعون * ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون * قالوا انما انت من المسحرين * ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين * قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم * ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم * فعقروها فأصبحوا نادمين * فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين»(٢) .

وللانحراف الاقتصادي عند الامم السابقة انواع ؛ نوع عند ثمود، وآخر عند قوم لوط، وكلا النوعين يتشعبان من مصدر واحد هو الانحراف النظري

---

١ ـ الشعراء/ ١٤١ ـ ١٤٥.

٢ ـ الشعراء/ ١٤٦ ـ ١٥٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمال ولمهمة الثروة والاسراف فيهما ؛ فقوم لوط اسرفوا في نعم الله فشذوا عن الطريق، واصيبوا بالشذوذ الجنسي وأنواع اخرى من الشذوذ، في حين ان قوم صالح توالت عليهم النعم، فاصبحت مادة للفساد لتصل الى حالة الطبقية المقيتة.

اما المجتمع الاسلامي فقد بدأ الانحراف فيه منذ عصر عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، ومروان بن الحكم، ومعاوية بن ابي سفيان الذين احاكوا المؤامرات منذ ايام النبي(ص)، وقد اثر هذا الخلف على المسلمين في فتوحاتهم للبلاد المختلفة تأثيراً فاحشاً الى درجة ان احدهم خلف ذهباً كثيراً عندما مات، والآخر لم يكن بالأمكان احصاء ضياعه وامواله !

وقد سعى هذا النظام الاقتصادي الفاسد الى ربط اموال الناس ومقدراتهم بعجلة الاقتصاد المنحرف، وبذلك استطاع ان يعبىء ثلاثين الف انسان مقابل دنانير معدودة، فمثل هذا النظام قد تشبع بالفساد الاجتماعي، وهو بحاجة الى صيحة قوية كتلك التي توقظ النائم، لتهز ضمير المجتمع.

كربلاء حياة لكل العصور:

ان مأساة كربلاء عميقة وواسعة في جميع الابعاد، ومن هنا نلاحظ ان الخطباء بامكانهم ان يربطوا أي موضوع بهذه المأساة لأنها مرتبطة بجميع مجالات الحياة ؛ فاذا ما أردنا التحدث عن المرأة أو الرجل أو الطفل، وعن الوفاء والبطولة والشجاعة أو عن أي صفة حسنة كانت ام رديئة، فاننا نستطيع ربطها بواقعة الطف ؛ فالصفات الحسنة نجدها عند اصحاب الامام الحسين(ع) في أروع صورها ؛ فالوفاء يتجسد في ابي الفضل خاصة في تلك اللحظات المريرة قبيل شهادته عندما رمى الماء على الماء، ولم يشرب حتى جرعة واحدة بعد ان تذكر عطش الامام الحسين(ع)، وهنا تتضح بجلاء رفرفة الروح في سماء الرفعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والوفاء، وهذا مشهد من أرض كربلاء ملهم للانسانية، وهو ايضاً درس من دروس كربلاء.

وفي ملحمة عاشوراء يتمثل لنا الوفاء في شخصية القاسم(ع)، فقد كان باستطاعته الانسحاب من الميدان، فهو لم يكن قد بلغ الحلم فالقتال ساقط عنه، ولكننا نرى ان روحه الوفية لابي عبد الله(ع) تأبى له ذلك.

اما زينب(ع) فقد قدمت مع اخيها الى كربلاء من اجل بقاء دين الله-تعالى-، فهي تمثل الشجاعة في طريق الحق، الشجاعة التي تجللها روح التضحية وسموا النفس، وهكذا الحال بالنسبة الى سائر الاصحاب(ع).

ومن هنا كانت كربلاء صيحة في ضمير الانسان الذي يتدرج في طريق الانحراف ، فجاءت هذه الصيحة ، وهزت الامة الاسلامية من الاعماق ، وأنا لاستطيع ان اتصور مدى الانحراف الذي ستنحدر اليه الامة لو ان واقعة عاشوراء لم تحدث ، فهل كان من المقدر ان يكون هناك مسلم أو مجتمع اسلامي ؟

ان هذه المأساة التي صنعها الامام الحسين(ع) بدمه الزكي، ودماء اصحابه، وسبي نسائه هي التي ضمنت بقاء الاسلام، وهي التي وضعت حداً للانحراف الخطير الذي سرى في جسد الامة الاسلامية، فالسلام على الحسين(ع) واصحابه واهل بيته وجزاهم الله بما صبروا وضحوا خير الجزاء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

كربلاء ملحمة الرسالة

انّ شعار «كلّ يوم عاشوراء، وكلّ ارض كربلاء» يمثّل حكمة تعبّر عن حقيقة تأريخيّة هامّة لا مجال فيها للشك والارتياب، كما انّ مضمونها قابل للتكرار دوماً في كلّ واقع وزمان، وهذا ما اثبته لنا التأريخ؛ فلقد تحوّلت ملحمة كربلاء الى مسيرة ثوريّة امتدّت مع الزمن، كما امتدّت الى آفاق بعيدة، ذلك لانّ لكلّ امّة رموزاً في مختلف مرافق حياتها، وكلّ رمز من هذه الرموز يقوم بوظيفة تجميع وتركيز التجربة في المرفق الخاصّ بها.

كربلاء رمز كل ملحمة :

ولقد تحوّلت ملحمة كربلاء الى رمز للثورة الأصيلة التي جمعت في واقعها كل شروط وعوامل وخصائص الثورة الاسلامية، بل لقد استوعبت هذه التجربة كلّ دروس الرسالات السماويّة عبر التأريخ حتّى في غير مجال الثورة فيما يتعلّق بسائر مجالات الحياة، والسبب في ذلك واضح جدّاً وهو انّ قلم الشهادة هو افضل قلم، فهو يكتب بحبر الدم على لوح الزمن مالايمكن للمتغيّرات ان تنال منه شيئاً.

وحينما يترسّخ مبدأ، وتتكرّس عقيدة، وتتجذّر قيمة بدماء الشهداء في اوج المعركة بين الجاهليّة والاسلام فلا بّد ان يبقى ذلك المبدأ، وتبقى تلك

العقيدة راسخة شامخة دائماً، وكربلاء ليست مدرسة للبطولة الثوريّة فقط بل هي ايضاً مدرسة لبطولة الانسان حينما يخرج من ذاته، ومن شحّ نفسه؛ من حدوده الضيّقة ليملأ الدنيا شجاعة وبطولة، فكربلاء هي مدرسة الوفاء، ومدرسة الحبّ والتضحية، ومدرسة العلم والتقوى، بالاضافة الى انّها مدرسة الجهاد والاستشهاد.

وهكذا فانّ كربلاء هي رمز لكل ملحمة، اذ انّنا حينما نجدّد ذكرى الامام الحسين(ع) واهل بيته واصحابه المستشهدين في ارض كربلاء سنة(٦١) من الهجرة، فانّنا نتذكّر ايضاً ملحمة مسلم بن عقيل في الكوفة، وملحمة الحسين صاحب فخّ بين مكة والمدينة، وجهاد الابطال من ابناء الامام الحسين(ع)، وابناء زيد بن علي بن الحسين، وبالتالي فانّنا نتذكّر مكابدة كلّ الثائرين عبر تأريخنا المليء بدم الثوّار، والمفروش باجساد شهدائنا الاطهار.

بكاؤنا على الحسين ليس يأساً:

انّ بكاءنا في هذه الذكرى ليس يأساً وانطواء انّما هو أمل يفتح لنا الطريق واسعاً، وينفي عنّا الخزي والتخاذل والغرور والخداع الذاتيّ، وتجديدنا لذكرى الشهداء ليس طريقاً للتعويض بهم عن شهادتنا وتضحياتنا، بل انّ بكاءنا تنديد بالظلم، وعويلنا وصراخنا انّما هو عويل وصراخ الضمير الحرّ، الحيّ النابض في وجدان امّتنا، وصراخ النفس الابيّة ضدّ العبوديّة والطغيان، وبالتالي هما وسيلتنا للتعبير عن سخطنا واعتراضنا المغلّفين بالحزن والاسى على الفساد المنتشر في انحاء الارض.

كما انّ تكريمنا للشهداء هو معراجنا الى ذلك المستوى الاسمى الذي بلغه هؤلاء الابرار، فهم معلّمونا الذين نتعلّم منهم كيف ننتصر على ذواتنا لنصل الى مستوى اسلافنا الذين ذهبوا شهداء في طريق الحقّ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشوراء مبعث الاصلاح :

انّ خطّ الثورة كان دوماً قاطرة تقدّم الامم، وطريقاً لانهاء سبات الانسان، وخروجاً من الجمود، وانطلاقاً نحو بناء المستقبل؛ بينما كان خطّ الانظمة الفاسدة الخطّ المضادّ لهذه الحركة التقدمية عبر التأريخ، ومن هنا فانّ ثقافتين تتراوحان في الحركة الاجتماعيّة؛ ثقافة الانظمة التي تتمحور حول شرعيّة المؤسسات الرجعيّة الجامدة القائمة، وثقافة الثورة التي تعطي الشرعيّة لبناء المستقبل.

وعاشوراء في تأريخنا الاسلاميّ يؤكد شرعيّة الثورة، و يعطينا بداية للعمل الثوريّ، ذلك لانّ الحقّ لا يبتدىء مراحله بالاستسلام والسكوت، والذلّ والخنوع، وانّما يبدأ بالرفض، فكلمة التوحيد تبدأ بحرف(لا) لتعلن «لا اله الاّ الله»، هذه العبارة التي تجسّد تكريساً للرسالات السماويّة، فجميع الانبياء(ع) جاؤوا ليكرّسوا خطّ التوحيد؛ أي الرفض لكلّ ماهو شرك وفساد وانحراف، وخط الرفض هذا الذي انبعث في الامّة الاسلامية كان موجّهاً ضدّ الخارج؛ أي ضدّ من سمّوا بالكفار والمشركين لانّ حركة الفتح الاسلاميّ التي تصاعدت منذ بداية الهجرة وحتى سنة(٦١) للهجرة وجّهت رفض الامّة، وتمرّد الجماهير، وثورة الشعب ضدّ الاجنبيّ.

ولذلك كانت البطولات التي سجّلت في تأريخنا الاسلاميّ قبل ملحمة كربلاء موجهة لاعداء الامّة الخارجيّين وليس ضدّ الانحراف الداخليّ، وفي نفس الوقت كانت النفوس الابيّة، والارواح المتعطّشة للشهادة، والقلوب الملتهبة ايماناً وحماساً من اجل الدين ، كانت تغادر البلاد وتتوجّه الى الفتوحات الاسلاميّة خارجها حتّى اصبح المثل الاعلى للشهيد ان يقتل على حدود الامة الاسلامية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما في داخل الدولة فقد كانت عربدات معاو ية، ومفاسد يزيد، وجرائم زياد وابن زياد، وتحريفات سمرة بن جندب.

وقد بلغ الانحراف داخل كيان الامّة الاسلاميّة العملاق الذروة حتّى كاد يسقط بسبب تلك الارضة التي كانت تنخر في العصا التي تعتمد وتتكىء عليها لولا ملحمة الحسين وشرعية الثورة.

وهكذا فانّ ابا الشهداء الامام الحسين(ع) هوالذي أطلق من وادي كربلاء صرخة دوّت عبر التأريخ الاسلاميّ، وصنعت بطولة من نوع جديد جسّدت فلسفة الشهادة، وروح الرسالة، وحماس التضحية من اجل الله، و بالتالي فانّها قد حافظت على عمق شجرة الاسلام، لذلك لو قيل انّ هذه الشجرة قد سقيت بدم ابي الشهداء فانّ ذلك ليس جزافاً، فلولا هذا الدم لما قام للاسلام عود.

ومن هنا جاءت ملحمة كربلاء لتقسم البطولة الى قسمين:

١ ــ بطولة الدفاع عن الثغور:

أي الدفاع عن الامة الاسلامية خارجياً حيث صبغت البطولات الافق بالدم لتحرّر البشرية من نير الاستعباد، وتدافع عن نبتة الاسلام الوليدة، وكانت هذه التضحيات تحدث على تخوم ومشارف وثغور الدولة الاسلاميّة.

٢ ــ بطولة التصحيح الداخليّ:

أي التضحية من اجل زرع الثقافة الاسلاميّة في العمق الاسلاميّ، ومن هنا نستطيع ان نؤكّد انّ ملحمة كربلاء اعطت شرعيّة للثورة ولبطولاتها وللشهادة من اجلها، فبعد كربلاء وجدنا انّ كلّ الحركات التحرريّة بلا استثناء كانت تحاول ان ترتبط بخيط يمدّها الى كربلاء، وان تستلهم من معركة الامام الحسين(ع) دروسها، وتغذّي ابناءها بروح البطولة المنبعثة من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كربلاء، وهكذا كانت ثورته(ع) تمتاز بصفة العطاء، فأصبحت مسيرة ثوريّة اخترقت حاجز الزمان والمكان.

وعلى طول التأريخ تعرّضت امتنا الاسلامية لضغوط حضاريّة شديدة كادت تنهار ازاءها؛ وهذه الضغوط لم تكن خطيرة في الجانب العسكري لانّ هذه الامّة كانت قد تحصنت منذ البدء بفلسفة الشهادة، كما انّ تلك الضغوط لم تكن اقتصاديّة الاتجاه، لانّ امتنا لم تعتمد على محور المال والثورة والاقتصاد بل تمحورت حول قيمة الحق، ولذلك لم تكن الضغوط الاقتصاديّة قادرة على تذويب امتنا عبر التأريخ.

لقد كانت تلك الضغوط ضغوطاً ثقافيـة تتمثّل في الثقافة التي تتسرّب كالماء في عمق قواعد الامّة، وتفسد جماهيرنا ثقافيـاً وفكريـاً بطريقة او بأخرى، وقد كان هذا الضغط اشدّ خطراً من الضغوط العسكريّة بآلاف المرّات.

كيف نواجه مخاطر الغزو الثقافـيّ؟

فكيف نحافظ ـ اذن ـ على امتنا من خطر الغزو الثقافي عبر التأريخ اعتباراً من حركة الترجمة اليونانيّة ايام يزيد بن معاوية الذي يعدّ اوّل من حاول ان يترجم الكتب الفلسفية الالحادية الى اللّغة العربيّة، وانتهاء بانتشار الافكار الالحاديّة الحديثة؟

الجواب نجده في مجالس الذكر، فلا ريب انّ العلماء الامناء على حلال الله وحرامه هم اوّل من حافظ على الثقافة الاسلاميّة الاصيلة، واوّل من ضحّى من اجلها، فحينما كانت ورقة الكتاب تهمة تكفي لاعدام كاتبها، وكانت الدنيا تضيق باهل العلم الحقيقيّين، كان المنبر الحسينيّ وجلسات الذكر، ومواكب العزاء، ومسيرات التعزية، اداةً لتزويد الجماهير بثقافة رساليـة حيّـة نقيّـة بعيدة عن الرواسب الجاهليّة، والافكار المستوردة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انّ ملحمة كربلاء ليست ملحمة للبطولة فحسب، وانمّا هي مدرسة للرسالة كلّها بما فيها البطولة وسائر عناوين الحياة، وحين دخلت ملحمة عاشوراء وعي الامّة الاسلاميّة فاننا لم نعد نخشى ايّ انهيار ثقافيّ لانّ ركيزة ثقافيّة قويّة قد تركزت في عمق الانسان المسلم، ذلك لانّ كلّ انسان مسلم ولاسيّما الانسان الرساليّ يعيش في قلبه خريطة مصغّرة لكربلاء منذ نعومة اظفاره، ويحمل في قلبه شخصيّة الامام الحسين(ع) وكبار اصحابه وابنائه؛ فالعباس له مكانة خاصّة في قلوب الموالين وكذلك عليّ الاكبر بل حتّى ذلك الطفل الرضيع الذي قتل رمياً بالسهام في ارض كربلاء بعد أن ذاق الامّرين من العطش والحرّ، انّه هو الآخر يعيش مثلاً للبراءة والمظلوميّة في قلب كل انسان مسلم.

فيكف يمكن لهذا المسلم الذي يعيش كربلاء، ويذوب في ملحمة الحسين(ع) ان ينسى رسالة الاسلام، فهل يمكن ان تنسى رسالة هذه رموزها ؟ ومن هنا اصبح المنبر الحسينيّ وما يرافقه من وسائل اعلاميّة ـ واقصد بالمنبر هنا مفهومه الشامل ـ درعاً للامة الاسلامية من الهجمات الثقافيّة الخطيرة.

مقوّمات ثقافتنا في العصر الراهن:

وهنا نتساءل: على ماذا تعتمد ثقافة امتنا الاسلاميّة في الوقت الحاضر، هل تعتمد على الصحافة التي تسوّد الاوراق كما تسوّد وجه التأريخ، حيث نراها كلّ صباح ومساء تمجّد خطوات كلّ مجرم، وكلّ سفاك معتد اثيم ؟ انّ هذه الاداة العميلة التي عبّئت لذلك الهجوم الثقافيّ البربريّ ضدّ اصالة امتنا الاسلامية وضد كرامتها هي الطرف الذي يقف مقابله المنبر الحسينيّ ليزوّد الامّة بالطاقة والحيويّة والاندفاع والحماس، والفكر الاسلاميّ الثوريّ الرصين.

ان قيمة كربلاء وملحمتها الثوريّة ليست فقط في انّها كانت ثورة، بل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لانّها ثورة في ثورة، وتغيير وتصحيح لمسار الثورات وحركات التغيير، انظروا الى التأريخ الاسلاميّ لتجدوا كم من ثورة انحرفت وتبدّلت الى فوضى، وكم من ثورة تحوّلت الى حزبيّة ضيّقة، ودكتاتوريّة ارهابيّة، وكم من ثورة نسيت اهدافها واستحالت الى ثورة مضادّة عندما وصلت الى السلطة.

لقد سار الامام الحسين(ع) وهو يعلم انّه سيقتل، فثورته لم تكن طلباً لمنصب، ولا بحثاً عن سلطان، ولا من اجل العلوّ في الارض، وهو الذي كان يكرّر قوله ـ تعالى ـ : **«تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين»**(١).

لقد خرج الامام الحسين(ع) من مكة المكرّمة الى ارض كربلاء وهو يذكّر مَنْ حوله بقصّة النبيّ يحيى(ع) قائلاً: **«من هوان الدنيا على الله ان يهدى رأس يحيى بن زكريّا الى بغي من بغايا بني اسرائيل»**، لكي يؤكد للآخرين ان حركته ليست لتنصيبه على رأس السلطة، او للحصول على الشهرة، وانّما كان يريد الآخرة، ولذلك فانّه يسعى الى ماسوف يؤدّي الى ذبحه كما ذبح يحيى بن زكريا، ونحن هنا نتعلّم من ثورة الحسين(ع) درسين لا درساً واحداً فقط؛ درساً في اصالة الثورة، ودرساً في منهجها الرساليّ.

الثورة والثقافة الرساليّة:

انّ الثقافة الرساليّة التي حاول الحسين (ع) وسعى من اجل بثّها في الامة الاسلاميّة قبل عشر سنوات من قيامه بثورته المباركة، كانت القاعدة التي يجب ان تنبعث منها الثورة لتصونها من الانحرافات والنكسات الخطيرة.

في عشيّة يوم تاسوعاء جاء (شمر بن ذي الجوشن) يقود حملة ضدّ الامام

---

١ ـ القصص / ٨٣.

الحسين(ع)، فبعث(ع) اخاه العبّاس ليستكشف اهدافهم، فاذا بهم يريدون قتله، فاستمهلهم سواد تلك الليلة، فقال بعض اصحابه (ع): يابن رسول الله ولماذا انّ الحرب هي الحرب سواء اليوم ام غد؟ فقال(ع): اريد ان اجدّد ذكراً مع ربّي في هذه الليلة.

لقد فعل الحسين (ع) ذلك لا لكي يرتاح، او يكتب وصاياه الاخيرة، بل ليزداد قرباً الى الله ـ تعالى ـ، وهذا درس في انّ للثقافة الرساليّة ضرورة قصوى في الثورة الصحيحة، لكي نتحصّن ضدّ مخاطر تحوّل الثورة الى ثورة مضادّة.

ومن هنا تجد ان الامام الحسين(ع) لم يكن يتحدّث في خطبه وادعيته يوم عاشوراء عن القضايا السياسيّة فحسب، وانّما كان يؤكّد ايضاً على القضايا الايديولوجيّة، كالتوحيد، والاتصال بالله ـ تعالى ـ، لانّها هي الأساس والهدف.

لماذا نحيي ذكرى عاشوراء كلّ عام؟

يجب علينا ان نحيي ذكر الامام الحسين(ع) فكلّ امّة تريد النجاح والانتصار لابّد ان تحضر في تأريخها، وان يكون تأريخها هذا حاضراً في واقعها، ولذلك فاننا نحيي ذكرى عاشوراء لتكون نوراً لنا على مرّ السنين، ولتكون بطولات الحسين(ع) نبراساً مضيئاً، ولتكون حياتنا ومشاكلنا طريقاً لفهم ثورة الامام الحسين(ع)، فنحن لا نستطيع فهم هذه الثورة الا بعد ان نفهم شبكات المؤامرات المحيطة بنا اليوم، لانّ هذه الظروف هي التي توضح لنا كيف ثار الامام الحسين(ع)، كما اننا لا نستطيع ان نكسر الطوق المحيط بنا الا اذا عرفنا كيف نستطيع تجديد واعادة ملحمة كربلاء الى واقعنا، فنحن اليوم في عالمنا الاسلاميّ بحاجة الى ملحمة من نوع ملحمة كربلاء، والّا فانّ الارهاب ووسائل القوى الوحشيّة ستنال من ثورتنا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فان لم تكن الضربة من انظمة المنطقة، فانّها ستكون من التكاتف الاستكباريّ ضدّ عموم الحركات الاسلاميّة، فشياطين الارض تجتمع الآن من اجل محاصرة الثورة الاسلاميّة وتصفية حركاتها؛ فكيف يمكن لهذه الحركات ان تنتصر على تلك المؤامرات، وتلك الشبكة الواسعة من الخطط الاستعماريّة؟ الطريق الوحيد هي اتباع المنهج الحسينيّ.

فلنتخذ من ملحمة عاشوراء درساً ونبراساً نستضيء به في ظلمات العصر اليزيدي.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

كربلاء مدرسة الرسالة

في كلّ عام يستقبل العالم الاسلاميّ بداية السنة الهجريّة التي تصادف في نفس الوقت بداية شهر الدم والتحدّي، شهرم محرّم الحرام، وفي هذه المناسبة يتساءل المرء: ما هي اهمّ الواجبات والمسؤوليّات التي يجب عليه ان يقوم بها خلال هذه المناسبة الكريمة والهامّة ألا وهي شهر محرّم الحرام، ذلك الشهر الذي تتفجرّ فيه كلّ عام ثورة حسينيّة جديدة تستلهم من بطولات ابي عبدالله الحسين(ع)، ومن ايثاره وتضحياته، وتحدّيه للطغاة المفسدين في عصره، فماذا يجب علينا ان نفعل ونحن نستقبل هذه المناسبة في كلّ عام؟

ثورة الحسين (ع) ضمانة انتشار الاسلام:

قبل ان نجيب على هذا السؤال الذي هو محور هذا الفصل لا بدّ ان نقول انّ الاسلام بعث رسالة للبشريّه كافة «**وما أرسلناك الّا كافّة للناس**»[1]، فالعرب والعجم، والبيض والسود في مشارق الارض ومغاربها لابدّ ان يستفيدوا من هذه الرسالة، والى ان تنتشر هذه الرسالة في كافة ربوع الارض يبقى الانسان المؤمن يشعر بتقصيره، ومسؤوليّته تجاه هذه الرسالة.

---

١ ــ سبأ/٢٨.

وقبل ان يعمّ السلام العالم ، و يثأر المؤمنون لدم ابي عبدالله الحسين(ع) تحت لواء ابنه الامام الحجة (عج) ، قبل كلّ ذلك تظلّ مصيبة الحسين(ع) تغمر قلب الانسان المؤمن ، فتتحوّل في النفوس الى اندفاع نحو رسالة الاسلام ، فما دامت الرسالة الاسلامية رسالة عالميّة ، تبقى المسؤولية الرساليّة عند الانسان المؤمن كما هي.

وهنا نتساءل: ما الذي يحافظ على اندفاع هذه الرسالة العالميّة لكي لا تبتلعها النفوس الكسولة ، ولا تغطي عليها التبريرات غير المنطقيّة ، ولا تظلّلها حالة السكون واليأس عند الانسان ، ولا يركن حملتها الى الراحة والدعة ؟

الاجابة ببساطة: انّ واقعة كربلاء هي تلك الشعلة التي تحافظ على حيويّة الرسالة ، وعلى اندفاع المؤمنين بها ، فهذه الواقعة كانت مقدّرة عند الله ـ تعالى ـ منذ خلق آدم ، وتقديره هذا لا يعني الجبر والاكراه للانسان ، بل يعني وجود واجب شرعيّ يكلّف به ابو عبدالله الحسين(ع) بصفته اماماً ووريثاً لجدّه النبيّ(ص) ، فالبشريّة لا تستطيع ان تعلو مرة واحدة الى قمّة التسامي والعلو الالهيّ ، فتلك الانبعاثة الالهيّة التي انطلقت من غار حراء لابدّ ان يخبت نورها في النفوس ، ولابد ان يطغي عليها الجاهليّون مرة اخرى ، وهذا هو التقدير الالهيّ الذي نعنيه عندما نقول انّ الله ـ تعالى ـ كان قد قدّر منذ الازل واقعة كواقعة كربلاء.

فالانبياء(ع) كانوا يتحدّثون عن هذه الواقعة الواحد بعد الآخر ، وكانوا يروون قصّة كربلاء لاوصيائهم وهذا لا يعني الجبر والاكراه بل يعني وجود سنّة الهيّة ملقاة على عاتق قادة البشر وسادتهم وائمّتهم منذ الازل.

وعلى هذا فانّ هذه الشعلة هي شعلة ثورة الامام الحسين(ع) التي تعطي وقوداً لحملة الرسالة الالهيّة ، وهي التي جعلت النبيّ(ص) يقول: «حسين منّي وانا من حسين» ، باعتبار انّ الحسين(ع) ليس امتداداً لرسول الله(ص)

فحسب بل تجديداً لرسالته ، وبعثاً جديداً لتلك القيم التي جاء بها من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

بعد تقرير الحقيقة السابقة يأتي هنا السؤال الآخر: لماذا لم تنتشر هذه الرسالة الالهية رغم وجود هذه الشعلة الهائلة في ضميرها ، فهناك الآن اكثر من ثلاث مليارات من البشر مايزالون لا يؤمنون بالاسلام والامام الحسين(ع) ؟

الجواب على ذلك هو انّه لابدّ ان يبقى هناك هامش لارادة الانسان ، ولابدّ ان تبقى حريّته محفوظة في مسيرة التأريخ ، وهذه الحريّة الممنوحة للانسان والتي أساء البشر استعمالها هي المسؤولة عن عدم انتشار الرسالة لحدّ الآن في ربوع الارض ذلك لانّ المسلمين بل وحتّى شيعة الامام الحسين(ع) لم يستغلّوا هذه الرسالة بالقدر الكافي ، فهم مايزالون يعتقدون انّ الحسين(ع) انّما ينبعث في اليوم الاوّل من محرّم لينتهي في العاشر منه ، وانّ وجوده مقتصر على المجالس الحسينيّة !

لابدّ انّكم سمعتم عن ذلك القسيس الذي قال لاحد علماء الدين في الهند انّ الشيعة لا يحسنون استغلال تأريخهم ، وعندما سأل عالم الدين عن السبب ، قال القسيس : لو كان لدينا شخص كالحسين لنصبنا على كلّ قارعة طريق علماً باسم الحسين ندعو من خلاله الناس الى الديانة المسيحيّة ، واضاف هذا القسيس قائلاً : انّ نبيّنا المسيح قد صُلب فزرعنا الارض صلباناً فاينما تذهب تر صليباً ، في حين انّ الحسين قد قتل بتلك الطريق المأساويّة هو وخيرة اصحابه واهل بيته فماذا فعلتم له !

وهكذا فانّنا مانزال نجهل عظمة هذا الرافد الالهيّ والفيض الربّاني ، وعلى سبيل المثال لو كان شعبنا المسلم في العراق قد عرف قيمة الامام الحسين(ع) ، وتعلّق بثورته ، وعاش هذه الثورة بأعماقهِ لما أنتكس الاسلام فيه ، ذلك لانّ المجالس والمواكب الحسينيّة كانت دون المستوى المطلوب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا فانّ المسؤول عن توقّف الموجة الاسلامية في العالم، والمسؤول عن عدم الفهم الصحيح لثورة أبي عبدالله الحسين(ع)، وبالتالي عدم احتواء هذه الشعلة التي هي وقود انتشار الرسالة الالهيّة، المسؤول عن كلّ ذلك هو عدم فهمنا لحقيقة الثورة الحسينيّة.

مسؤوليّتنا ازاء نشر الرسالة الاسلاميّة:

ونتساءل هنا: ما هو ـ إذن ـ واجبنا، وما هي مسؤوليّتنا؟

وهنا اقتبس من نهايات سورة الشعراء مجموعة من الافكار:

١ ـ انّ الله ـ تعالى ـ يخاطب نبيّه(ص) بلغة (ايّاك اعني واسمعي ياجارة) فيقول: «**وانذر عشيرتك الاقربين**»[١]، فكلّ مسلم مسؤول اولاً وقبل كل شيء عن عشيرته الاقربين، أي ينبغي ان لا ينتظر الواحد منّا خطيباً يرقى المنبر ليتحدّث عن ثورة الحسين(ع)، فكلّ واحد منّا يجب ان يتحوّل الى خطيب، ويتحدّث عن ثورة أبي عبدالله (ع) سواء كان خطيباً أم لا، وسواء ارتقى المنبر ام كان في مكان آخر. فليبدأ الانسان المؤمن بحمل رسالة الانذار ابتداءً من اقاربه.

٢ ـ اذا كان صاحب الرسالة (أي من يحمل الرسالة) جبّاراً عتيّاً يتبختر في الارض، ويتّخذ من الرسالة وسيلة لطغيانه واستعلائه على الآخرين، فانّه سيخسر رسالته ونفسه، ولذلك لابدّ ان يكون صاحب الرسالة وحاملها متواضعاً اشدّ ما يكون التواضع، كما صرّح بذلك ـ تعالى ـ في قوله: «**واخفض جناحك للمؤمنين**»[٢]، وكلامي هنا موجّه الى الحركات الاسلامية، والطلائع الرسالية العاملة في الساحة، وأنا ادعوهم الى ان يستفيدوا من هذه الذكرى المقدسة،

---

١ ـ شعراء/٢١٤.
٢ ـ الحجر/٨٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذكرى ثورة أبي عبدالله الحسين(ع)، وان يتعّمقوا في الرسالة و يتفقّهوا فيها، ونتدبّر في ما نقوله، ونسأل انفسنا: هل طبّقنا على انفسنا ما نقوله ؟

انّ موضوع التواضع، والتوادد، والايثار والاحسان وما اشبه ذلك من الاخلاق الرسالية الفاضلة التي أمر بها الاسلام لم تصغ لتنظيم العلاقة بين الافراد وانّما بالدرجة الاولى لتنظيم العلاقات بين فئات المجتمع، ومجاميع الحركات الاسلامية، والمجالس والهيئات، فليس من التواضع مطلقاً ان اطرح نفسي لاغياً الآخرين، وان اعلن انّ الذي يخالفني انّما يخالف الدين، فكلّ واحد لا يحقّ له ان يعمل الاّ من خلالي !

انّ التواضع يجب ان يكون للحقّ، ولاخوتنا المؤمنين، فمثل تلك الكلمات يجب ان تسقط من قاموس العاملين في الساحة، فكلّ من يعمل صالحاً في سبيل الله هو اخ لنا، فيجب ان نكون اذّلة للمؤمنين اشدّة على الكافرين، فالمؤمنون خلقوا من طينة واحدة، ومن نور واحد فبقدر ما يكون المؤمن متواضعاً لاخيه المؤمن، يتحّدى الكافر ومن يعصي الرسالة، فلا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يهن ولا يحزن، ويثق انّه الاعلى مادام مؤمناً، فهو كالجبل يصمد امام الاعداء، فنحن لابدّ ان نكون اقوياء في حملنا لرسالتنا **«يا يحيى خذ الكتاب بقوّة»**[(١)]، لابدّ ان نحمل الرسالة بعزم وحيويّة دون ان نهن ونتنازل عنها، وعندما تتوفّر فينا هذه الشروط فان الله ـ تعالى ـ سينصرنا لامحالة.

الدعوة الى الله محتوى رسالتنا :

ان الانسان بعين الله وتحت رقابته في جميع تحرّكاته، فلندع الضغن والجبن، ولندعو الى اهداف الثورة الحسينيّة، ولنحمل رسالتها الى الآفاق،

---

١ ــ مريم /١٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولنتحمّل في سبيل نشرها جميع المصاعب والصراعات ضدّ القوى الجاهليّة، ولنعلم انّ الحرب التي نعلنها ضدّ الطغاة انّما هي وسيلة لتحقيق الاهداف الالهيّة كما أشار الى ذلك الامام الحسين(ع) في قوله: **«انّي لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً...»**، فالدعوة الى الله هي محتوى رسالتنا، ومن الممكن ان نخوض في سبيل هذه الدعوة بعض الحروب والمعارك اذا اضطررنا الى ذلك.

وعلى هذا فانّ هناك من يشوّش عليك وانت تنشر رسالتك، فيثير ضدّك الدعايات والافكار المضّلة، فبعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران وعلوّ موج الحركة الاسلامية في العالم الاسلاميّ، تحرّكت عشرات الالوف من المؤسّسات والاجهزة التي عملت على تشويش رؤية المسلمين للثورة الاسلاميّة مدعومة لا بالقوى الماديّة فحسب بل بالقوى الغيبيّة ذلك لانّ الغيب غيبان؛ غيب الهيّ يؤيّد المؤمنين الصالحين، وآخر شيطانيّ يؤيّد المفسدين والطغاة كما يشير الى ذلك -تعالى- في قوله: **«انّ الشياطين ليوحون الى اوليائهم...»**[1]، وفي هذا المجال يقول القرآن الكريم ايضاً: **«هل انبّئكم على من تنزّل الشياطين...»**[2]، فالشياطين تتنزّل على قلوب اعداء الله كما انّ الملائكة تنزل على قلوب المؤمنين.

ففي مقابل هذه الموجة الهائلة من الدعايات الجاهليّة المضلّلة، لابدّ ان تكون هناك موجات تقاومها وتعاديها وتمتلك القدرة على تحدّيها، والى هذا يشير القرآن الكريم في قوله: **«والشعراء يتّبعهم الغاوون، الم تر انّهم في كلّ واد يهيمون، وانّهم يقولون مالا يفعلون، الّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون»**[3].

١ـ الانعام/١٢١.

٢ـ شعراء/٢٢١.

٣ـ شعراء/٢٢٤-٢٢٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبناءً على كلّ ذلك فانّنا نحن الذين يجب ان نحمل راية الاسلام، ونحن الذين ينبغي ان نرفع شعار «**يالثارات الحسين**»، فننتقم بذلك من اعداء الرسالة الالهيّة الذين يمثّلون قتلة الامام الحسين(ع) واصحابه واهل بيته في كلّ عصر وفي كلّ مكان، وحينئذ سيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون، وستكون العاقبة للمتّقين باذن الله ـ تعالى ـ.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس

كربلاء .. المسيرة

لقد أنتهت مأساة كربلاء لتبدأ مسيرة كربلاء. أنتهت هذه المأساة بسفك ازكى الدماء، وسبي اطهر النساء، وحدوث فاجعة لم يسبق لها مثيل عبر التأريخ، لتبتدىء بعد ذلك مسيرة جديدة، وهذه المسيرة تحولت الى حقائق راسخة توغلت في عمق الانسان حتى اصبحت جزء منه وكأنها سنة من سنن الكون.

دور الثقافة في انتصار الثورات :

ولكن من الذي قاد هذه المسيرة ؟

قبل ان نجيب على هذا السؤال لابد ان نلفت الانظار الى دور الثقافة في الثورة، فكلنا نعرف ان الثقافة هي عصب الثورة، فعلى قاعدة التوحيد والايديولوجية تبنى الثورات، ومن هذه القاعدة تنطلق.

ولولا ايمان الثائرين الذي يدفعهم الى التضحية من اجل الثورة، ولولا وجود فلسفة الشهادة في الامة الاسلامية، لما كانت الثورات ممكنة الحدوث عبر التأريخ وخصوصاً الثورات الاسلامية بما كانت تحمل من بطولات وشجاعة.

ومع ذلك فان دور الثقافة لاينتهي عند هذا الحد، لان الدور الاعظم لها يبدأ بعد الثورات، وسواء انتهت هذه الثورات بانتصار او بنكسة مؤقتة فان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للثقافة دوراً اساسياً فيها.

ان الاسلام قام منذ البداية على اساس التضحية والفداء، والتعبير الذي يقول ان الدم ينتصر على السيف هو التعبير الموجز المستلهم من الآيات القرآنية وخصوصاً من قوله ـتعالى ـ على لسان النبي نوح(ع): «**ربي اني مغلوب فانتصر**»، وهو تعبير يلخص تأريخياً حافلا بالدماء والدموع.

ولاريب في ان الثورة الاسلامية حتى في بداية انطلاقها في عهد الرسول(ص)، كانت تعتمد على دماء الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله، ومع ذلك فان لم يكن هناك لسان ناطق باسم هذه الدماء، ولم تكن هناك فكرة معبرة عن تلك الشهادة، فان الدم سيذهب هدراً، وبذلك لا يحقق اهدافه المقدسة.

وبالفعل لو أنتهت مأساة كربلاء باستشهاد ابي عبدالله الحسين(ع) فلا ريب في ان هذه المأساة كانت ستطوى في عالم النسيان لولا ذلك اللسان الناطق باسم الثورة، والمتمثل في زينب الكبرى(ع) التي حملت معها مأساة كربلاء لتطوف بها في كل ارض ومصر.

وبعد، فهذا هو دور الثقافة والاعلام، فالذي يحيي الشهيد ويميته هو الاعلام، ولذلك فان مسؤولية بقايا السيف والدم هي مسؤولية اكبر من مسؤولية الشهداء، فعندما يقوم نظام طاغوتي ـ كنظام صدام ـ باعدام الصفوة من ابناء امتنا في العراق يطرح سؤال مهم وهو: من الذي يحدد مصير هذه الصفوة المستشهدة ؟

انها مسؤولية اصحاب القلم، واصحاب الفكر، فعندما يسقط شهيد لابد ان يرتفع من حوله وعلى كل بقعة من دمائه علم يدعو باسمه، ويصنع منه سيفاً يلاحق الطغاة في نومهم ويقظتهم، امّا اذا سقط شهيد ثم سكت الآخرون فان هذا يعني انهم اشتركوا في جريمة قتله، فان اماته الطاغوت مادياً، فانّ الامّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ستكون قد اماتته معنوياً.

الثورة الحسينية ملهمة الشعراء:

انّ كّل قطرة دم زكّية من دماء الامام الحسين(ع) شكّلت رافداً اثار احاسيس الشعراء، بل انّ هذه القطرة صنعت الشعراء، فالانسان الذي يحمل قضيّة واحساساً هو الانسان الذي يريد ان يعبّر عنها بصدق، فيبحث عن وسيلة للتعبير، ليجد وسيلة اللسان والشعر، وهي الوسيلة المناسبة للتعبير عن آهاتهم واحزانهم وآلامهم وقضيّتهم الانسانيّة.

وفي ارض كربلاء بدأ اسلوب التعبير عن الثورة بالشعر ابتداءً من اراجيز الشهداء قبل استشهادهم، ثمّ بعض الابيات المنسوبة الى ابي عبدالله(ع) كقوله:

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني
اوسمعتم بشهيد او قتيل فاندبوني
فانا السبط الذي من غير ذنب قتلوني
وبجرد الخيل عمداً سحقوني

فهذه الاشعار انطلقت من كربلاء نفسها يوم عاشوراء، وقد امتدّ هذا الشعر الى الكوفة على يد الكميت، وامتدّ الى خراسان على يد شاعر اهل البيت دعبل الخزاعيّ، واستمرّ مع الحمدانيّين بأبي فراس الحمداني، والشعراء الآخرين من مثل الشريف الرضي، فكانت رسالة الشعر رافداً انطلق من كلّ قطرة من دم الشهيد المظلوم في كربلاء.

رسالة الكلمة:

وبالاضافة الى ذلك فانّ دماء الشهداء اجرت رافداً آخر للتعبير عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احداث الطّف هو رافد الخطب اللاهبة، فقد كانت زينب الكبرى تقذف لهباً وحمماً في وجه الطغاة ابتداء من كربلاء حيث خاطبت عمر بن سعد في يوم عاشوراء خطاباً مؤثّراً حتّى بكى وجرت دموعه على لحيته.

وهذا هو ماحدث في الكوفة، فعندما القت زينب(ع) ذلك الخطاب، أثارت به الجماهير، وكشفت عن واقعهم الفاسد بكل صراحة وبطولة ، وحينئذ أخذ بعضهم ينظر الى البعض الآخر، ولسان حالهم يقول : انحن الرجال أم انّ هذه المرأة هي الرجل الحقيقيّ ؟، فمع انّها فقدت كلّ اعزّتها وانّها وحيدة فانّها لاتتحدّث عن ظلم الطغاة وانحرافهم فحسب بل وتكشف عن سكوت الجماهير، ومدى اشتراكهم في الجريمة لو استمرّوا في السكوت، وهذه هي الشجاعة ، فهي ان يقول المصلح كلّ الحقيقة التي هي حقّاً رسالة الكلمة التي تحوّلت الى رافد .

انّ الخطب لم تعد بعد كربلاء خطباً فارغة بل كانت الخطب والاحاديث تبدأ بذكر الامام الحسين(ع) وتنتهي به، وهكذا فقد تحوّلت كلّ قطرة من قطرات دمه(ع) الى رسالة للكلمة، وتحوّلت القطرات الاخرى الى روافد جرى احدها في عروق الثائرين عبر التأريخ، وآخر جرى في عروق العلماء والمفكّرين وآخر جرى في شرايين الناس ورفعهم الى كلّ معاني الانسانية والتضحية، والذي يعنينا هنا هو رافد الثقافة، فبعد ان يقوم الشهيد بدوره يبدأ الدور الاساسي وهو دور الكلمة والثقافة والاعلام.

وهذا الدور هو في الواقع منعطف خطير، للثورة، فان قام به الباقون انتصرت، والاّ فانّ مصيرها سيكون على كفّ متأرجح، والامام الحسين(ع) كان يخطّط له منذ البدء باسلوب معيّن ولذلك اصطحب معه زينب وسائر اهل بيته(ع).

انّ الاسلام لا يريد للانسان ان يخضع قسراً لرسالة السماء، بل يريد ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يربطه بالرسالة، وينمّي فيه الارادة والعزم والوعي لكي يصل الى مستوى الايمان بالرسالة، والذين يستشهدون في طريق الحقّ لا يهدفون العلوّ الى الى السلطة ليفرضوا على الناس فكرة معيّنة، فالله لا يريد لعباده المؤمنين ان يتحوّلوا الى ارهابيين، بل لكي يفسحوا المجال واسعاً امام الثقافة والوعي ليلعبا دورهما في رفع الناس الى مستوى الايمان.

وقد كان هذا هو هدف كربلاء، ومن الاهداف التي رسمها الله ـ تعالى ـ من فوق عرشه لهذه الارض، ولبطلها ـ الامام الحسين(ع)، فتح المجال امام الخطباء والكتّاب والاعلام ليفهموا الناس الحقيقة، فعندما نسمع قول المعصوم(عليه السلام): «**كلّنا سفن النجاة وسفينة الحسين اسرع، كلّنا باب النجاة وباب الحسين أوسع**»، وعندما يقول النبيّ(ص): «**الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة**»، فانّ هذا يعني ان الامام الحسين(ع) كان يريد ان يقود الناس المنحرفين الى الجنّة عبر فتح المجال واسعاً امام هداية الناس.

فلسفة كربلاء:

ترى لماذا عرّض الامام الحسين(ع) نفسه الى القتل؟، ولماذا جاء باصحابه وأهل بيته، واولاده وحتّى طفله الرضيع؟، الجواب يأتي من قبل الذين حملوا رسالته(ع) من بعده؛ زينب الكبرى(ع)، وفاطمة الصغرى، وأم كلثوم، وسكينة التي كانت الى آخر ايّام حياتها تندب اباها الحسين(ع).

انّ فلسفة كربلاء لا تتلخّص في انّ الامام الحسين(ع) علّم الناس كيف يحملون السيف، بل انّه اثار في اذهانهم انّه انّما قتل ليتحمّل بعض ذوي الضمائر الحيّة رسالتهم، ويرتفع مستوى وعي الجماهير وارادتها الى قمّة الايمان والالتزام، فدور الثقافة ـ اذن ـ هو جزء من فلسفة شهادة الحسين(ع)، وهو مسؤولية ملقاة على عاتق الباقين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انّ هذه المسؤولية لم تكن ملقاة على عاتق زينب(ع) في ايّام الحسين (ع) فحسب بل انّها باقية الى يومنا هذا، فهو(ع) ما يزال حيّاً متجسّداً في من يحمل رسالته، وان يزيد ما يزال طاغوتاً متمثّلا في فكره الفاسد، وفي من يمثّل دوره من الطغاة.

وقضيّة كربلاء ماتزال تحمل آفاقاً لم تكشف بعد، وأبعاد لم يهتد اليها الناس وخصوصاً تلك المتعلّقة بالذين حملوا الرسالة من بعد الامام الحسين(ع) كزينب الكبرى، فالقضية مازالت الى الآن تحمل آفاقاً لم يرتادها احد، واذا ماا كتشفت هذه الآفاق فانّها بقدرها سوف تعطي زخماً للثورة، وتعطي لهذا التيار المبارك شحنات جديدة ولذلك تبقى الرسالة الاعلامية هي نفس الرسالة التي حملتها زينب(ع) في عصر الامام الحسين(ع).

وبالتأكيد فانّ حركته(ع) كانت تمهيداً للثورات التي تفجّرت من بعدها، وقد حدّدنا وجوه الشبه في الفصول السابقة بين الحركات الرسالية في التأريخ بقيادة الانبياء(ع)، وبيّنّا ان كلّ ذلك قد استوحيناه من سورة الشعراء، ففي نهاية هذه السورة ذكرنا دور الثقافة والاعلام، هذا الدور الذي اشارت اليه الآيات الاخيرة من هذه السورة المباركة وهي:

«هل انبّؤكم على من تنزّل الشياطين * تنزل على كل افّاك اثيم * يلقون السمع واكثرهم كاذبون * والشعراء يتّبعهم الغاوون * الم تر انّهم في كلّ واد يهيمون * وانّهم يقولون مالا يفعلون * الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»(١).

١ــ الشعراء/٢٢١-٢٢٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشعراء من وجهة نظر القرآن الكريم:

فالشعر هو سلاح ذو حدّين، والقرآن يقسم الشعراء الى قسمين:

١ ــ الذين يكتفون بالكلمة عن الفعل، و يتيهون في وادي الخيال، و يتّبعهم الناس الذين لا هدى لهم، وهؤلاء الشعراء يذمّهم القرآن الكريم، و يصف شعرهم بالافك المنطلق من وحي الشيطان.

٢ ــ الشعراء المؤمنون الذين يعملون الصالحات.

ولكن هل يكفي هذا؟، فالقرآن يقول انّ الشعراء الحقيقيين هم الذين ينتصرون من بعد ماظلموا، والشاعر الحقيقيّ هو الذي يحمل قضيّة المظلومين، و يبدوا هذا واضحاً من خلال التأريخ، ومن خلال الآية الكريمة، ونحن نستوحي منهما انّ من يستطيع ان يقول شعراً، أو يلقي خطاباً، او يؤلف كتاباً لابّد ان يصطدم في بداية عمله بعقبات اجتماعيّة واخرى سياسيّة واقتصاديّة.

فلو افترضنا انّ احد المؤلفين كتب كتاباً بكلّ مايراه حقّاً ثمّ نشر هذا الكتاب فمن الطبيعي انّ الآخرين لا يرون رأيه ممّا يدفعهم الى مخالفته الامر الذي يؤدي الى حدوث الاصطدام بينهم، وفي هذا الوقت يحتاج هذا الانسان الذي قال الحقيقة الى المقاومة والنضال، لأنّ الشاعر الذي يحمل رسالة الانسان المظلوم والمحروم لا يمكن ان يردعه الطغاة، والمفسدون في الارض، والمستكبرون من الرأسماليين والاقطاعيين وغيرهم.

وهنا يتبيّن مدى صمود هذا الشاعر، والقرآن يصرّح انّ الشاعر الحقيقيّ هو الذي ينتصر من بعد ما ظلم، وعندما يحاول الطغاة اسكاته فانّه يقاومهم بكلّ قوّة، و يتحدّى الوضع الفاسد الذي يريد اركاعه واخماد صوته الثوريّ.

انّ الشعراء المناضلين في التأريخ كانوا يعيشون على أكل خبزة يابسة، و ينامون في الشوارع، لانّهم كانوا يحملون رسالة الشعر الحقيقيّة، فالفرزدق الذي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان من الموالين لاهل البيت(ع)، وكان والده من اصحاب الامام عليّ(ع)، مرّ بالامام الحسين(ع) وهو يسير باتّجاه مكّة، فقال له: يابن رسول الله الى اين تذهب؟ فقال(ع): الى الكوفة، وكيف تجد الناس هناك، فقال: يابن رسول الله قلوبهم معك وسيوفهم عليك.

وقد اثّرت هذه الحادثة في قلب الفرزدق تأثيراً بالغاً، ويخيّل اليّ انّه وقف يرقب قافلة الامام الحسين(ع) وهي تتجه الى الموت طويلاً قبل ان يبتلعها غبار الصحراء، فبقي اثر تلك النظرات في قلب الفرزدق حتى انفجر شعراً في وجه النظام الامويّ وبالذات في مكة المكرمة وعند البيت الحرام عند مدحه للامام زين العابدين(ع) في قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجدّه انبياء الله قد ختموا

الشعراء السنة الجماهير:

ففي عصره كان الشعراء هم السنة الجماهير، وهم الجهاز الاعلامي الوحيد تقريباً في ذلك اليوم، وهذه القصيدة كانت من القصائد الرئيسيّة التي ساهمت في اسقاط بني اميّة حيث تحمّل الفرزدق مسؤولية شعره هذا، وذهب راضياً الى السجن.

وهكذا الحال بالنسبة الى دعبل الخزاعي الذي كان يهيم على وجهه في الصحراء عدّة سنين وهو يحمل خشبة اعدامه على كتفه، وكان شعره انشودة يردّدها كلّ البؤساء، لانّه كان جزء من هذه الطبقة المحرومة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا فانّ الذي يريد ان يحمل رسالة الشعر، ورسالة الكلمة، لابدّ ان يكون ممّن قال عنه الله ـ سبحانه وتعالى ـ: «... **الّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً**»[1] ، فيكون هدفه ذكر الله ـ تعالى ـ، وتوجيه الناس وتوعيتهم.

فيامن تحملون رسالة الشهداء في التأريخ، و يامن تحوّلون دم الشهيد الى روافد، يجب ان لا تزرعوا اليأس في قلوب الناس، بل ليكن هدفكم زرع الشجاعة والامل والرجاء في قلوب الناس.

ومن هنا فانّ هذه الآية الكريمة تحمّل المبلغين مسؤولية تحويل دماء الشهداء الى قنوات فاعلة للعمل الاسلاميّ، معتمدين في ذلك على حثّ الجماهير على الجهاد، وبثّ الامل في نفوسهم، وكسر حواجز الخوف والتردّد في قلوبهم.

---

١ ـ الشعراء/٢٢٧.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـــاب الرابع

مسيرة الاصلاح

الفصل الاول : حقيقة النهضة الحسينية ومحاولات التشويه.
الفصل الثاني : امتحان الاختيار في نهضة الامام الحسين(ع).
الفصل الثالث : القمم الشامخة في النهضة الحسينية.
الفصل الرابع : الشجرة الملعونة في القرآن.
الفصل الخامس : رسالة الاعلام في النهضة الحسينية.
الفصل السادى : الى خطباء المنبر الحسيني.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقيقة النهضة الحسينيّة ومحاولات التشويه

في بداية كلّ عام هجريّ تتفجرّ في البلدان الاسلاميّـة ثورة تجدّد القيم الاسلامية الداعية الى مقاومة الظلم، ومحاربة الطاغوت، ومع تجدّد هذه الثورة في كلّ عام يطرح السؤال التالي: ماهو الهدف النهائي لهذه الثورة التي تستلهم من ثورة الامام الحسين(ع) دروسها وعبرها؟ فنحن نعلم انّه(ع) ثار وتحرّك وضحّى بنفسه واهل بيته، ولكن لماذا؟.

وللأسف فانّ الكثير من الكتّاب يتجاهلون الهدف النهائـيّ الاسمى لهذه الثورة؛ بعضهم خوفاً، وبعضهم ضلالةً، والبعض الآخر مماشاةً للرأي العام المضلّل بدوره من قبل الحكّام والقوى الطاغوتيّـة والجاهليّـة.

الهدف النهائـيّ لثورة الحسين(ع):

المفكّرون الاسلاميّون قالوا جواباً علـى التساؤل السابق انّ ثورة الامام الحسين(ع) استهدفت اقامة حكم الله في الارض، فقد كانت الحكومة الاسلاميّـة هي النهاية المنتظرة لثورته(ع)، فهو لم يكن يستهدف بثورته في كربلاء واراقة دمه مجرّد زعزعة بني اميّـة عن الحكم، او احداث انفجار في داخل الامّـة لا يهدف شيئاً، بل انّ الامام الحسين(ع) كان يخطّط لهدف محدّد ألا وهو اقامة حكم الله علـى الارض.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالطبع فانّ هذا الجواب الذي جاء على لسان المفكّرين الاسلاميّين لم يكن جديداً على النهضة الحسينيّة، والقيم الاسلاميّة وروح الآيات القرآنيّة، والسيرة النبويّة، واحاديث الأئمّة المعصومين(ع)، بل أنّ الجديد فيه هو دلالته على الشجاعة التي اتّسم بها اولئك الذين طرحوه، ووقفوا يدافعون عنه صامدين امام التيار الرجعيّ الذي حاول اكتساح هذه المجموعة التي طرحت هذه الفكرة، وذلك من خلال استخدام اساليبهم المختلفة كالصحافة العميلة، والمخدوعين ممّن يدّعون انّهم علماء دين.

محاولات تشويه حقيقة ثورة الحسين(ع):

وعلى هذا فانّ هناك عناصر كثيرة حاولت تشويه ثورة الامام الحسين(ع) على مدى التأريخ، وحاولت فصل الدين عن السياسة، وفصل تأريخ الأمّة عن حاضرها.

ترى لماذا وضع المستكبرون وعملاؤهم اصابعهم على هذه النقطة الحسّاسة، فأخذوا يقاومون هذا التيّار، ويحاربون هذا التفسير الصحيح للتأريخ الاسلاميّ؟، الجواب: لانّهم عرفوا انّ الامّة الاسلاميّة اذا ارتبطت بتأريخها، واستلهمت منه لحاضرها، وإذا استوعبت دروس الحسين(ع)، فآنئذ ستنهار العروش الطاووسية، وستنتهي الى الابد عصور الطغيان والظلم والقهر والاستغلال.

لقد ادركوا انّ الشعوب الاسلاميّة تؤمن بالحسين(ع)، وتجدّد ذكراه في كلّ عام، وتعيش مأساته في ذاتها، وتعلم انّ من الواجب عليها ان تثأر له(ع)، وللقطرات الزكيّة من دمه الطاهر الذي أريق في كربلاء، ولاولئك المؤمنين الذين صرعوا في كربلاء، والطفل الرضيع الذي خضّب بالدم، ولسبعين طفلاً وطفلة قتلوا تحت حوافر الخيول..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انّ كلّ امرأة في الامّة الاسلاميّة تتمنّى ان تثأر لزينب، وام كلثوم، وفاطمة، وسكينة، وهكذا الحال بالنسبة الى رجالنا، وجميع شرائحنا الاجتماعيّة المسلمة، فهم لا يجدّدون ذكرى اولئك الابطال لمجرد التجديد فحسب بل لكي يغذّوا انفسهم بقيم الثورة ضدّ الطاغوت، و يتطلّعوا للثأر من الطواغيت الذين هم في الحقيقة ابناء اولئك الذين قتلوا اولئك الابطال.

ثورة الامام الحسين طاقة في النفوس:

لقد عرف الاستكبار كلّ ذلك، وعرف ايضاً انّ هذه الطاقة الثوريّة الهائلة الكامنة في الامّة الاسلاميّة لو وجهت باتجاه تحطيم عروش الطواغيت، ولو عرف الناس ان طواغيت اليوم هم امتداد ليزيد، وانّ هناك من يمثّل دور هذا الطاغية، لو عرفوا هذا بالضبط، فسوف تتفجرّ الثورة في نفوسهم، ولذلك فقد استخدم الاستكبار كل كيده وادواته واصابعه من اجل الفصل بين الثورة و بين هذا الاحساس العميق.

ولذلك كلّه فإنّ الشعوب الاسلاميّة التي تعيش ذكرى الحسين(ع) بدأت تطرح على نفسها التساؤل الذي طرحناه في مقدّمة هذا الفصل وهو: لماذا نجدّد في كلّ عام ذكرى الحسين(ع)، وما هو الهدف من اقامة العزاء، وخروج المواكب، وهل هو مجرّد تظاهرة طائفيّة وتنفيس عن الكبت الداخليّ؟

اقامة حكم الله في الأرض:

انّ وراء كلّ ذلك اهدافاً سامية عليا من ابرزها هدف اقامة حكم الله في الارض، فنحن نريد ان نصبح كالحسين(ع)، وان يكون آخر هدفنا، ومنتهى املنا ان تراق دماؤنا على مذبح الحريّة، فنحن نبكي لانّ البكاء هو صوت الثورة، ونقيم العزاء لانّه تظاهرة من اجل الثورة، والمظلومين والمحرومين في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الارض.

وهكذا فانّ الجماهير في البلدان الاسلاميّة اذا وجدت اقلاماً وألسنة تفسر ذكرى الامام الحسين(ع) هذا التفسير الصحيح، لاستطاعت ان تتحرّك بوعي اكثر، وبصيرة اوضح باتجاه اقامة حكم الله -تعالىٰ- في الارض.

فنحن نقرأ النصوص الموجودة في سيرة الحسين(ع) ومن ضمنها البيان الاوّل الذي أطلقه(ع) يوم خرج من المدينة الى كربلاء عندما قال: **«وانّي لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وانّما خرجت لطلب الاصلاح في امّة جدّي»**، والاصلاح هنا يعني اقامة حكم الله في الارض لا في المدينة المنّورة ولا مكّة ولا الكوفة فحسب، بل كان يبغي الاصلاح في جميع البلدان الاسلاميّة وعلى مدى التأريخ.

وهذه هي حقيقة الثورة الاسلاميّة انّها ليست ثورة محدودة بأقليم او بعصر، فالله -تعالىٰ- هو إله الجميع في كلّ مكان، وعبر كلّ العصور، وكذلك الحال بالنسبة الىٰ الثورة التي تستلهم من الله -سبحانه- اطرها، واساليبها، وخططها.

ونحن نرجو من كل صاحب بصيرة وبيان، ومن كل صاحب قلم ولسان.. ان يكشف للامة الدوافع الحقيقية لثورة الامام الحسين(ع).. دون خوف من الدجالين، ودون مماشاة للمضلين، ودون خشية من المفسدين في الارض..

فاذا تحمّلوا مسؤوليّتهم، فانّي اؤكد لهم انّ الجماهير ستتحمّل هي الاخرىٰ مسؤوليّتها، وستعرف حينئذ ويعرف العالم انّ عصر الحسين(ع) قد بدأ، ليولّي يزيد واتباعه الىٰ الجحيم وبئس المصير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

امتحان الاختيار في ثورة الحسين (ع)

ليست بطويلة تلك المسافة الزمنيّة التي تفصل بين ولادتين مباركتين كان فيهما مجد امّة «لا اله الّا الله» وعزّتها وحياتها الخالدة بخلود رسالتها الالهيّة وامتدادها، انّهما ولادتان لانسان واحد جسّد الكمال الذي تصبو اليه الانسانيّة، ذلك هو السبط الشهيد الحسين(ع)، وتلكما الولادتان هما الولادة الحقيقيّة يوم خرج ابن رسول الله(ص) من رحم الرحمة المرضيّ، رحم الطهارة والنور، فأنار الدنيا ومن عليها باطلالته، ثمّ الولادة المعنويّة التي كتبت له الخلد في كلّ ضمير حيّ ينشد الصلاح والخير.

انّها لقصيرة تلك المسافة اذا ما قورنت بذلك الدور التأريخيّ العظيم الذي ينبغي ان يؤدّى في مثل هذا العمر الزمنيّ، لقد وُلد ابو عبدالله الحسين(ع)، وفتح عينيه الشريفتين على نور الرسالة المباركة الذي ولد هو الآخر مع ولادته، فشاء الله ـ تعالى ـ ان يندمج نور الرسالة البهيّ بدم ولحم وروح هذا الوليد الطاهر، وان يجعل بقاءها وخلودها في عمق الزمان رهن هذا الدم الزكيّ، وتلك الروح الطاهرة التي تجسّدت بولادته وحياته الابديّة في يوم ذروة العطاء والتضحية، يوم كربلاء والشهادة.

سرّ عظمة وشموخ الحسين(ع):

وهنا يتبادر الى اذهاننا السؤال المحوريّ التالي الذي يتضمّن عدّة تساؤلات:

ما الذي جعل الحسين حسين الحقّ الشامخ الابّي ؟ وما السرّ الذي جعل أئمة العصمة الهداة أئمّـة وقادة لنا نحن المسلمين ؟ ثمّ ما السرّ في وقوع الاختيار الالهيّ على هذه العصبة الطّيبة من الرجال الافذاذ فأكرمهم بانوار الرسالة بأن جعل منهم أئمّـة بعد ان اختار من اصولهم الانبياء والرسل ؟

هناك تفسيرغيبيّ لا أريد تناوله لما فيه من عمق واتّساع وبحث طويل لا تتّسع له هذه العجالة ، فعلينا ان لا ننسى تلك الحقيقة الغيبيّـة وهي ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ في خلقه شؤوناً نحن قاصرون وعاجزون عن الوصول اليها الّا بمقدار معرفتها ظاهريّـاً ، والتسليم المطلق لها ، ولذلك فانّ السؤال المحوريّ الذي طرحناه سيدور جوابه حول ما نفهمه ونعيه ونستفيد منه عمليّـاً .

واودّ ان اقدّم لجواب هذا السؤال مقدّمة هي عبارة عن ملاحظة استوحيتها واستلهمتها من مجمل آيات الذكر الحكيم ، وآثار العترة الطاهرة التي هي عدل القرآن ، هذه الملاحظة تتمثّل في انّ الله ـ تعالى ـ خلق الاشياء يوم فطر السماوات والارض خلقاً واحداً ، في حين انّه خلق الانسان خلقين ، فبأمره ـ سبحانه ـ خُلقت الاشياء وصارت وجوداً بتلك القوّة الازليّة كما عبّر عن ذلك جلّت قدرته بقوله :

«انّما امره اذا اراد شيئاً ان يقوله له كن فيكون»[1] .

فهذا الكون الذي نحسّه ونبصره انّما كان رهن (كاف) و(نون) الهيّـة ، ثم كانت التطوّرات والاشياء الاخرى من صنع الله القدير باسباب وعوامل وسنن خارجة عن الاشياء ، فتحوّلات الكون وتطوّراته ومستجدّاته انما وجدت بفعل تلك القوانين والسنن الكونيّـة التي اودعها الله ـ تعالى ـ في الوجود ، هذا في حين انّه ـ تعالى ـ عندما خلق الانسان وفطره فانّ ارادته شاءت ان يكون هذا

---

١ ـ ياسين/٨٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخلق الواعي والناطق مرّة بيد قدرته وبصورة مباشرة «انّي خالق بشراً من طين»، ومرّة اخرى بيد الانسان نفسه بعد ان منحه ـتعالى ـ ميزة الاختيار وسمة الحريّة.

ومنذ ذلك الوقت الذي امضى فيه الصورة الثانية من الخلق، كانت هذه الميزة والسمة الجليلة مشتقّة من اسمه المبارك بل من اسمائه الحسنى وهي الحريّة والاختيار والقدرة، ولقد بلغت هذه القدرة درجة وعظمة مكّنته من ان يسمو ويرتفع الى مقام ومنزلة من السموّ والكمال تبلغ به قاب قوسين او ادنى من الكمال ان شاء السموّ والارتفاع وبلوغ الدرجات العلى، أمّا إذا شاء هذا الانسان ـ والعياذ بالله ـ ان ينحدر ويهوي الى اسفل سافلين، والدرك الذي لا يمكن لنا ان نتصوّره فانّ هذا بامكانه ايضاً، لانّ هذا يعود الى حريّة الاختيار والارادة الممنوحة لهذا الانسان بالفطرة.

ارادة الانسان فوق كلّ قوّة:

انني وحسب معرفتي ومعلوماتي لم اعثر على قوّة ما يمكن ان تسيطر على ذات الانسان الاراديّة وتفرض وجودها عليها، وبمعنًى آخر ليست هناك قوّة تجبر الانسان على تغيير سلوكه وتصرفّاته من خارج ذاته، بل انّ هذا التغيير لا يحصل الّا من ذات الانسان، فالقوى الخارجيّة انّما توثّر في الانسان بصورة غير مباشرة، فهي تقصد التأثير على الذات اوّلاً وعندها تـقـرّر الذات هذا التغيير، فيخرج الى الفعل بقوّتها؛ اي قوّة الذات العقليّة عند الانسان.

لقد خُلق الانسان حين خُلق من مزيج الطين والنور، من قبضة التراب التي تغلغلت بين ذرّاته نفحة الروح فكان خلقاً من جنّة في جانب منه، ومن نار في جانب آخر، ويبقى مصيره حنيئذ رهن اختياره وسلوكه، فامّا ان يحوّل ذاته الى السلب والنار؛ بأن يدّس نفسه ويوغل ذاته في تراب الشهوات،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واوحال الاهواء الضالّة ، فيضيع في ركام التيه والخرافة فتصبح ذاته ناريّة بكلّ ما في الكلمة من معنًى ، فتحشر مع اهل جهنّم واصحاب السعير.

امّا عندما تسلك الذات الطريق الموجب ؛ طريــق الارتفاع والعلوّ والتزكيّة والسموّ نحو الكامل المطلق فانها ستغدو حنيئذ نوراً باذن الله ، فتنطلق مع اصحاب النور الى المستقرّ الخالد والنعيم الابديّ في جنّات عدن تجري من تحتها الانهار.

طريقان لا ثالث لهما :

فلتنظر الذات الانسانيّة ولتبصر، فالطريق طريقان لا ثالث لهما ؛ فامّا الى الاعلى مع العليّ الاعلى ، وامّا الى الاسفل مع الشيطان الادنى ، ولينظر الانسان حنيئذ في حياته وكدحه وفي الطريق التي يسلكها : **«يا ايّها الانسان انّك كادح الى ربّك كدحاً فملاقيه»**(١).

انّ كلّ ما في القرآن وآثار العترة الطاهرة ، بل انّ جميع الرسالات التي حملها رُسُل الله وانبياؤه واوصياؤه انّما تدور حول هذا المحور، فهي كلّها تؤكّد وتشير اشارات واضحة أنْ يا ايها الانسان كنّ على يقظة وحذر، اصحُ من غفلتك ، ابتعد عن مسالك الشيطان الكامنة في النفس الامّارة ، انّ جميع الرسالات السماويّة تصرخ بالانسان أن عد الى ذاتك ، فانّك وحدك القادر على ان تصنع تلك النفس وتخرجها من حالة الامر بالسوء الى الامر بالخير والكمال ، فالحركة انّما تنطلق بالارادة الكامنة في الذات الانسانيّة .

وهذه الحقيقة هي التي تؤكّدها المدرسة الحسينيّة ، وتبثّها من عمق الزمان منذ يوم مصرعه الدامي(ع) وحتّى قيام الدولة الفاضلة المثلى على يد

---

١ ــ الانشقاق/٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حفيده المهدي الموعود(ع).

الامام الحسين(ع) وامتحان الاختيار:

والحسين (ع) بطبيعة تكوينه كأي مخلوق انساني فُطر في خلقه الاختيار كأي انسان، وقد امتُحن (ع) بالتخيير في اوج حياته الرساليّة، و ياله من تخيير! ، انّه التخيير بين امرين، حتّى انه(ع) اكّد بنفسه هذه الحقيقة واشار اليها بقوله : **«الا وإنّ الدعي ابن الدعي قدركزبين اثنتين؛ بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت...»**.

فالحسين(ع) قد تمّ تخييره هنا وكان بامكانه ان يختار و يسلك المسلك الذي يرتئيه، وهذا الواقع لا يمكن ان يفـرّ منه انسان، فكلّ واحد لابدّ ان يمـرّ بامتحان الاختيار هذا في حياته، و يعرَّض لابتلاءاته وفتنه بدءً من الرسل والانبياء(ع) وانتهاءً بمن هم دونهم ودون دونهم، فجميعهم مرّوا بامتحان التخيير، وعانوا فتنه ومصائبه، فكان عليهم في ذلك الخضمّ ان يختاروا، و يقـرّروا الاتجاه والمسلك.

وقد اجتاز الحسين(ع) هذا لامتحان باعلى درجات التفوّق عندما ابتلي بالاختيار، فأطلق ذلك الهتاف الخالد الذي دوّى في عمق التأريخ أن **«هيهات منّا الذلّة»**؛ فهذه هي خِـيَرَة أبي عبدالله الحسين(ع)، وهذا هو قراره التأريخيّ الذي بيّنه لكلّ من اراد ان يعيش في الحياة حرّاً، ونحن الذين ندّعي حبّ الحسين وموالاته لا بدّ لنا من الاقتداء به ليكون هذا الاقتداء مصداقاً للحبّ والمولاة هذين.

والاقتداء هو قرار ذلك الامتحان، امتحان الخيرة الذي لا مفـرّ من التعـرّض له، فأنا ارى انّ من المستحيل ان يولد الانسان في هذه الدنيا و ينمو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و ينضج من دون أن يتعرّض لفتن تقرّر وترسم مصيره ، فكلّ انسان من ذكر وانثى لابدّ ان يمرّ بمواقف وساعات الاختيار.

كيف نختار، وماهي عوامل الاختيار؟

وهنا يبرز سؤال مهمّ في هذا الصدد وهو: كيف لنا ان نختار؟ وما هي العوامل التي تكون في عوننا ساعة الاختيار، ولحظات اتخاذ القرار التي هي لحظات خطيرة ومصيريّة وتمتاز بكونها محدودة وخاطفة ؟

من هذه العوامل عاملا التربية والوراثة اللّذان تؤكّدهما تلك الصرخة الثوريّة التي اطلقها ابو عبدالله الحسين(ع) في وجه الاغتصاب والانحراف والاستبداد الامويّ ، وهناك عوامل اخرى يمكن للانسان الامساك بزمامها والتحكّم بها منها عامل الثقافة ، وعامل تأريخ الانسان وماضيه. فالانسان المنقاد الى ربّه بمواظبته على اداء الفرائض العباديّة ، والمنشغل ليله ونهاره بذكر الله العظيم ، هذا الانسان متوجّه بدمه ولحمه وروحه ونفسه وعقله الى الله ـ سبحانه ـ ، لاهجٌ لسانه بترديدالدعاء الشريف **«ربّي لا تكلني الى نفسي طرفة عين ابداً»**، ولذلك فانّ يد الرحمة الغيبيّة ستكون في عونه لانقاذه في لحظة الاختيار، فتثبّت قدمه ، وتطمئن قلبه ، لا تدعه يتزلزل و ينهار، ولا تهجره ليصبح عرضة لفتن وابتلاءات الزمان.

ولا عجب من ان تمتدّ يد الرحمة الالهيّة لعون هذا العبد ، ذلك لأنّه قد ذكر ربّه في السرّاء من العيش فأجابه ربّه وذكره حين الضرّاء والشدّة: **«فأذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون»**(١).

وعندما نقرأ تأريخ الحسين قراءة واعية وموضوعيّة نجد أنّه (ع) ولد ثانية

---

١ ــ البقرة/ ١٥٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في كربلاء ساعة نيله تلك المنزلة الرفيعة التي لم ينلها احد من قبل، وهي منزلة ربانيّة اختارها الله -تعالى- له ليخلد مثالاً وضّاءً في قلب التأريخ لا ينقطع شعاعه، ولا يخمد وهجه رغم كلّ محاولات الأمويين على امتداد هذا التأريخ.

الامام الحسين(ع) مجمع الكرامات والفضائل:

ترى لمَ هذا الاختيار الالهيّ؟ ربّما كان هناك من سبق الحسين(ع) من الانبياء في الشهادة، وتلت قافلته مئات القوافل من المؤمنين الشهداء على طريقه، لكنّ شهادة الحسين(ع) تتجلّى بنور خاصّ بها، انّها وسام ربّاني قلّ من نال شرفه.

ولعلّ اقدس المكرمات التي أُعطيها الحسين(ع) ان جعل الله -سبحانه- منه استمرار ذريّة الهداية والعصمة الطاهرة، ومنه(ع) ايضاً ينحدر أصل الامام الحجّة القائم المهدي (عجل الله فرجه الشريف) الذي يملأ الله به الارض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، فهذه هي اعلى المكرمات بعد الشهادة.

ثم انّ من تلك الكرامات ايضاً أن جعل -سبحانه- في تربته الشفاء من الآلام والاسقام؛ ولعلّنا كلّنا قد لمسنا وجرّبنا هذه الحقيقة، فالكثير منّا يروي خلاصه من اخطار جمّة لانّه كان يحمل معه حبّات من تلك التربة الطاهرة التي امتزجت بقطرات دم سيّد الشهداء ودم اصحابه الاوفياء.

وأنا هنا لا أريد ان ازجّ نفسي والقارىء في مخاض غيبيّ، ذلك لأنّ للغيب مقدّماته واصوله وحديثه المسهب، ثم انّ كلّ امرىء ليس قادراً على استيعاب وتحمّل معاني الغيب وآفاقه الواسعة الّا ذلك الذي رُزق الحكمة، وأوتي البصيرة والتدبّر والوعي، ولكنّي اريد البحث هنا في المعاني البسيطة الظاهرة للاذهان والمستلهمة من الظاهرة التأريخيّة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد ان انتهت فصول تلك الملحمة العظيمة في التأريخ البشريّ باستشهاد الحسين(ع) وصحبه الاوفياء، همّ نجل الحسين الشهيد الامام زين العابدين(ع) بحمل جثمان ابيه سيّد الشهداء فوجد على ظهره آثار جرح ليس كبقيّة الجراح، فقد كان يبدو عليه القِدم، فقال الامام(ع): حاشاء الله أن يكون والدي قد جُرح من ظهره، وقد صدق زين العابدين(ع) فالحسين ماوّلى ولم يولّ ظهراً لعدوّ طلبه حتّى يصاب في ظهره، فهذا هو شأن الأئمّة(ع) لانّ معنى الانهزام وتوليه الادبار لم يكُ يوجد في قاموس شجاعتهم وفروسيتهم، فمن اين مصدر الجرح هذا اذن؟، انّه وكما تقول الروايات آثار ذلك الجُراب (الكيس) الذي كان يحمله في تلك الليالي المظلمة، فقد كان(ع) يحمل على ظهره تلك الجراب الملأى بالمساعدات فيؤدّي خدمة للعباد ابتغاء مرضاة الله، فهذه الخدمات التي قد يستنكف بعضنا عن ادائها قد ادّاها ائمتنا المعصومون(ع) ومنهم الامام الحسين.

انّ هذه الاعمال الصالحة، والخدمات الاسلامية العظيمة لا تضييع عند الله ـ سبحانه ـ، وحاشا له ذلك، انّها لا بدّ ان تتحوّل في يوم من الايام الى خدمة كبيرة، ومنزلة عظيمة، ودرجات علويّة في الآخرة كما هي في الدنيا، فهذه هي مسيرة الكمال والرفعة درجة بعد درجة حتى بلوغ القمّة.

ماذا نستلهم من شهادة الحسين(ع)؟

فاذا كانت الشهادات اوسمة رفيعة على صدور اصحابها يعلوها جميعاً وسام الحسين الاوّل، تُرىٰ ما الذي نستفيده ونستلهمه ونستوحيه من معانيها؟

انّ من رام في حياته تحقيق اهداف سامية، وبلوغ نتائج عظيمة لا بدّ له من بذل الجهود، وترويض النفس على الايمان كي تتهيّأ بذلك مقدّمات بمستوى تلك الاهداف والنتائج السامية، فمن رام بلوغ القمم السامقة لابدّ ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوجد في نفسه العزيمة والحيويّة الكافيتين، وبدون ذلك لا يمكن تحقيق النتائج العظمى.

والذي اريد تأكيده هنا فيما يتعلّق بنا نحن المسلمين في جميع انحاء العالم الاسلاميّ هو انّنا لا ينبغي ان نركّز ونؤكّد فقط على تلك اللحظات الاخيرة من حياة سيّد الشهداء(ع)، فعلينا اليوم ان نفهم وندرك معاني حركة الحسين(ع) وحياته واهدافه، ونعي معها تلك البصائر التي وضع ورسم خطوطها ابو عبدالله الحسين(ع) بدمه وجهاده ورسالته الثوريّة، فلا بدّ لنا من التركيز على هذه البصائر وامتداداتها وابعادها الواسعة، فنحن حينما نسأل الله وندعوه ان يرزقنا حسن العاقبة، ويوفّقنا الى عاقبة كعاقبة الحسين(ع) فعلينا ان نهتمّ بالبداية الحسنة، والبادرة الطيّبة، وآلا فان الهدف ليس سهل المنال كما قد يُتصوّر احياناً.

تربية الجيل الحسينيّ:

وبمعنى آخر: اذا اردنا ان نبني مجتمعاً حسيني السمة والمنهج والمسيرة، ويتحدّى الظلم، ويقارع الارهاب، ويقاوم الاستبداد، ويقف متحدّياً كلّ المؤامرات والدسائس الاستعماريّة فليس لنا طريق الى ذلك غير ان ننشىء ونربّي جيلاً حسينيّاً من كلّ جوانبه، متسلّحاً بمبادىء الرسالة والثقافة الحسينيّة، ومستلهماً منها. فثقافة الحسين(ع) هي ثقافة القرآن أيضاً، وثقافة ابيه وجدّه عليهم السّلام، وهي تجسيد حيّ للثقافة التي تضمّنها نهج الجهاد والرسالة والحياة.

ونحن اليوم اذا وجدنا انّ هناك في بلد ما نظاماً طاغوتيّاً متسلّطاً، فلنعلم انّ من المحال ان يكون هذا البلد قرآنيّاً، فلا بدّ ان تكون قد حدثت قطيعة بين شعب هذا البلد وبين القرآن الذي تراه مصفوفاً على الرفوف يرقد عليه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغبار والتراب ، وهذا الواقع المأساويّ المرفوض ليس ببعيد عنّا ، افلا يكفي ان يكون القرآن في متناول ايدينا واسماعنا ثمّ بعد ذلك كلّه تجد ثقافاتنا بعيدة كلّ البعد عن ثقافة القرآن ، أفَلا عدنا من جديد الى الف باء الاسلام ، والى تلاوة جزء عمّ وتبارك ؟ فالذي يقود حركة الشعوب ونهضتها نحو التحرّر والاستقلال والكرامة هو البصائر والرؤى والثقافات التاريخيّة العريقة التي بنت امجاد الامم والتي لا نراها غير البصائر والثقافات القرآنيّة .

بعد هذا كلّه دعونا نعود الى البداية وننطلق منها ثانية ، هلموا بنا نربّي وننشىء اجيالنا واطفالنا على تلك الرؤى والبصائر القرآنيّة المعطاء ؛ على نهج النبي الاكرم واهل بيته وما رسموه لنا من خطوط في العمل والمواقف والسياسات .

اذن لا بدّ لنا من ان ننهض نهضة قرآنيّة حسينيّة حقيقيّة تتجسّد في واقع حياتنا المعاش ، فعندما نتلو القرآن يجب ان نتلوه تلك التلاوة التي تحوّله الى جزء من حياتنا وواقعنا ، فهذا هو كلّه ما يجب ان نتّخذه محوراً في حياتنا كمسلمين حقيقيّين ، ومؤمنين رساليّين ، وبذلك تتحوّل مجتمعاتنا الى مجتمعات حسينية .

الثورة لا يمكن ان تحدث بالشعارات وحدها :

انّ اولئك الذين يريدون ان تبرز الثورات الى الوجود بمجموعة من الشعارات والتظاهرات ، فانّ هؤلاء يتّصفون بنوع من السذاجة السياسيّة وتجاهل الحقائق ، وقد آثروا نوعاً من العودة الى حالة الراحة والاسترخاء ، في حين انّ الثورة هي مسيرة صعبة وعرة لانّ الذي يتصدى لمسؤوليّتها ، و ينطلق في ركابها انّما يريد ان يحدث تغييراً وانقلاباً كبيرين .

انّ العالم الاسلاميّ يعيش اليوم صحوة اسلاميّة ، وهو مستعدّ اليوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للقيام بالثورات ، لكنّ هذا الاستعداد ـ كما يبدو لي ـ يشبه الذي حدث في سنة (١٩٢٠) من هذا القرن ، فقد كانت هناك ايضاً صحوة اسلامية وربّما على نطاق عالميّ ، لكنّ هذه الصحوة لا تبقى دائماً ولا تتوّج بالانتصار في جميع الحالات .

فلا بدّ ـ اذن ـ ان يكثّف علماء ومفكّرو الامّة الاسلاميّة من جهودهم ، ولا بدّ ان يخطّطوا بكلّ ثقة وجديّة واخلاص ، ويحشّدوا طاقاتهم الفكريّة في صياغة وبناء استراتيجيات ثقافيّة ثابتة لهذه الامّة ، امّا اذا كانت المسيرة كلاسيكيّة منسجمة مع واقع تأريخ الامس فاننا لن نجني الّا ما جنوا ، اي ان الواقع السلبيّ سيتكرّر بطريقة أو باخرى .

علينا ـ اذن ـ ان نطوي ذلك الماضي ، ونبدأ من جديد نهضة وانطلاقة جديدة من هذا المضمار ، فها هي البصائر الالهيّة التي يجب أن تترسّخ في قلوبنا ، وتتكرّس في نفوسنا وارواحنا ، وانّ ما يجري ويدور اليوم هنا وهناك من محاولات ، وما يبذل من جهود لترقيع ولملمة الساحة دون الالتفات الى ضرورة ايجاد محاور حقيقيّة تفجرّ الساحة ، وتحوّلها الى ميدان حسينيّ ، كلّ ذلك لا أراه الّا تضييعاً للجهود والفرص ، واعمالاً عابرة لا تجدي ، وهي إن اثمرت فان ثمارها لا تُسمن ولا تغني من جوع .

انّنا لا نستطيع ان نستجدي نصراً ، او نستردّ حقوقاً من خلال اتكائنا على منظمات حقوق الانسان وغيرها .. وهل نتوقّع خيراً وفرجاً يحقّقه لنا اولئك الذين فعلوا ما فعلوا بنا بالامس القريب ، اولئك الذين قتلونا وعذّبونا ، وابعدونا عن ديارنا واوطاننا ، ومزّقونا كلّ ممزّق ، ثم بعد ذلك كلّه نطلب العون ونستجدي المناصرة منهم ؟!

انّها سذاجة ان نفعل ذلك ، وانّها لتعاسة نحن نعيش فيها عندما غدونا نتشبّث بهؤلاء الشراذم فنهرب منهم اليهم ، ونعوذ من غضبهم برحمتهم ، وقد

نسينا انّ ربّنا ـ تعالى ـ هو الاحقّ بالهرب منه اليه.

انّ الموضوع المهمّ الذي اريد الاشارة اليه هنا انّ الحقّ يؤخذ ولا يعطى، وانّ أخذه لا يكون الّا بالقوّة، وبالدماء، وبتقديم قوافل الشهداء من ابنائنا وقادتنا، فنحن لا ننال الحقّ الّا بوعينا وتخطيطنا الهادف وستراتيجيّتنا الحكيمة من خلال تفجير ثورة حقيقيّة.

اذن فنحن بحاجة الى عودة لتلك الجذور والاصول الخيّرة، كما انّ المسيرة بحاجة الى جهود وطاقات لا تنضب ولا تكلّ من الحركة المستمرّة، والعطاء المتواصل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

القمم الشامخة في النهضة الحسينيّة

مَثَل الناس في الحياة كمثل الجبل المرتفع الذي ترى فيه القمّة العالية، والسفح العالي، ثم السفوح الواطئة حتّى تصل الى الوادي، ثمّ ترى في الوادي بئراً، وفي قعر البئر ماءً، وهكذا الحال بالنسبة الى الناس فالبعض منهم يعيش في القمّة، وآخرون يعيشون في اعالي السفح وهكذا حتّى تصل الى فريق من الناس يعيشون في مستوى متدنّ.

كيف نعرف درجتنا الايمانيّة ؟

والمراقب الذي ينظر من بعيد الى منظر كهذا من السهل عليه أن يميّز درجات الناس، ولكنّ الذي يجلس في موقع من مواقع الجبل فانّ من الصعب عليه ان يميّز موقعه، ربّما يمكنه ان ينظر الى من هو تحته فيدرك انّه اقلّ منه مستوىً، ولكن هل يستطيع ان يميّز من هو فوقه ؟

وفي الواقع فانّ القليل من الناس يستطيعون ذلك، فالامر ليس بهيّن، ذلك لانّ حبّ الذات، والانانيّة المقيتة، واعتقاد الانسان بأن خطه هو السليم كلّ ذلك لا يدعه ان يفكّر في موقعه الذي هو فيه.

والذي يزيد الطين بلّة ان غالبيّة الناس يعلمون ان هناك اناساً قد استقرّوا في اعالي القمم، وانّهم هم الحجّة الذين ينبغي ان نحاول الوصول الى مستويات قريبة من مستواهم، فنحن نعلم انّ علينا الاقتداء بالنبيّ(ص)،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيث يقول -تعالى-: «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة»[1]، وكذلك الحال بالنسبة الى الاقتداء بالأئمّة الاطهار والاولياء والصالحين واصحاب الرسول(ص)..

نحن نعلم كلّ ذلك ولكنّنا مع ذلك لا نعلم المستوى الذي نستقرّ فيه، وعليه فانّنا لا نعلم حجم الجهد الذي يجب ان نبذله لنصل الى تلك القمّة.

فأنت -على سبيل المثال- تقف عند قبور انصار الحسين(ع) وتقول: «ياليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً»، ولكن هل تدري معنى ما تقوله؟ وهل تعرف موقعك بالنسبة الى من تريد ان تكون معهم؟ لو كُشف لك الغطاء لعلمت بانهم في قمّة شاهقة وانّك في السفح الداني، وانّ عليك ان تصعد عالياً وطويلاً حتّى تصل الى القمّة، فقد كان الواحد منهم مثل حبيب ابن مظاهر الاسديّ يختم القرآن في ليلة واحدة، فقد كان يبدأ بقراءة سورة الحمد عند اوّل الليل و ينتهي الى كلمة الناس في ثانية المعوذتين عند طلوع الفجر أو قبيله.

وأنا هنا ادعوك لأن تجرّب هذا العمل ولو لمرّة واحدة، وعند ذاك انظر هل تستطيع ان تكون معهم ام لا؟ فان لم تستطع ووسوست لك نفسك بانّك تريد أن تنام وترتاح، فعليك ان تفعل ذلك في ثلاث ليال، فان لم تستطع ففي خمس أو عشر، وان لم تستطع فاختم القرآن في ثلاثين ليلة، وهكذا فانّ عليك ان تصعد ثلاثين درجة حتّى تحرز صفة من صفات حبيب بن مظاهر.

لنحاول ان نكون كأصحاب الحسين(ع):

حاول أن تصل الى درجة الحرّ بن يزيد الرياحيّ -مثلاً-، فان صمّمت

---

١ ـ الاحزاب/٢١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على ذلك فعليك ان تجرّب نفسك كقائد جيش او ضابط فيه حيث وسائل التضليل والتزوير والترهيب والترغيب متوفّرة، وحيث هناك عمليّات منظّمة لغسيل الدماغ سُلّطت عليك ليل نهار، فصوّرت لك انّ الحسين(ع) خارجيّ، وان شريحاً قد افتى، وخليفة المسلمين أمر، وامير الكوفة نفّذ، والحسين(ع) خالف، كلّ هذه الاوضاع تدعوك الى ان تتّبع الاوامر لانّك عسكريّ، ولكن عليك كإنسان ان تتجاوز هذه الاوضاع، وتثور على هواك فتنتصر عليه، وتنضمّ الى جانب الحقّ، وهذا هو ما فعله الحرّ، فان اردت أن تكون معه فافعل مافعله.

واذا ادّعيت انّك تستطيع ان تصل الى درجة الاصحاب لانّك رجل مؤمن أو عالم دين أو خطيب مقتدر فجرّب نفسك اذا ذهبت مرّة الى مجلس ورأيت خطيباً يصعد المنبر وقد التفّ الناس من حوله في حين ان منبرك لا يحضره الّا القليل، فقد تتساءل في هذه الحالة: لماذا التفّ الناس حول هذا الخطيب، وتفرّقوا من حولي؟ وحينئذ ستوحي لك النفس الامارة بالسوء بانّه ينتمي الى الجماعة الكذائيّة، او لانّه يكذب في كلامه، او لانّه كذا وكذا... وهكذا يوسوس الشيطان في صدرك حتّى تكاد تصدّق الأمر، ولكن ـ اذا كنت مؤمناً حقّاً ـ سرعان ما يرد الى ذهنك نداء يدعوك الى العدول عمّا وسوسه لك الشيطان، والعودة الى ما يأمرك به القرآن.

وهكذا فانّ هداية الله تأتيك في لحظات، وتمرّ عليك كالبرق الخاطف في الليالي المظلمة، فان كنت ذا ارادة قويّة فانّك ستتمسك بهذه الهداية، وتنقذ نفسك من الهلاك.

واذا ما نصبت ـ على سبيل المثال ـ اماماً للجماعة في مسجد ثمّ جاء آخر افضل منك فعليك ان تختار التنازل عن هذه الامامة لذلك الرجل لانّه اجدر بها، فهل لك القدرة والارادة لأن تقوم بذلك؟، فأنت اذا ما تمسّكت بحبل الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتين فسوف يطمئنّ قلبك ، وتستطيع ان تزيل النواقص الموجودة فيك .

لنتجاوز نواقصنا البشريّة :

أرأيت كيف انّ اصحاب الحسين(ع) ضحوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ؟ أنّ هذه التضحية لم تكن في مقدورهم مالم يتجاوزوا النواقص البشريّة ، والوساوس الشيطانية في أنفسهم ، فالحرّ قد قتل نفسه الامّارة بالسوء في لحظة واحدة فتقدّم نحو نور الهداية تاركاً وراءه الحقد والحسد وحبّ الرئاسة والانحرافات الاخرى ، وكذلك بقيّة اصحاب الامام الحسين(ع) اذ انّهم جاهدوا بأموالهم وانفسهم.. فالعبّاس(ع) كان راكباً فرسه ليل نهار يحمي اهل البيت ، وعندما اقتحم بفرسه هذا المشرعة مدّ يده الكريمة ليغترف غرفة من الماء يشربها ، فيدور في ذهنه ما يدور و يلقي الماء و يقول :

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنتِ ان تكوني
هذا الحسين شارب المنونِ وتشربين بارد المعين
والله ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقين

فهذه هي الارادة المثلى ، فقس ارادتك على ضوئها ، فأنت عندما تصوم في أيّام الصيف فانّك تذهب لتغسل وجهك عدّة مرّات في اليوم ، وتنام تحت المكيّف.. فهل يمكن ان تقاس ارادة العباس(ع) بارادتك ؟ ومع ذلك فانّ من لطف الله -تعالى- أن لا يمتحن عباده بامتحانات صعبة دائماً ، وذلك جاء في الدعاء القرآني : «**ربّنا ولا تحّملنا ما لا طاقة لنا به**»[١] ، كما جاء به الدعاء أيضاً : «اللّهم أني أعوذ بك من جهد البلاء» .

امّا اذا كان ايمان الانسان ضعيفاً ، فانّه لا يستطيع ان يجتاز الامتحان وان

١ــ البقرة/٢٨٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان سهلاً ، فالسجن ـ مثلاً ـ هو أحد الابواب المشرعة امام المجاهدين ، وأحد ابواب الجنّة ولكن بشرط ان تستطيع المقاومة ، فاذا ما أُدخل المجاهد الى السجن ، وبدأ العذاب الجاهليّ ينزل عليه ؛ فعلّقوه من رجليه بالمروحة ، وتركوه عطشان وجوعان ، وأذاقوه السهر وقوفاً على قدميه ، فحينئذ عليه ان يجرّب ارادته ، ويتذكّر موقف العبّاس(ع) ، فيكتشف في أيّ موقع من ذلك الجبل هو مستقرّ.

اصحاب الحسين قمم شامخة :

نحن حينما نقف امام هذه القمم العالية لا بدّ ان نشحن ارادتنا وعزيمتنا بمزيد من القوّة تمكّننا من ان نغذي السير في مسيرة تكامليّة مستمرّة توصلنا اليهم ، او الى القرب من درجاتهم ، ولا نكن مثل ذلك الرجل الذي كان يقول في نفسه : من هم اصحاب الحسين ؟ انّهم لم يفعلوا شيئاً سوى انّهم قاوموا الاعداء ساعة واحدة ثم قُتلوا ، في حين انّني أُفيد المجتمع .

وفي ذات الليلة رأى في المنام ساحة المعركة في يوم عاشوراء ، والحسين(ع) واقف واصحابه بين يديه يذبّون عنه ، وعندما حان وقت الزوال ذكّر أحد الاصحاب ابا عبدالله(ع) بالصلاة فقال له الحسين : رحمك الله وجعلك من الذاكرين ، فأراد الأصحاب أن يصلّوا الجماعة بامامة الحسين(ع) ، فقال الامام للرجل (الذي كان يرى هذا المنام) : قف امامي لتصدّ عنّي السيوف والرماح والسهام حتّى نصلّي ، فوقف واذا بالسهام تأتيه الواحدة تلو الآخرى ، فأصابه سهم في ناحيته اليسرى ، فأدار رأسه يميناً ، واذا بسهم آخر أصاب جنبه الايمن وهكذا حتّى انهزم من المعركة ، ثم استيقظ من النوم واذا به يرى رأسه وقد ضرب حائط الغرفة فجرى منه الدم ، فجاء الرجل في الصباح الى المجلس بين اصدقائه وهو مشدود الرأس ، فقصّ عليهم الرؤيا ثم قال لهم : سوف لن اقول بعد ذلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في زيارتي للأصحاب: «ياليتني كنت معكم» لانني لست في مستوى تضحيتهم ومقاومتهم:

ضرورة عدم التهاون والانهيار:

وأنت ايّها المؤمن عليك ان لا تتهاون وتنهار، فان اصابك في خلال العمل خلل بسيط كأن تغيّر برنامج نومك أو اكلك، أو لم يحترمك شخص ما، فعليك بالتريّث والصبر لا أن تعادي غيرك، ذلك لأنّ العزيمة الراسخة، والارادة القويّة تشحنان الانسان بقوة اليقين والصبر حتّى توصله الى هدفه السامي.

ومن اجل تحقيق ذلك فانّك تحتاج الى برمجة العمل خلال مدّة زمنيّة معيّنة لكي تربّي نفسك، وتربّي الآخرين؛ وذلك بأن تقوّي ارادتك بتهذيب النفس وتزكيتها، فانّك إن لم تقض على الصفات الخبيثة كالحسد والحقد والكبر.. فمن الممكن ان تجرّك الى متاهات وبالتالي تلقي بك في نار جهنّم، فكن على حذر من تلك الصفات فانّ ذرّة الكبر - مثلاً - تحرق بيدراً من الايمان، فلا يبقى لك من الايمان شيء، وعندئذ ستتكبّر على الناس وعلى الحقّ لا بل على الله الذي خلقك! فتجنّب ان تتحّدث بلغة الأنا، وهذه هي الخطوة الاولى في طريق التزكية.

قارن بين نفسك والآخرين:

وانت عندما تجلس في مجلس عزاء للحسين(ع) واخوك المؤمن جالس بجنبك، فهل تعرف كم هي المسافة بينك وبينه؟ ربّما تكون هذه المسافة كالبعد بين السماء والارض، فاخوك المؤمن يهتزّ قلبه اذا ما ذكر الحسين(ع)، فهو يعرفه ويعرف شأنه، وبالتالي فانّه يعرف حجّة الله؛ اي يعرفه الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورسالاته ، فهو والحالة هذه يعيش في فضاء من السمّو واليقين ، اما أنت فقد تفكّر وانت تجلس في مجلس العزاء في قضايا شخصيّة ، وعندما تذكر مصيبة الحسين(ع) قد تدمع عيونك بغزارة اكثر من صاحبك ، ولكن المقياس ليس في البكاء بل في اليقين والارادة ، ومقدار استيعابك لتلك الثورة المقدّسة ، فبعض النّاس يبكون في المآتم لا ليصبحوا كالحسين(ع) او أن يسيروا على خطاه بل ليبكوا على مآسيهم ومصالحهم الذاتيّة .

وبناء على ذلك حاول دائماً ان تحلّق في عالم الكمال اكثر من ذي قبل ، ودقّق فيما حولك وخذ العبرة منه .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

الشجرة الملعونة في القرآن

انّ أفضل تعبير وُصف به بنو اميّة هو التعبير القرآني الذي يقول: «والشجرة الملعونة في القرآن»[1]، فهذه الشجرة الملعونة التي اخبر عنها الله -تعالى- كانت شجرةً لها اصل وفروع وجذور متأصّلة في الجزيرة العربيّة قبل الاسلام، فلم يكن من قبيل الصدفة أنّ ابا سفيان كان هو الذي قاد حروب المعارضة ضد رسالة الله -تعالى- وضد رسوله(ص)، ذلك لانّه كان جذر هذه الشجرة الملعونة.

بنو اميّة قبل الاسلام:

وقد كان لبني اميّة في الجزيرة العربيّة قبل الاسلام علاقات بسائر القبائل، وكانوا قد بنوا نظام مصالح في تلك البلاد، ولذلك فقد قادوا معارضتهم لرسالة الله، فكانت هذه الشجرة الشيطانيّة الخبيثة بحاجة الى قرون من العمل لكي تُقْتَلع جذورها، وقد كان بامكان الرسول(ص) اقتلاعها ولكنّه طبقاً لمقتضيات الاوضاع الحاكمة يومئذ لم يبادر الى ذلك، وقد قبل (ص) اسلام أبي سفيان وهو يعلم انّه منافق.

---

١ ــ الاسراء / ٦٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كان المصطفى(ص) يخطط بذلك لإيكال هذه المهمّة الى عترته(ع)، فقد قام الامام عليّ (ع) -مثلاً- بتثبيت دعائم رسالة النبيّ(ص)، فكانت خلافته مكّملة للدين، ولذلك تجد ان من ابرز واعظم واهمّ مهامّه(ع) محاربة هذه الشجرة الملعونة، ولذلك فعندما اتى أبو سفيان الى امير المؤمنين(ع) وقال له: يا عليّ مد يدك لابايعك، وسوف املؤها خيلاً ورجالاً، فانّ الامام(ع) بادر الى القاء تلك الخطبة المعروفة؛ حيث ندّد فيها بابي سفيان ونواياه الخبيثة، ورفض بيعته، ورفض التحالف مع هذه الشجرة.

وبعد مقتل الخليفة الثاني جاء بنو اميّة ايضاً الى الامام عليّ(ع) بعد ان تحالفوا مع عبدالرحمن ابن عوف: فقالوا: مد يدك لنبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّة وسيرة الشيخين، ولكنّ الامام(ع) رفض أيضاً لانّه كان يعلم انّ من سيرة الشيخين التحالف مع بني اميّة، فالخليفة الثاني هو الذي بعث معاوية بن أبي سفيان اميراً على جيش الشام الذي كان اعظم جيوش الاسلام آنذاك مانحاً ايّاه صلاحيّات واسعة.

وقد كان معاوية يشرب الخمر، ويتصرّف في اموال المسلمين كيف يشاء، الى درجة انّ المسلمين شكوه الى الخليفة الثاني قائلين له: يا عمر أهذا هو خليفتك، وواليك على الشام، انّه يشرب الخمر، ويبدد ثروات المسلمين، ومع ذلك يدّعي قائلاً: انّ هذا هو عزّ الاسلام!، وهل عزّ الاسلام في شرب الخمر، وبناء القصور، وتجميع بقايا العهد الجاهليّ البائد؟!

الامام عليّ (ع) يرفض بيعة الامويّين:

لقد رفض الامام عليّ(ع) هذا التحالف قائلاً: بلى، تبايعوني على كتاب الله، وسنّة نبيّه، واجتهادي فأقبل بيعتكم، وهكذا رفض(ع)، وبعد ان استلم مهام الخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث جعل من اوّل واهمّ وابرز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مهامّه اقتلاع جذور بني اميّـة ، فبعد ان استلم(ع) الخلافة أعلن من على المنبر انّ جميع اقطاعيّات عثمان ، وكلّ ما اعطاه يجب أن يعود الى بيت المال ؛ اي انّه جرّد بني اميّـة من ثرواتهم.

وفي اللحظات الاولى من خلافته (ع) كتب رسالة الى معاوية عبر واليه الاحنف بن قيس ، فقال له : اذهب بهذا الكتاب ، واخلع معاوية من حكم الشام وقيادة الجيش ، وكن انت القائد ، فقال له : يا امير المؤمنين اصبر حتّى يأخذ معاوية البيعة لك من المسلمين ثم اعزله ، ولكنّ الامام (ع) كان يعلم ان معاوية هو داهية العرب ، وانّه قائد بني اميّـة ، ولذلك رفض حتّى ابقاء معاوية ليوم واحد على ولاية الشام ، لانّه (ع) كان يدرك ان عليه ان يقتلع جذور هذه الشجرة.

وقد خاض (ع) في سبيل ذلك ثلاثة حروب طاحنة : حرب الجمل ، ثم حرب صفّين ، فحرب النهروان ، وكلّ هذه الحروب كانت من تخطيط بني اميّـة بل وحتّى حرب الجمل والنهروان ، فقد كان مروان بن الحكم يقود هذه الحروب ، ثمّ انّ دسائس معاوية بين الخوارج هي التي جعلتهم يقاومون و يناهضون الامام عليّ(ع).

أمّا بالنسبة الى الامام الحسن (ع) فقد عمل هو الآخر على مقاومة بني اميّـة بكل اسلوب ممكن ، وهكذا الحال بالنسبة الى الامام الحسين (ع) ، فقد كانت نهضته تكميلاً لدين الله و لرسالة نبيّ الله ، فلو لم يقم الحسين(ع) بنهضته لبقيت هذه الشجرة الملعونة راسخة الجذور.

الامام الحسين(ع) يقتلع جذور الشجرة الملعونة :

وقد اتخذ الامام الحسين(ع) اسلوباً متميّـزاً في اقتلاع جذور تلك الشجرة عندما أراق دمه الشريف ليعلن للمسلمين مدى ضرر بني اميّـة وخطرهم على

الاسلام، فهذه هي التي قام ابو عبدالله الحسين(ع) باقتلاعها من الجذور، واذا رأيت اليوم الاسلام ينتشر في الشرق والغرب، فانّما ذلك ببركة دم الحسين(ع)، ولذلك تقرأ في زيارة السبط الشهيد «**السلام عليك ياوارث آدم صفوة الله....**» فوراثة الامام الحسين(ع) للنبيين كانت سبب دفاعه عن رسالات الله، ذلك لانّ عمله كان تكميلاً لهذه الرسالات، فرسالة النبيّ(ص) كمال وتمام لكل رسالات الله، وحركة الامام الحسين(ع) كمال وتمام لرسالة النبيّ(ص).

احياء ذكرى عاشوراء لرسالات الله:

ولاجل ذلك فانّ احياء ذكرى السبط الشهيد، واحياء ذكرى عاشوراء من خلال هذه المجالس المباركة، وهذه المواكب المقدّسة، انّما هو احياء لرسالات الله -تعالى-، وذلك نجد ان الثواب عظيم على احياء هذه الذكرى الاليمة، فقطرة دمع تسيل من عينيك تطفيء وديانا من نار جهنّم، وقد روي عن الامام الصادق (ع) انه قال: «**أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين دمعة حتى تسيل على خده، بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً**»(١).

نعم.. بدموعنا نمحو صحائف ذنوبنا السوداء، ولا بد لنا أن نقرأ زيارة عاشوراء التي كان السابقون من الشيعة يواظبون عليها في كلّ يوم من ايّام السنة، فهذه الزيارة هي برنامج حياة للانسان، ذلك لأنّ هناك سبيلين؛ سبيلاً ينتهي الى الجنّة وهو طريق الله والصراط المستقيم، وسبيلاً آخر ينتهي الى النار، وعلينا في مثل هذه المناسبات ان نختار طريقنا الذي سنرى فيه سيّد النبيين(ص)، وجميع الصدّيقين والشهداء والصالحين..

---

١ ــ موسوعة بحار الانوار/ ج٤٤ ص٢٨٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اختيار الطريق:

امّا الطريق الآخر؛ طريق النار، فدونك كلّ الطغاة والظالمين، ففي ذكرى استشهاد أبي عبدالله الحسين(ع) نحن نختار الطريق، والّا فلماذا نقف على قبره، ونقول له: انّي سلم من سالمكم، وحرب لمن حاربكم، موالٍ لاوليائكم، معادٍ لاعدائكم؟ فماذا تعني هذه الكلمات؟ بلْ ماذا يعني السلام، ولماذا يستحبّ ان نسلم على الحسين(ع) قائلين: **«السلام على الحسين، وعلى اولاد الحسين، وعلى اصحاب الحسين»**؟

نحن في الحقيقة نريد من خلال ترديد هذه الكلمات ان نختار طريقنا، فنقول له(ع): انّ طريقنا هو طريقك، ومنهجنا منهجك، وحياتنا حياتك، ونحن معك اينما تذهب، ونرجو ان تعتبرنا من شيعتك حتّى تأخذ بايدينا وتقودنا الى الجنّة، فهل تعرفون ان الباب الذي يؤدّي الى الجنّة، و يقف عليه أبو عبدالله الحسين(ع) هو باب واسع تدخل منه افواج هائلة من شيعته؟ فحرامٌ ان لا نسجّل اسماءنا في قائمة اصحاب الحسين(ع)، وقد جاء في الحديث الشريف: **«كلّنا ابواب النجاة وباب الحسين اوسع، وكلّنا سفن النجاة وسفينة الحسين اسرع»**.

فمن الظلم بانفسنا لو لم ندخل هذا الباب الواسع، ففي ليلة عاشوراء يقلّب الله القلوب القاسية التي رانت عليها الذنوب، فتعرّضوا لرحمة الله ونفحاته.

وانّ زيارة عاشوراء انّما صيغت لكي نختار طريقنا، طريق الحسين، فنحن في كلّ يوم نصبح لنجد امامنا طريقين: طريقاً مع الحسين(ع)، وطريقاً مع اعدائه، ولابدّ ان نختار، والشهوات والامراء وضغوط الحياة كلّها تدعونا الى الطريق الثاني، فنحن بحاجة الى وقود وشحنات لكي نختار الطريق الاوّل،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولذلك ينبغي أن نلعن ابا سفيان ومعاوية و يزيد ومن يشايعهم و يبايعهم الى يوم القيامة، فهناك دائماً يزيد واليزيديّون، وهناك من يتّبع نهج الحسين(ع) هذا الرجل العظيم الذي يمتلىء طريقه بالحبّ والعطاء والاحسان والكرم، اما طريق بني اميّـة فملؤه الغدر، والخبث والضعة والنذالة.

سوابق بني اميّـة السوداء:

ولنقرأ التاريخ لنرى كيف كان جدّهم الاعلى (أبو سفيان) يحارب رسول الله(ص) بالغدر والمكر وتعذيب المؤمنين، وابنه معاوية الذي منع الماء في حرب صفّين عن شيعة الامام عليّ(ع):

فلما ملك عسكر معاوية الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات؛ قالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا غثمان عطشاً.

سألهم علي واصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء.

فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتى تموت ظلماً كما مات ابن عفان.

فلما رأى الامام أنه الموت لا محالة، تقدم باصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلا، لا ماء لهم.

فقال له (لعلي(ع)) أصحابه وشيعته: امنعهم الماء كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي. فلا حاجة لك الى الحرب.

فقال الامام (عليه السلام): لا والله؛ لا اكافئهم بمثل فعلهم. افسحوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهم عن الشريعة ، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك[١].

وهكذا فعل الامام الحسين(ع) في قصّته المعروفة مع الحرّبن يزيد الرياحيّ ، حينما كان يتصدر قيادة جيش بني اميّـة ، والذين معه كانوا كلّهم من اعداء أهل بيت رسول الله ، ولكنّه رغم ذلك لم يمنع عنهم الماء ، وقد كان بامكانه ان يبقى الحرّ وجيشه عطاشى ، فيلقاهم ويحاربهم و ينتصر عليهم ، ولكنّه ابى ، وهذا من كرمه (ع).

وعندما حدثت واقعة الطفّ في كربلاء بادر بنو اميّـة الى منع الماء عن أبي عبدالله(ع) واهل بيته واصحابه في قصّـة غريبة ندر ان يحدث مثلها في التاريخ ، فالانسان عندما لا يشرب الماء في الحرّ الشديد يصيبه الضعف في قواه فلا يستطيع ان يحارب الى درجة انّ اصحاب الامام الحسين(ع) كانوا لا يستطيعون الابصار لفرط العطش ، وهذه هي سيرة اللؤم والخبث التي اتبعها بنو اميّـة.

ونحن عندما نوالي أهل البيت فانّما لكي نكرّس في انفسنا تلك الفضائل والصفات المثلى التي كان الأئمّـة(ع) يتحلّون بها ، ويجسّدونها في حياتهم ومواقفهم المختلفة حتّى مع اعدائهم.

---

١ ـــ كتاب سلوني قبل ان تفقدوني للحكيمي ج١ ص٥٠.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسالة الاعلام في النهضة الحسينية

مع حلول شهر محرم الحرام، نستقبل موسم الدم الذي هزم السيف، ذلك الدم الذي جرى في أرض كربلاء ليبقى جارياً، ولتبقى معه عاشوراء مبعث الألم والبطولة، مبعث المأساة والتحدي.. خالدة في ضمير الاجيال.

فيا ترى ماهي فلسفة نهضة الامام أبي عبدالله الحسين(ع) ؟

هذه الفلسفة تتلخص في كلمة واحدة، هي ان الامام الحسين(ع) كان داعياً الى الله -تعالى-، وحينما رأى ان دعوته الى الله بحاجةالى ان تكتب بدمه، وتعمّد بشهادته وشهادة ابنائه حتّى الطفل الرضيع، حينما ادرك ذلك اقتحم(ع) ميدان الشهادة، وبادر الى العطاء في سبيل الله، فهو لم يكن طالب حكم بل ولم يكن يخطط للوصول الى الحكم بالرغم من انّ الحكم هو من حقه، فالحزب الامويّ كان متجذراً، وكان المجتمع بحاجة الى هزّة عنيفة ليقتلع جذور الامويّة، وهذا ما حدث بالضبط بفضل دم أبي عبدالله الحسين(ع).

ترى كيف حدث كلّ ذلك ؟ السرّ يكمن في ان الحسين كان دماً ناطقاً، واعلاماً داعياً الى الله، وشهادة من اجله -تعالى-، هذه الشهادة التي نردّدها يوميّاً في الصلاة «اشهد انْ لا إله الاّ الله» ماذا تعني ؟، انّها تعني اعلان الحقّ، فأنت بامكانك ان تجلس في بيتك وتقول «اشهد ان لا اله الاّ الله»،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فما الذي يدعوك الى أن تصعد فوق المنابر وتنادي بهذه الشهادة خمس مرّات في كلّ يوم ؟ لأنّ الاسلام بحاجة الى اعلام ، لانّ هدف الرسالات الاساسيّ هو دعوة الناس الى الله .

وفي بعض الاحيان تحتاج الدعوة الى الله الى صوت، وفي احيان اخرى تكون بحاجة الى دم ، وقد عرف الحسين(ع) هذه المسيرة فأعطى الدم ، ومن المعلوم انّ هذا الاعلام يجب ان ينسجم مع المبدأ ومع ظروف المجتمع ، ويجب أن يكون بحجم هذه الظروف ، اي اننا يجب ان نثبت صمودنا في هذا الاعلام من خلال ساحة الجهاد ، ومن خلال الدم الذي يُراق ، ولذلك فانّ الاعلام الاسلامي يجب ان ينسجم مع روح الاسلام التي هي التضحية ، وتنازل الانسان عن ذاته لدينه ، وعن دنياه لآخرته ، وهذا التنازل لا يمكن ان يتحقّق ببساطة ، فلابدّ للانسان من ان يكون في مستوى الرسالة التي يحملها ، ولذلك فانّ الذي يجلس على منبر أبي عبدالله الحسين(ع) ، ويدعو الى منهجه ، ويتحدّث باسمه ، وينطق باسم الثورة التي قادها السبط الشهيد هذا الانسان يجب ان يكون حسينيّاً ؛ بمعنى ان يكون مستعدّاً للتنازل عن كلّ شيء في لحظة واحدة اذا اقتضى الامر،حتّى تكون دعوته نافذة ، فالمنبر الذي يتحوّل الى مهنة واحتراف لا يغني عن الحسين شيئاً ، لانّ المنبر هو ساحة للجهاد ، فمن الممكن ان يرتقي الانسان المنبر ، ويتحدّث بحديث تكون فيه نهايته الدنيويّة كما فعلوا بخطبائنا العظام طيلة التأريخ .

وهكذا فانّ الانسان المؤمن الصادق لابدّ ان يقتبس من نور الحسين شعاعاً عندما يرتقي المنبر ويتحدّث باسمه(ع) ولذلك نراه يندفع الى التضحية .

وهكذا الحال بالنسبة الى إعلام القلم الذي ينطق بأسم الحسين ، فيجب على حامل هذا القلم ان يكون حسينيّاً بمعنى الكلمة ، وان يبتعد عن الارتزاق والمهادنة . فالقلم الذي يعمل على مهادنة الطغاة يجب ان يتكّسر ، والورقة التي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يكتب عليها يجب أن تتمزّق.

نحن نتحدّث عن سيّد شباب اهل الجنّة، عن سبط رسول الله (ص)، عن امام من أئمّة الهدى الذين بولايتهم وبأسمهم تاب الله على آدم، وركب نوح السفينة، واصبح ابراهيم اماماً للناس..

سمات وخصائص الاعلام الاسلاميّ:

وهكذا فانّ الاعلام الاسلاميّ يجب ان يكون منسجماً مع الاسلام، وفيما يلي سأحاول تلخيص بعض سمات هذا الاعلام:

اعلام الهيّ:

١ ــ الاعلام الاسلاميّ هو اعلام الهيّ تجاوز الدنيا الى الآخرة، فقد كانت الكلمة الاولى التي اطلقها السبط الشهيد في المدينة المنوّرة هي ان يزيد هو شارب الخمر ولاعب القمار ويقتل النفس المحرّمة، ويتجاوز حدود الله، ومثلي لا يبايع مثله، وهنا احبّ ان اذكّر انّ القضيّة ليست قضيّة انّ يزيد قد اخذ دار الحسين(ع) وامواله، وانّه ليس من جماعته، فهذه الاعتبارات ليس لها اساس، بل انّ القضيّة هي قضيّة الهيّة. فالرفض ابتدأ بكلمة الله، والدعوة الى الله. فأوّل اعلان عن الثورة كان في مكة المكّرمة في اليوم الثامن من ذي الحجّة، وقد كان الناس يتّجهون الى منى ومن ثمّ الى عرفات في حين انّ الامام الحسين(ع) غير مسيره الى العراق، ووقف قائلاً بكلّ جرأة:

«خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة...وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف».

فالكلمة هنا تتجاوز الدنيا، انّها كلمة الآخرة. فالامام الحسين(ع) لا يعيش الدنيا لانّ قلبه وروحه واحاسيسه تعيش في الآخرة، هذه هي الكلمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاولى امّا الكلمة الاخيرة فقد نطق بها بعد شهادته (ع) الامام زين العابدين (ع) فوق منبر مسجد الشام ، وقد كانت نصف خطبته تدور حول الآخرة ، وقد كان (ع) يهدف من وراء ذلك بيان حقيقة ثورة ابيه الحسين(ع) ، فالمقدّمة كانت توجيهاً للناس الى الآخرة والى الله ـ تعالى ـ ، حتّى اجهش الناس بالبكاء كما تذكر الروايات.

وعلى هذا فان منابرنا يجب ان تسير على نهج النبيّ(ص) وأئمّتنا(ع) ، وهذه هي صبغة الاعلام الاسلاميّ وسمة من سماته ، فهو اعلام الهيّ لا ينظر الى الدنيا فقط ، لانّ الدنيا لا شيء بالنسبة الى الآخرة ، والانسان العاقل الحكيم يجب ان يستغلّ هذه الدنيا لصالح آخرته ، والمنبر يقوم بهذا الدور ، اي انّه يعطي صبغة اخرويّة للاعلام.

اعلام متفاعل مع الواقع :

٢ ـ انّ الاعلام الاسلاميّ لا يعبّر عن الصور المتحرّكة ، فهناك اعلام يأتيك بالحدث المجرّد ، ويصوّر الحالة الخارجيّة بشكل محايد ، في حين انّ الاعلام الاسلاميّ يتجاوز هذه الصورة ، ويغوص في العمق ، فهو يربط الحدث بمسيرته التأريخيّة ، ويتعمّق في الجذور ، ليقتبس منه العبرة ، فالقصص والاحاديث والاخبار المفرغة من العبرة لا تغني شيئاً ، لذلك ينبغي ان نعطي الخلفيّة التأريخيّة للاعلام ، والعبرة المستقبليّة له ، ونربط بينه وبين السنن الالهيّة التي بيّنها الله ـ تعالى ـ في كتابه الكريم ، فكلّ شيء له سبب ودافع ، وقد يكون دافع الانسان نظيفاً ، وقد يكون خاطئاً ، فالانسان قد يقوم ببطولات ويتحدّى ويؤدّي دوراً كبيراً ولكن دون ان يكون دافعه ارضاء الخالق ، بل يخرج اشراً ومفسداً ومستعلياً في الارض ، ومثل هذا الانسان لا يساوي عند الله جناح بعوضة حتّى وإن قُتل ، وسُحق تحت الاقدام ، لذلك النيّة هي المهمّة في

الاسلام، أمّا العمل فليس له قيمة من دون النيّة:

«لا عمل الّا بنيّة ولا نيّة الّا باصابة السنّة»

وهكذا الحال بالنسبة الى النيّة فانّها وحدها لا تكفي بل يجب ان نبحث عن الحكم الشرعيّ الذي يسمح لنا بالعمل، فليس من حقّي ان احطّم شخصيّة انسان بكلمة نابية او غيبة أو تهمة بحجّة انني انوي تأديبه -مثلاً-، بل لابدّ ان ابحث عن الاسلوب المناسب وعن القانون الشرعيّ، فالاسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة الّا ووضع لها قانوناً، فليس من حقّك ان تتصرّف في الساحة دون قانون شرعيّ، لانّ الاعلام الاسلاميّ هو اعلام شرعيّ يقتضي البحث عن الشرعيّة.

اعلام شجاع لايهادن:

٣ ـ الاعلام الاسلاميّ هو اعلام شجاع لا يهادن، فهو يضع النقاط على الحروف، انظروا الى كلمات الانبياء(ع) فانّكم لا تجدون فيها كلمة غامضة، ففيها -حسب التعبير القرآني- «فصل الخطاب»؛ اي الخطاب الفاصل والحاسم الذي يفرّق بين الحقّ والباطل، فأن تخلط الامور مع بعضها، وتقول كلمات دبلوماسيّة حتّى تستطيع ان تخرج دائماً من المآزق، فهذا مرفوض في الاعلام الاسلاميّ ولا يجوز الّا عند الضرورة، فالأدب والتعبير الحسن في مكانهما، ولكنّ الوضوح له موقعه ايضاً.

نهضة الامام الحسين(ع) نهضة تبليغية:

وقد كانت هذه السمات كلّها في حركة أبي عبدالله الحسين(ع)، ولو درسنا لسنين هذه الحركة من هذه الزاوية او من الزوايا الاخرى فسنكتشف فيها الكثير من الدروس، والاكثر من ذلك ان نهضة الامام الحسين(ع) كانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نهضة تبليغيّة -إن صحّ التعبير-، فقد كانت جميع تحرّكات الامام(ع) واهل بيته من المدينة ثم من مكّة الى الكوفة ومنها الى الشام.. تقديرات الهيّة مخطّطاً لها من اجل ايقاظ الناس، واقامة الحجّة عليهم، والاّ فقد كان من المفروض بالامام(ع) ان لا يخرج معه بقايا اهل البيت لانّهم امان اهل الارض، فهل من المعقول بعد ذلك ان يضعهم امام العدوّ وهو يعرف طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، وقد نصحه اكثر من واحد على ان لا يقدم على هذا العمل، فالمعالم كانت واضحة لدى الناس، لانّ الكوفة هي نفسها الكوفة التي لم تستجب للامام عليّ(ع)، وهي نفسها الكوفة التي فعلت ما فعلت بأخيه الحسن، وعلى هذا فانّ الامام الحسين(ع) كان يعرف كلّ شيء، ولكنّه مع ذلك جاء بأهل بيته وباخته زينب وهو الذي يحبّها ذلك الحبّ العميق لانّها كانت صورة مصغّرة لفاطمة الزهراء(ع)، فهل من المعقول ان يأتي بها الى كربلاء، ويعرّضها للأسر لولا انّ له في ذلك هدفاً مقدساً ؟

وهكذا فانّ هذا الهدف هو الذي بعث هذا الاعلام، فالشهادة مدرسة والدراسة في هذه المدرسة ضروريّة، فهي بركة والتبرّك بها يمثّل قضيّة، ولقد استشهد الامام الحسين(ع)، وجرى دمه الطاهر، ولكن من الذي يجب ان يستثمر هذا الدم، ويحوّله الى ثورات متلاحقة لا تقضي فقط على النظام الامويّ وانّما على كلّ حكم فاسد، وعلى جميع الانحرافات الفكريّة والثقافيّة والاجتماعيّة التي كانت مستشرية.

الاعلام بعد ثورة الحسين(ع):

لقد فعل كلّ ذلك من تبقى من اهل أبي عبدالله الحسين(ع)، فكربلاء كانت ارضاً معزولة، ثم انّ العدوّ لم ينقل ما جرى على هذه الارض، فمن الذي يجب عليه ان يروي ما حدث في كربلاء ؟ ومن الذي يقصّ البطولات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي ابداها الحسين(ع) وابو الفضل العبّاس.. والظلامة التي رفعها الامام الحسين(ع) في كربلاء عندما حمل الطفل الرضيع على يديه، وطلب شربة ماء، واذا بالعدوّ يرميه بالسهم؟ من الذي يجب ان ينقل هذه الصور، صور المأساة والتحدّي والبطولة والصمود؟

ومن هنا فان قضيّة السبط الشهيد يجب ان تتحوّل عندنا الى ذلك المنبر الاعلاميّ المتميّز حتّى تكون الشهادة الناطقة وسيلةً لسعادتنا في الدنيا، وفلاحنا في الآخرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس

الى خطباء المنبر الحسينيّ

البشريّة بحاجة الى من يؤسّس فيها الكيان الثقافي والعقائدي والخلقي، والى من ينمّي هذا الكيان ويحرسه، وقد كانت وظيفة الانبياء ومسؤوليّاتهم التي حدّدت من قبل الخالق -تعالى- تتمثّل في تأسيس الكيان التوحيدي في مجال الثقافة والعقيدة والاخلاق والتشريع، كما كان واجب الاوصياء ان يكملوا مسيرة الانبياء، ويفصّلوا المجمل من كلامهم ومن رسالات الله، أمّا مسؤوليّة من يأتي بعد اولئك من الربانيّين، والاحبار، والعلماء بالله، والمستنبطين للاحكام، والمبّلغين الدعاة الى الله والقادة الى سبيله فتتلخّص في رعاية مابناه الانبياء والاوصياء.

وهذا يعني انّ وظيفة الدعاة الى الله من الربانيّين والعلماء انّما هي مزيج عام بين وظائف الانبياء والاوصياء معاً، فاذا كانت وظيفة ابراهيم الخليل(ع) تحطيم الاصنام الحجريّة والبشريّة، ووظيفة موسى(ع) القيام بثورة المستضعفين ضدّ المستكبرين، وتأسيس مجتمع التوحيد وامة الايمان بالله -تعالى-، وكانت وظيفة النبيّ عيسى(ع) تأسيس الكيان الخلقي، وبعث روح الايمان في السلوك، ومسؤوليّة نبيّنا الأعظم محمّد(ص) تكميل رسالات الانبياء، وتأسيس الحضارة الايمانيّة فوق الارض، ومهمّة الأئمّة الهداة من بعده اكمال رسالات الله، وايضاحها، كلّ حسب الظرف الذي كان يعيشه، اذا كان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمر كذلك فانّ وظيفة الخطباء والعلماء والمبلّغين ستكون كلّ تلك الوظائف والمسؤوليات معاً ؛ أيّ ان وظيفة الخطيب تتمثّل في بعث روح الأيمان والتحدي ضدّ الاصنام الحجريّة والبشريّة ، وقيادة المستضعفين ضدّ المستكبرين ، وبعث الاخلاقيّات التي كان قد بعثها النبيّ عيسى(ع) ، وايضاح رسالات الله كما جاء بها نبيّنا محمد(ص) ، واكمال مسيرة الأئمّة والمعصومين(ع).

وهكذا فانّ الخطيب أو المبلّغ يقوم بدور هؤلاء جميعاً ذلك لانّ دوره ليس دوراً تكميلياً ولا تأسيسياً فحسب بل هو دور الاستمرار، والرعاية والمحافظة ، وهذا الدور يختلف بالطبع عن دور التأسيس، وهذا يعني انّ على الخطباء والمبلّغين مجموعة متكاملة من الواجبات مستلهمة جميعاً من مسيرة الانبياء والاوصياء ، وقد اشار الى ذلك -تعالى- في قوله: «**ولتكن منكم امّة يدعون الى الخير..**» (آل عمران/١٠٤).

فمن الضروريّ ان تكون من بيننا امّة متفرّغة للدعوة الى الله -تعالى-، والى الخير، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم انّ الواجب الاخير فريضة على كلّ مسلم ومسلمة تقوم بها سائر الفرائض الاسلاميّة.

ترى ما هي مهمّة هذه الأمّة؟ انّها مهمّة الدعوة الى الخير، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وفي هذا المجال نطرح مجموعة نقاط مرتبطة بهذه الفئة التي بارك الله فيها وفي عطائها ، وجعل الحكمة تجري على لسانها ، والعمل الصالح ينبعث من يدها.. ألا وهي فئة الخطباء ، والدعاة الى الله ، التي تنشط بالذات في شهر محرّم الحرام ، وفي شهر رمضان المبارك.

فاذا كان شهر رمضان شهر تكريس التقوى والايمان ، وبعث روح التوحيد في النفوس ، فانّ شهر محرّم هو شهر اخراج الانسان من ذاتيّاته

---

١ ــ آل عمران / ١٠٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وانانيّاته، وبعث روح الشهامة والشجاعة والبطولة في نفسه ليخرج من ذلك الاطار الضيّق، ومن ذلك السجن المحدود؛ من عبوديّة الأنا الى عبوديّة الله، والتفكير في نفسه الى التفكير في الامّة، ومن حالة الاستئثار الى حالة الايثار.

الحسين(ع) كما قال عنه النبيّ(ص) هو: «**مصباح الهدىٰ وسفينة النجاة**»، فماذا تعني (سفينة النجاة)، وماذا يعني المعصوم عندما يقول: «**كلّنا سفن النجاة، وسفينة الحسين اسرع، وكلّنا أبواب النجاة وباب الحسين أوسع**»؟، انّ ذلك يعني حقيقة واقعيّة وهي انّ تلك الحركة العملاقة التي قام بها سيّدنا الحسين(ع) قد جعلها الله -تعالى- مباركة، فأشاعت بين الناس روح التضحية التي هي وقود الايمان، ووقود الانسان في طريقه الى الله، ونحن نرى في كثير من البلدان الاسلاميّة كيف ينقلب الناس في هذا الشهر، وكيف يجتمعون حول راية الحسين، وكم تؤثّر المواعظ التي يلقيها الخطيب عندما يرتقي منبر الحسين، فكم من الناس قد تخرّجوا من مدرسة المنبر وتحوّلوا الى شهداء احياء وقادة.

وكلّ واحد منّا يعلم ان مبدأ الفطانه الى الله والحقّ قد بدأ عندما زرع خطيب في نفسه وفي شهر محرّم الحرام بذرة الايمان، وبذرة حبّ الحسين، ثمّ تنامت وترعرعت هذه البذرة حتّى تحوّلت الى شجرة باسقة، ولذلك يجدر بنا ونحن نقف على اعتاب هذا الشهر في كلّ عام ان نتبيّن عدّة نقاط مهمّة:

١ ــ انّ وظيفة الخطيب اليوم وفي كلّ يوم هي بعث روح الايمان في النفوس، والتذكير بالله -تعالى- الذي هو مبدأ كلّ خلق وخير، وكما انّه -تعالى- هو في عالم الخَلْق الأوّلُ والآخر والظاهر والباطن، فانّه كذلك في عالم العلم والمعرفة، فمن آمن بالله وبكلّ غيب فانّ عمله للخير سيكون عفويّاً ومن دون ايّ تكلّف، أمّا الذي لا يؤمن بالله فهو بحاجة الى دفع وشحن باتجاه الخير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فذكّروا الناس بالله، وذكّروهم بآيات الله في الكون وفي انفسهم، وازرعوا حبّه ـ تعالى ـ في نفوس العباد، ولا تذكروا فقط انّ الله شديد العقاب فانّه غفور رحيم قبل أن يكون شديد العقاب، وهو يحبّ عباده ورحيم بهم، فطاعة الحبّ خير من طاعة الخوف والرعب، فصاحبها يستزيد من الطاعة، في حين انّ طاعة الارهاب والخوف تقتصر على الواجبات، فترى اولئك الذين منحهم الله ـ تعالى ـ حبّه كيف ينهضون من فراش النوم الى محراب العبادة، وكيف يعمر قلوبهم حبّ الله ومعرفته، فتنهمر عيونهم شوقاً الى ربّهم، وفي ميادين الوغى تراهم يتحوّلون الى ليوث، ويضعون ارواحهم على اكفّهم متشوّقين الى لقاء ربّهم، كما حدث ذلك لـ(عابس بن شبيب) الذي بادر الى نزع لامة حربه عندما هجم على الاعداء في يوم عاشوراء، فقالوا له: أَجُننت يا عابس؟ فقال: بلى، حبّ الحسين أجنّني.

انّ الحبّ له جنون خاصّ، ولكنّه ليس كجنون المجانين، بل لَهُ وَلَهٌ خاصّ، ونشوة خاصّة، فازرعوا حبّ الله في النفوس، وذكّروا الناس بيوم القيامة وأهوالها، واجعلوهم يعيشون اجواء يوم القيامة، وازرعوا كذلك حبّ رسول الله(ص) في نفوسهم، وذكّروهم بسيرته، صحيح انّ عشرة المحرّم هي حديث عن الحسين(ع)، ولكنّه ــ كما قال جدّه عنه ــ: «حسين منّي وانا من حسين»، فالحسين جسّد في عصره سيرة الرسول(ص)، فمن اراد أن يعرف الحسين فليعرف اوّلاً النبيّ(ص) والعكس صحيح، فالشخصيّتان تمتلكان منهجاً واحداً، وروحاً واحدة.

٢ ــ انّ الثقافة الاسلاميّة تعرّضت في العصر الحديث للتحريف من قبل فئات مختلفة، وقد يكون التحريف بفعل (القشريّين) الذين يتركون الجوهر والواقع ويهتمّون بالمظاهر، كما انّ الثقافة الاسلاميّة حُرّفت مرّة اخرى عبر عملاء الاستكبار الذين ادخلوا فيها مفاهيم غريبة عنها، وتعرّضت للتحريف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ايضاً من قبل الجاهلين بها الذين لا يعرفون شيئاً عنها ثمّ يتحدّثون عنها، ولذلك تقع على الخطباء مسؤوليّة تنقية هذه الثقافة، وتبيين مواضع الخطأ والتحريف فيها.

٣ ــ انّ الخطباء مسؤولون اليوم عن بيان الاسلام من جانبه السياسيّ، فالاسلام هو نظام اجتماعيّ واقتصاديّ وسياسيّ متكامل، فأين الحديث عن السياسة في الاسلام؟، فعلى الخطباء ـ اذن ـ ان يحدّثوا الناس عن هذا الجانب رغم الظروف القاسية التي يعيشونها عادةً، ومن جملة هذه الظروف انّ بعض الخطباء يعيشون في بلاد تحكمها أنظمة طاغوتيّة، ومثل هؤلاء الخطباء عليهم ان يتحدّثوا عن السياسة ولو بلغة التورية والاشارة وبما يتناسب والظروف التي يعيشونها، كما يقول ـ تعالى ـ: «**ادع الى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة**»[1].

٤ ــ نحن اليوم بحاجة الى الوحدة في جميع المجالات؛ في مجال الاسرة، والعشيرة، وعلى مستوى الاقاليم والقوميّات وبالتالي على مستوى الامّة الاسلاميّة، فالذي يخشاه الاستعمار من الاسلام ليس روح الشهادة والتضحية فحسب، بل انّ الوحدة هي اخوف ما يخافه الاستعمار، فلو اتّحد المسلمون في كلّ مكان تحت راية التوحيد المقدّسة لما بقي اثر للقوى الاستعماريّة والاستكباريّة. فالاسلام يرعبهم لانّه يوحّد الامّة، والوحدة قوّة تنبت في القلوب اولاً ثم تنتشر وتتفرّع في الآفاق، انّها تبدأ من اثنين وتنتهي الى الامّة.

وهكذا فانّ على الخطباء ان يكونوا رُسل الوحدة لادعاةً الى التفرقة، فالوحدة الاسلاميّة هي قضيّة اساسيّة بالنسبة الى المسلمين كافّة وعلى كلّ المستويات.

١ ــ النحل/١٢٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ــ على الخطباء ان يصيغوا خطبهم وفقاً للظروف المحيطة بهم ثمّ يتحدّثوا للناس بعد ذلك، فعلى الخطيب ان يتفاعل مع المجتمع الذي يخطب فيه، أن يستمع منه ليعرف ممّ يعاني، وماهي امنياته، وماهي الاسئلة التي تدور في ذهن افراده؟، فالخطيب هو بمثابة الطبيب الذي لا يستطيع ان يصف الدواء الّا بعد ان يعرف طبيعة الداء، وعلى هذا فانّ على الخطيب ان يبحث عن الاسلوب المناسب و يطّوره.

وفيما يتعلّق بالاسلوب هناك ملاحظات يجب ان ابيّنها وهي:

أ ــ انّ الحسين(ع) لم ينته في يوم عاشوراء من سنة (٦١) للهجرة بل على العكس من ذلك وُلد في هذا التأريخ لأنّه تحوّل باستشهاده الى مسيرة ورمز، فلا بدّ ان نكشف النقاب عمّا جرى بعد الامام الحسين(ع)، فجميع الثورات على الاقلّ في القرون التي تلت واقعة كربلاء كانت تحمل شعار (يالثارات الحسين)، فأين هذه الثورات من احاديثنا؟، فجميع الذين فجرّوها انتهجوا نهج الحسين(ع)، ونهج الشهادة والدم والتحدّي والبطولة، فلماذا لا نذكّر الناس بهم؟ فلا بدّ ـ اذن ـ من ان نبيّن للجماهير ماذا كانت عاقبة يزيد، وكيف كانت عاقبة الحسين(ع)، وأهل التقوى واليقين الذين اتّبعوا الحسين(ع).

ب ــ لا يكفي ان نتطرّق الى حياة الامام الحسين(ع) من يوم خروجه من المدينة الى يوم استشهاده، فالحسين عاش قبل ذلك، ــ وقام باعمال كللّها اخيراً بالشهادة، فلابدّ من ان نتحدّث عن حياته(ع) ككلّ، فلا يكفي ان نلقي في نهاية خطبتنا كلمة عن الحسين شعراً ونعياً، بل علينا ان نمزج حياته(ع) بحياة الامّة، وننتزع من كلّ لحظة من لحظات يوم عاشوراء درساً وعبرة لحياتنا الراهنة.

ج ــ لا ينبغي ان يقتصر الاسلوب على الذي هم في مستوى رفيع من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثقافة ، بل لا بدّ ان يكون الاسلوب بحيث يستفيد منه جميع الحاضرين حتّى الاطفال ، وهنا اؤكّد على الأسر وعلى الخطباء ان يحاولوا جلب الاطفال الى المجالس ، وان لا ينزعجوا من بكاء طفل ، وركض طفل آخر، فكربلاء هي مدرسة الجميع ، وفي كربلاء تعرّض الى المأساة اطفال بكلّ الاعمار..

وهكذا نرى ان ملحمة كربلاء اشترك فيها الجميع اعتباراً من الطفل الرضيع الى الشيخ الذي ناهز عمره تسعين عاماً ، فهي ـ اذن ـ مدرسة الجميع ، فعلى الخطيب ـ اذن ـ ان يتحدّث بلغة بسيطة يفهمها الجميع.

وهنا اوجّه كلمة اخيرة وهي انّ على خطبائنا الكرام ان يوجّهوا انفسهم في نفس الوقت الذي يحاولون فيه توجيه المجتمع ، وان يربّوا انفسهم ، فالانسان عندما ينطق بكلام فانّه يجد فرصة لتطبيق هذا الكلام على نفسه.

فلنغتنم هذه الفرصة ، ولنغتنم هذا الضغط الجماهيريّ لتصحيح مسيرتنا ، واصلاح أنفسنا ، وان لا ندع لحظة واحدة من الايّام العشرة من شهر محرّم الحرام دون أن نستغلّها في تنمية مواهبنا واخلاقنا وسلوكنا الرساليّ ومعارفنا الاسلاميّة.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان اعظم محاور الرسالات واعظم اهداف الرسل وخلفائهم ، كان تبديد زيف التأويل الباطل عن الدين ، ونفي الاعذار الشيطانية التي تخلف الناس عن الدين بسببها .

وقد خاض أنبياء الله واولياؤه المؤمنون صراعا مريرا من اجل نسف الاعذار والتأويلات الزائفة التي نشرها ادعياء الدين بين الناس .. وسعوا جاهدين لكي يبقى مشعل الرسالة زكيا نقيا وضاء بعيدا عن زيف التبرير وزيغ التأويل ، لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

لقد رسموا بجهادهم وجَهدهم وكذلك بدمائهم الزكية خط الرسالة التي تتحدى الطغاة المستكبرين في الارض ، المتسلطين على الناس زورا وعدوانا ، والمترفين المستغلين لجهود المستضعفين والعلماء الفاسدين الخانعين اليائسين .

وكانت نهضة ابي عبد الله الحسين - عليه السلام - علما بارزا في هذا الطريق الشائك ، حيث كانت رسالة جده المصطفى اعظم انتفاضة للضمير وتوهج العقل ، واسمى ابتعاث لدين الله الخالص من زيغ التأويل وزيف التبرير ..

لقد كانت المشكاة الصافية التي اضاء عبرها مصباح الوحي كل الافاق .